تاريخ الحركة الصهيونية وتنظيماتها منذ بداية النشاط الصهيوني في مصر وحتى نكبة فلسطين (١٨٩٧ ـ ١٩٤٨م)

❋ الكتاب: تاريخ الحركة الصهيونية وتنظيماتها منذ بداية النشاط الصهيوني في مصر وحتىٰ نكبة فلسطين (١٨٩٧ ـ ١٩٤٨م)

❋ تأليف: أ. د. محمد مدحت مصطفىٰ

❋ تحرير: أ. د. أحمد محمد البغدادي

❋ مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدىٰ – أ/ محمد طلبة

❋ تصميم الغلاف: أ. إسماعيل عاطف

❋ إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدىٰ

❋ رقم الإيداع: **2501/ 2023**

❋ الترقيم الدولي: **978-977-6968-94-3**

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com

واتس آب: +20 100 518 6476

فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع











تاريخ الحركة الصهيونية وتنظيماتها منذ بداية النشاط الصهيوني في مصر وحتى نكبة فلسطين (١٨٩٧ - ١٩٤٨م)

تأليف

أ. د. محمد مدحت مصطفى

أستاذ الاقتصاد الزراعي

كلية الزراعة - جامعة المنوفية

تحرير

أ. د. أحمد محمد البغدادي

إهداء

إلىٰ صديقتي ورفيقتي وزوجتي

د. سهير عبد الظاهر



لأننا عشنا بأحبابنا.. ولأحبابنا

والحلم الذي نجسده

في حفيدنا "مراد"

فإننا ما زلنا نحيا معًا

في إسكندرية.. المجر.. القاهرة!

جدول المحتويات

مُقدمـــة

كتبها : أ.د. أحمد محمد البغدادي

الحارة الفلسطينية مُتفرعة من الحارة المصرية؛ والعكس صحيح. هذه واحدة من حكايات الشوارع في التاريخ. هل تريد العنوان؟ اسمح لي -عزيزي القارئ- أن أبدأ مع المستعمر الغربي وأحد مشروعاته الكبرىٰ؛ وهو «الحرب». تُشعل الرأسمالية الحروب؛ وتَخرج منها أكثر شراسة. ولقد شهدت الحرب العالمية الأولىٰ علىٰ هذه الظاهرة. ظهرت الدبابات والغواصات في ميدان المعارك؛ وأصبحت الحرب أشد فتكًا ودمارًا. وبفضل ذلك التطور التقني: أصبحت الآلة العسكرية للاستعمار أكثر تفوقًا. وهو الأمر الذي مكنها من التدخل في أي بقعة من العالم، في أسرع وقت؛ بل وتوجيه الضربات العسكرية المُدمرة من بُعد!

وهكذا أصبح بإمكان المستعمر أن يستغني تدريجيًّا عن تواجده العسكري -المُباشر- في مستعمراته. ومن هنا ظهرت للوجود فكرة «البديل الاستعماري». وخلاصتها: أن يعتمد المستعمر علىٰ وكيل يقوم بمهامه الاستعمارية في مناطق نفوذه. بالطبع ينبغي أن يمتلك هذا الوكيل قاعدة عسكرية متقدمة ومتفوقة، في المناطق المحيطة به. وفي ذات الوقت: يقوم المستعمر بإنشاء مجموعة من التحالفات، في الأقاليم التي تخضع لنفوذه الاستعماري. تتنوع هذه التحالفات؛ فقد تأخذ شكل أحلاف عسكرية، أو

منظمات إقليمية. وقد تتم عن طريق المؤازرة التي يقدمها المستعمر؛ إلىٰ مجموعة من الأنظمة والأسر الحاكمة.

وكما نلاحظ، تقوم هذه الأفكار: علىٰ «يد عليا» تهدد وتضرب. و«يد سفلىٰ» تخضع وتمول!. أما اليد العليا: فهي الوكيل الاستعماري الذي حدثتك عنه. بينما تشير اليد السفلىٰ إلىٰ المستعمرات، التي كانت تحصل بالتدريج علىٰ قدر من الاستقلال الداخلي. وفي هذا إجابة علىٰ السؤال التالي: لماذا يقوم الاستعمار الغربي بدعم بعض النظم الحاكمة في المنطقة العربية؟ ولماذا لا يستنكف عن رعاية الحركات الرجعية في تلك النظم؟ بالطبع نعرف -حضرتك والعبد لله- ما تفرزه تلك الحركات من تخلف وانقسام وفُرقة بين شعوبها. ونعرف أيضًا: شرائط التبعية الدائمة للاستعمار، وكيف يمكن إحكام عقدتها من فترة لأخرىٰ.

في هذه التربة الخبيثة، نشأت العلاقة التاريخية بين القوىٰ الاستعمارية من جهة، والنظم المُستبدة من جهة أخرىٰ. وتلقفت الصهيونية: دعوة الاستعمار؛ وهو يدعوها لتقوم بدور اليد العليا في منطقتنا. الدراما هنا: أن فلسطين كانت في طريقها للاغتصاب، وأن الدماء الأولىٰ التي أُريقت في هذا المشروع الاستعماري: كانت الدماء المصرية. تُرىٰ كيف تم ذلك؟

- سنوات أربع هي عمر الحرب العالمية الأولىٰ، كابد فيها أكثر من مليون وسبعمائة ألف مصري ويلات السخرة. كانوا يُساقون بالكرابيج، ويُعاملون كالأنعام. وهم يعملون في خدمة جيوش

الإنجليـز وحلفـائهم. يمهـدون لهـم الأرض ويحفـرون الآبـار ويجرون الآلات.. كانت تلك الجيوش تزحف شرقًا إلىٰ سيناء؛ في طريقها إلىٰ فلسطين. وكانـت تحمـل حجـرًا ألقمتـه العـرب، ثـم جعلته حجر الأساس للكِيان الصهيوني في فلسطين.

- وسنوات بعدها: خضعت فيها فلسطين للانتداب البريطاني. كـان نظـام «الانتـداب» هـو الإطـار القـانوني الـذي فرضـه الاسـتعمار؛ للاعـتراف بحقوقـه الاسـتعمارية علىٰ المسـتوىٰ الـدولي. وكـان الغطاء الذي تسترت خلفه بريطانيا وفرنسا، لتقسيم وحكـم منطقـة الشـــام والعـــراق؛ طبقًـا لمعـــاهدة «ســـايكس بيكـــو» سـنة ١٩١٦م.

- كـان المسـتعمر البريطـاني خـلال فـترة الحمايـة أو الانتـداب علىٰ فلسطين: الحليف الأول للصهاينة. كُل مهاجر يهودي، وكل قطعة سلاح.. كل قرية خُربت، وكل امرأة بُعثرت أحشاؤها: تشهد علىٰ هذا المستعمر وحلفه وجريمته!. هلَّا أجبتني عزيزي القارئ: لماذا لـم نطالـب المسـتعمر –يومًـا– بتحمـل مسـئوليته عـن تلـك الجرائـم؟ بالطبـع نـعرف –حضـرتك والعبـد لله– أن القـانون الدولي يُلزم المستعمر بتعويض ضحاياه ماديًّا وأدبيًّا. هـلَّا أجبتني إذًا: لمـاذا كـل هـذا الخجـل والحيـاء والأدب، ونحـن نتعامـل مـع المستعمر في بلادنا العربية؟!

في تلك السنوات -وما قبلها- كانت الصهيونية قد نجحت في ترويج فكرتها، وسعيها الاستعماري في فلسطين. يحتاج الاستعمار إلىٰ كِيان شبيه بـ«دولة أوروبية»؛ تحمي مصالحه في المنطقة العربية. وكأنما كان المستعمر الغربي يقوم باستنساخ كِيان أوروبي في منطقة يعيش فيها «الهمج.. الضعفاء». هنا يمكنك عزيزي القارئ أن تستمع إلىٰ نابليون بونابرت -المستعمر الغازي- وهو علىٰ أبواب عكا، في إبريل سنة ١٧٩٩م. في ذلك الوقت: أعلن نابليون -رسميًّا- تأييده لفكرة الكِيان، الذي يقيمه اليهود في منطقتنا العربية. والحلم الذي سيحققه هذا الكِيان للغرب المستعمر؛ وهو التحكم في «تجارة الهند وبلاد العرب وإفريقيا»!

وفي إطار الأفكار -التي أحدثك عنها- نمت فكرة الشركات ذات الطابع الدولي. وأصبحت تلك الشركات إحدىٰ الأدوات الهامة للاستعمار، وسعيه لإدامة نفوذه وتعظيم ثرواته. وتقوم هذه الفكرة علىٰ شركات تتجاوز إطارها القانوني كمشروع تجاري. وتصبح مؤسسة حاكمة؛ لها أهدافها الاستعمارية في منطقة أو أكثر.

ومن هذه الزاوية: كانت شركة قناة السويس، جنبًا إلىٰ جنبٍ مع المشروع الصهيوني في فلسطين، وبعض النظم الحليفة في المنطقة العربية- أدواتًا جديدة للمستعمر. ولذلك كانت إنجلترا تربط بين نفوذها في مصر من جهة، ومستقبل القنال من جهة أخرىٰ. لاحظ -عزيزي القارئ- خطوات المستعمر الإنجليزي، منذ أن سعىٰ إلىٰ شراء أغلب الأسهم، في شركة

القنال في سنة ١٨٧٥م. وحين شرع بعدها في التخطيط والتجهيز لاحتلال مصــر. وحــين قــام بحمايــة مصــالحه في القنــال؛ مــن خــلال معاهــدة القســطنطينية ســنة ١٨٨٨م. وحين أخذ يتفاوض مع المصريين، علىٰ شروط الجلاء عن مصر.

واسمح لي أن أنقل إليك ملاحظة هامة، تتعلق بالوعي بهذه المسألة، وارتباطها بالاستعمار العالمي. ملاحظة تحملنا علىٰ أجنحتها إلىٰ أمريكا الجنوبية:

> كتب الروائي المُبدع (جابرييل جارسيا ماركيز) في روايته التي حملت اسم «ليس لدىٰ الكولونيل من يكاتبه».. تعليقًا علىٰ واقعة تأميم قنــال السويس في العــام ١٩٥٦م: «إن الغــرب يفقــد مواقعــه».

عزيزي القارئ: كانت الولايات المتحدة الأمريكية -في تلك لسنوات- تتهيأ لدورها الاستعماري في الشرق؛ بصفتها الوريث للمستعمر البريطاني وعصره الذي كان في طريقه للغروب.

- كان هذا الوريث الاستعماري يردد دعوة الاستعمار الخبيثة؛ وهي الحاجة إلىٰ حماية الشرق، والدفاع عن الأقليات الدينية ومقدساتها في منطقتنا العربية. ويصح أن نتساءل في مقامنا هذا: هل كان الشرق بحاجة إلىٰ من يستعمرونه وينهبونه، أم كان في شوق إلىٰ من يساعدونه ويتعاونون معه؟!

- ودافع هذا الوريث الأمريكي عن نظام الحماية الذي فرضه الاستعمار علىٰ بلادنا؛ وهي الحماية التي ارتدت -كما لاحظنا- ثوب «الانتداب». واعترف الرئيس الأمريكي (جونسون) بحقوق إنجلترا وفرنسا في مستعمراتها العربية.

- ولم يزل هذا الوريث الأمريكي -حتىٰ يومنا هذا- يخضع في سياساته لـ«الصهيونية المسيحية». وهو المذهب الذي يربط بين ظهور السيد المسيح، وعودة اليهود إلىٰ فلسطين وتمكينهم منها.

كان لدىٰ هذا الوريث الاستعماري الجديد إرثه من الإجرام. وهو الإرث الذي يتشابه مع جرائم الصهاينة في منطقتنا العربية! كانوا جميعًا من «أرباب السوابق» في «التخلص» من الشعوب وفي «إبادتهم». جرائم ارتكبها المهاجرون هناك في حق «الهنود الحمر». وجرائم يرتكبها المهاجرون إلىٰ بلادنا، وما زال العرب يدفعون ثمنها حتىٰ يومنا هذا. إليك عزيزي القارئ كلمات (مارك توين) أبو الأدب الأمريكي. ولاحظ كيف يصف الفلسطينيين في رحلته؛ والتي تضمنها كتابه: «أبرياء في الخارج»؛ الذي صدر سنة ١٨٦٩م:

> جلس هذا الصباح خلال الإفطار التجمع المُعتاد للبشر القذرين ينتظرون أن يُلقىٰ إليهم الفتات نظرا لبؤسهم، لقد ذكروني بالكثير من الهنود الحمر، جلسوا في صمت وصبر لا يكل

> يراقبـون حركاتنـا بتلـك الوقاحـة المقيتـة التـي هـي فعـلًا مـن صـفات الهنـود الحمـر، والتـي تجعـل الرجـل الأبـيض عصـبيًّا وهمجيًّـا يـود إبـادة القبيلـة والحشــرات تــأكلهم والأوســاخ قــد غطــت أجسادهم.

عزيزي القارئ: أرجو أن تغفر لي، ومعك أستاذنا المؤلف، هذا الحديث عن جذور الصهيونية، وصلتها المُبكرة بالاستعمار والوطن العربي؛ فقد ارتضىٰ أستاذنا أن يكون هذا الحديث مقدمة لكتابه. ومن جذور الحركة الصهيونية انطلق أستاذنا في تتبع النشاط الصهيوني في مصر. وذلك قبيل الزيارة التي قام بها (تيودور هرتزل) إليها في مارس ١٩٠٣م، وحتىٰ ما بعد نكبة فلسطين في مايو ١٩٤٨م.

وستجد في هذا السفر الموجز: ملاحظات قيِّمة عن حرية الحركة التي تمتعت بها الصهيونية في مصر خلال تلك السنوات. والدعم الذي كانت تتلقاه من شخصيات وهيئات شتىٰ؛ بدءًا من الأسرة المالكة، مرورًا بالنخب السياسية، وانتهاءً بالكثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين.

وفي هذا الإطار: تناول أستاذنا مسألة العلاقة بين المحافل الماسونية في مصر والحركة الصهيونية. وهي المسألة التي كانت -ولم تزل- في حاجة إلىٰ المزيد من البحث؛ نظرًا للعلاقة بين تلك المحافل، وبعض قادة الحركة الوطنية المصرية حتىٰ قيام ثورة ١٩١٩م.

وكان نصيبنا من الدقة والأناة -التي يتمتع بها أستاذنا- تلك اللفتة الهامة. ونقصد بها: كيف أنه رصد واحدة من أقدم الحركات المعادية للصهيونية في مصر. وهي الحركة التي قادها نفر من اليهود الشيوعيين في مصر، واتخذت اسمًا لها هو «الرابطة الإسرائيلية لمناهضة الصهيونية»، والتي أصدرت بيانها التأسيسيّ في شهر يونيو ١٩٤٧م.

وإليك -عزيزي القارئ- العبارات التي وثقها أستاذنا المؤلف، نقلًا عن سكرتير الرابطة (عزرا هراري) في الخامس من مايو سنة ١٩٤٧م. لا حظ فيها الوعي بمسألة الصهيونية وعلاقتها بالاستعمار:

> أما الصهيونية خادمة الاستعمار فتريد أن تربط اليهود بعجلة الاستعمار وأن تجعلهم عبيدًا لتنفيذ مأربه الحقير من خلال سياسة «فرق تسد» التي تبعها في فلسطين وخلال سياسة إنشاء دولة صهيونية في فلسطين، تصبح رأس الرمح الاستعماري ضد شعوب البلاد العربية.

وكان من الطبيعي أن يعرُج أستاذنا علىٰ الجانب الاقتصادي للظاهرة، وما رافقها من الدعاية الإعلامية والأنشطة الخيرية. وذلك حين انبرىٰ يفسر الازدواجية التي خضعت لها الشخصية اليهودية في مصر خلال تلك السنوات. وكيف كان الكثير من اليهود المصريين: ينازعون إيمانهم بالفكرة

الصـهيونية ومزاعمهـا في فلسـطين. وحرصـهم -في ذات الوقـت- علىٰ مكاسبهم الاقتصادية ومكانتهم الاجتماعية في مصر.

وستجد في هـذا السـفر فصلًا عـن أهـم الشخصيات والعـائلات اليهوديـة، ودائرة نفوذها الاجتماعي والسياسي. وستجد -أيضًـا- أسـتاذنا وقـد وضـع علامـة الاسـتفهام الحاسـمة، وهـو يشـير إلىٰ الجانـب المُسلح في الحركـة الصـهيونية في مصـر، وإرهابهـا ضـد المصـريين ومصـالحهم، وخطتهـا في الاستيلاء علىٰ الأراضي الفلسطينية واستيطانها.

وستجد أيضًا صفحات طوال، قدم أستاذنا فيها ملاحظاته عـن الـدعم الـذي قدمتـه التنظيمـات الماسـونية في مصـر، للصـهاينة وحـركتهم وأنشـطتهم. وعـرض فيهـا تفسـيره للَّغـط الـذي يتعلـق بعلاقـة الكثيـر مـن رمـوز الحركـة الوطنية والأدبية والفنية في مصر بالتنظيمـات الماسـونية. وهـي مسـألة يحلـو للـبعض فيهـا أن يهـاجم بعـض الزعمـاء السياسـيين والمفكـرين والفنـانين؛ أمثال: جمال الدين الأفغاني، وعبد الله النديم، ومحمد فريد، ومحمد عبده، وسعد زغلول، ومحمود المليجي، وآخرين...

وهنا لاحظ أستاذنا تأثير السمعة الطيبة للتنظيمات الماسونية، وهي السـمعة التـي نشـأت -بالأسـاس- بسـبب تبنيهـا شـعار الثـورة الفرنسـية بخصـوص «الحرية والإخاء والمسـاواة». ولقـد تكشـف زيـف الدعايـة، التـي اعتمـدت عليها تلك التنظيمات بعد سنوات، حينما حاول نفر من الزعماء المصـريين

الحصول علىٰ تأييد التنظيمات الماسونية؛ في نضالهم ضد الظلم والاحتلال الأجنبي.

وقد احتاج الأمر سنوات أخرىٰ: حتىٰ صدر القرار بإلغاء جميع الجمعيات الماسونية في مصر سنة ١٩٦٤م. لقد تراكمت عناصر الشك والريبة؛ بسبب إصرار تلك التنظيمات علىٰ الطابع السري في أهدافها وهياكلها. وتحول الحديث -الخافت- عن علاقتها بالحركة الصهيونية إلىٰ اتهامات صريحة واضحة. في الوقت الذي تبددت فيه الشكوك حول أطماع الكِيان الصهيوني وحلفه الاستعماري؛ في بلادنا العربية وثرواتها وخيراتها وأسواقها.

ومع ذلك سيبقىٰ السؤال عن الوعي المُتأخر بين المصريين بالصهيونية وخطورتها في تلك السنوات. ونقصد بها السنوات التي تناولها أستاذنا بالدراسة والتحليل: من ١٨٩٧م إلىٰ ١٩٤٨م. وقد يقول قائل: إن الأمر كان قد ارتبط بالعهد الذي لم يكن أمر المصريين فيه بأيديهم. بالنظر إلىٰ خضوعهم في تلك العهود للمُحتل الإنجليزي؛ وهو الراعي الرسمي للمشروع الصهيوني في تلك الفترة. وبجانب ذلك الحلف الاستعماري: كان هناك تحالف آخر يقوده ملوك مصر وأعوانهم. وأغلب هؤلاء كانت قد ارتبطت مصالحهم الاقتصادية والسياسية بالغرب الأوروبي عامةً، وبالاحتلال الإنجليزي علىٰ وجه الخصوص.

وينبغي أن نقرأ الملحوظة السابقة علىٰ ضوء الوجود الاجتماعي والنفوذ الاقتصادي لليهود في مصر في تلك الفترة. كانت أغلبية اليهود من أصول

أجنبية، وهؤلاء كانوا يمثلون نسبة (٨٢٪) من إجمالي اليهود المقيمين في مصر؛ طبقًا لإحصائية أُجريت في العام ١٩٤٧م. وهؤلاء كانوا عصب الرأسمالية اليهودية في مصر، وكانوا يتحكمون في نسبة (٩٥٪) من الشركات المصرية، منذ النصف الثاني من القرن الـ١٩.

وهنا يجب أن نستشهد بملحوظة دقيقة ساقتها أستاذتنا د. عواطف عبد الرحمن. عندما لاحظت العلاقة المبكرة بين الحركة الصهيونية والنظم المُستبدة في منطقتنا العربية. وكشفت في الواقع عن العلاقات والمصالح الاقتصادية؛ التي ربطت بين الصهيونية، ونفر من قادة العمل السياسي والتنفيذي في مصر. وأغلبهم ممن كانوا ينتمون لأحزاب الأقلية، ويتخذون من حزب الوفد عدوًّا. ومع ذلك يجب الإقرار بأن حزب الوفد كان قد انسلخ عن تلك المواقف الداعمة للصهيونية، ثم جهر بدعمه للحق الفلسطيني، والتنبيه علىٰ علاقة الصهيونية بالمشروع الاستعماري في مصر وبلادنا العربية. ويمكننا أن نؤرخ لهذا التوجه الصريح منذ أواخر العشرينيات من القرن العشرين. وإليك عبارة الزعيم (مصطفىٰ النحاس) زعيم الوفد ورئيس الحكومة المصرية في العام ١٩٣٧م:

> لا أستطيع أن أحس بالاطمئنان وأنا أفكر في قيام دولة يهودية علىٰ حدود مصر؛ إذ ما الذي يمنع من أن تدعي تلك الدولة حقًّا لها في سيناء فيما بعد؟

وقد يُقال -أيضًا-: إن تلك السنوات كانت تشهد ظاهرة أخرىٰ، ونقصد بها انتشار -بل وازدهار- مبدأ القوميات في بقاع شتىٰ، وبين كثير من الأمم. وفيها كانت القومية والليبرالية المصرية تخطو خطواتها المُبكرة. وفي هذا الإطار: قد يجد البعض تفسيرًا لذلك التعاطف الذي وجدته الصهيونية -ومزاعمها القومية- بين قادة الحركة الليبرالية ودعاة القومية المصرية. ولقد انعكست تلك الليبرالية علىٰ دستور الثورة؛ ونقصد بها ثورة ١٩١٩، عندما تبنىٰ مبدأ الحريات الدينية وحرية التعبير عن الرأي.

وثمة زاوية أخرىٰ لذلك الإطار الفكري والقانوني؛ أشرنا إليه في هذا الموضع. وهو أن مصر كانت تشهد -أيضًا- تيارًا فكريًّا مؤثرًا، يتحلق أنصاره حول نبذ العروبة. ويتخذون من القومية المصرية درعًا، ويتطلعون إلىٰ شعوب البحر المتوسط وحضاراتهم.

وسواءً صح هذا التفسير أو ذاك، فإن الأمر سيبقىٰ محل اجتهاد وموضع تفسير واختلاف. وستبقىٰ مصر وفلسطين حارةً متصلة. يبدأ أولها وينتهي في عنوان واحد، ومستقبل مفتوح بالأمل والإشراق. وذلك لمن كان شعاره وعمله -ولم يزل-: «قـــاوم»!

وأخيرًا: فقد تأخرت الطبعة -التي بين يديك عزيزي القارئ- أكثر من أعوامٍ ثلاثة؛ لظروف خارجة عن إرادتنا. ومع ذلك فإنه لم يكن لتظهر طبعة الكتاب الأولىٰ، دون أن نتذكر معًا: الصديق د. السيد عبد السلام، المناضل السياسي، وطبيب الغلابة في شبراخيت. والذي وافته المنية أثناء كتابة هذه المقدمة، في

الأربعاء الموافق ٢١ أغسطس ٢٠١٩م. وكنت قد شرُفت بإصدار وتحرير كتابه الهام ودراسته القيمة: «الصراع فوق أرض فلسطين». وذلك ضمن إصدارات «المعمل القانوني»، في العام ٢٠١٨م.

وأخيرًا فإنه لم تنته السنوات الثلاث إلا بفجيعة أخرىٰ، في أستاذتنا المناضلة، وإحدىٰ رواد التنوير والوطنية بالثغر السكندري: د. سهير عبد الظاهر. واسمح لي -عزيزي القارئ- أن أتوجه بتحية العرفان والتقدير إلىٰ أرواح من رحلوا من أساتذتنا. وإلىٰ روح أستاذتنا وذكرياتنا في «بيت الكرم والجدعنة» بالسيوف - إسكندرية.

وإنني لأرجو من أستاذنا أن يغفر لي تأخري في طباعة ونشر هذا الكتاب الممتع والفريد. وحسبي أنني معه -وفي معيته- أفتتح فصلًا -جديدًا- من الوفاء للأحباب.. ومن ألم الفراق!.

المُخلص: أحمد بغدادي

إســكندرية

تم كتابتها في أغسطس ٢٠١٩م - ذي الحجة ١٤٤٠هـ

وتحديثها في إبريـل ٢٠٢٢م - رمضـان ١٤٤٣هـ

الفصل الأول

اليهودية والصهيونية

تمهيد: ما هي الصهيونية؟

يشتق اسم الصهيونية من كلمة صهيون التوراتية، وهو الاسم المرادف التقليدي لأورشليم القدس وأرض إسرائيل. والصهيونية هي أيديولوجية تمثل التطلع المستمر لليهود في أنحاء العالم إلىٰ استرداد وطنهم القومي التاريخي أرض إسرائيل. بدأ مُصطلح الصهيونية في التبلور عند منتصف القرن التاسع عشر. وأخذ مفهومه الأساسي في المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م ـ في بازل. عندما تبنىٰ مقولة أن القومية والعرق والشعب شيء واحد. وأصبح مصطلح الشعب اليهودي يُشير إلىٰ جماعة عرقية، بعد أن كان المُصطلح يُشير إلىٰ جماعة دينية اثنية.

وتبلور مصطلح الصهيونية تمامًا في تصريح جيمس بلفور -وزير الخارجية البريطانية-، والذي تحدث عن الشعب اليهودي بصفته شعبًا بلا أرض، وتحدث عن فلسطين بصفتها أرضًا بلا شعب. والصهيونية حاليًّا تعني الاستعمار الاستيطاني في فلسطين. ونرىٰ الآن أساس الإجماع الصهيوني في وجود دولة يدعمها الغرب ويضمن بقاءها. وتقوم هي علىٰ خدمته، وتجنيد يهود العالم لخدمتها وخدمة العالم الغربي. وقد تضمن تصريح بلفور المذكور: «ليكن مفهومًا بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق أو الأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أي دولة أخرىٰ». سوف أكون مدينًا بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح للاتحاد الصهيوني.

والبطاقة الشخصية في إسرائيل تتضمن: المواطنة ـ الدين ـ القومية. المواطنة تضم جميع المقيمين علىٰ أرض إسرائيل بما فيهم فلسطينيو ١٩٤٨م – والدين يُكتب كما هو للشخص، يهودية لليهودي، ومسيحية للمسيحي، ومسلم للمسلم. والقومية تُكتب عربية للعرب، ويهودية لليهود. يتبين من ذلك ضرورة أن يكون الصهيوني يهودي الدين ويهودي القومية.

اليهــود في مصــر الحديثــة

حققت الطائفة اليهودية في مصر ازدهارًا علىٰ المستوىٰ الاجتماعي والاقتصادي؛ أتاح لزعمائها نفوذًا سياسيًّا وماليًّا وعلاقات قوية بالقصر الملكي. وحققوا أيضًا ازدهارًا ثقافيًّا؛ تمثل في حرية التعبير المطلقة من خلال الصحف والمجلات. التي كانت أبرز وسائل التعريف بالفكرة الصهيونية. وامتد هذا النشاط الثقافي إلىٰ مجالات الأدب والمسرح والموسيقىٰ والسينما. وتربعت العائلات الأرستقراطية منهم علىٰ قمة الهرم الاجتماعي. وتُعد الطائفة اليهودية التي استقرت في مصر من أكبر الطوائف اليهودية في العالم العربي، وأكثرهم نفوذًا وانفتاحًا ومشاركة في مختلف المجالات.

كانت التركيبة الأساسية للسكان اليهود في مصر تتكون من اليهود الناطقين بالعربية، وهم الربانيون والقراءون، والذين انضم إليهم السفارديم بعد طردهم من إسبانيا. وانضم إليهم الاشكيناز، الذين بدءوا في الوصول إلىٰ مصر في أعقاب المذابح التي دُبرت لليهود في أوروبا؛ في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

طوائـف اليهــود في مصـر

تواجد في مصر طوائف اليهود الثلاث، القراءون والربانيون، والسامرا. من الناحية العقيدية يوجد خلاف بسيط القرائين والربانيين، بينما يوجد خلاف واسع بينهما وبين طائفة السامرا لدرجة إخراجهم من الديانة اليهودية. إلا أن السلطات المصرية اعترفت بالطوائف الثلاث كيهوديي الديانة، ولم تتدخل في خلافاتهم.

❖ اليهود القراءون

عند نهاية القرن الثامن الميلادي أسس عنان بن داود في بغداد مدرسة فكرية؛ لفهم الديانـة اليهودية. تبعها عدد كبير من اليهود الذين أسسوا طائفة يهودية جديدة أطلق عليها طائفة القرائين؛ وكلمة "قرأ" تعني "دعا". وهم يؤمنون بأسفار العهد القديم من الكتاب المقدس، ولا يعترفون بالتلمود أو بتعاليم الحاخامات، ولهم عادات خاصة بالطعام والملبس.

ومن العائلات المصرية الشهيرة من القرائين التي عاشت في مصر عائلات: ليشع ـ مسعودة ـ فرج – عبد الواحد. ومن الشخصيات الشهيرة من القرائين: يوسف درويش – مراد فرج ليشع المُحامي.

وأصدر عدد من أقطاب طائفة اليهود القرائين وثيقة جاء فيها: «يستنكر رجال الطائفة الإسرائيلية القراءون الأحداث الإرهابية والأعمال الإجرامية التي يقوم بها بعض الصهاينة في فلسطين بمساعدة الإنجليز، ونحن نقرر أننا نريد أن نعيش

في صفاء ووئام مع العرب والمسلمين في شتىٰ الأقطار وأن نبادلهم الحب والإخلاص، ونضم إخواننا إلىٰ تلك الصرخة التي تناشد يهود مصر والعالم بأن يكفوا عن مساعدة الصهيونية المدمرة في فلسطين، حتىٰ تُحل قضية فلسطين ونعود كما كنا إخوة متحابين».

وكان من بين الموقعين كل من: يعقوب يافث – موسىٰ عبد الله – ليتو فرج مسعود – توفيق إلياهو – إبراهيم الجميل – إبراهيم فرج – ليشع عبده ليشع – باروخ السرجاني – إبراهيم كوهين – مسعود موسىٰ أصلان.

❖ اليهود الربانيون

يُعد الربانيون أكبر الطوائف اليهودية، وكلمة "رباني" تعني "الإمام" أو "الفقيه". يؤمن الربانيون بالعهد القديم من الكتاب المقدس –التوراة– وعدد أسفاره ٣٩ سفرًا، والتلمود وعدد أسفاره ٦٣ سفرًا. وهو يضم أعمالًا للفقهاء اليهود خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين. وكلمة "تلمود" تعني "تلميذ". وفي مصر كان الربانيون أيضًا الأكثر عددًا؛ لذا كان يتم اختيار الحاخام الأكبر من بينهم.

❖ اليهود السامرة

وهي طائفة صغيرة العدد من اليهود لا يعترف بها الربانيون أو القراءون. واعترفت السلطات المصرية بهم كطائفة يهودية. ونشأت في السامرة بفلسطين عام ٧٣٨ ق.م، ولا يؤمنون سوىٰ بالأسفار الخمسة الأولىٰ من التوراة.

أعـــداد اليهـــود في مصـــر

بعد قيام رأسمالية الدولة المصرية التي قادها محمد علي باشا -الوالي العثماني علىٰ مصر- لم يكن عدد اليهود في مصر يتعدىٰ ١٧٧٥ شخصًا. وكان معظم نشاطهم مقتصرًا علىٰ النواحي الإدارية وبعض التمويلات الرأسمالية الربوية لحركة التجارة. ولم يكن لهم نشاط قوي في عمليات الرهن العَقَاري والزراعي. حيث كانت الطبيعة الإدارية للاقتصاديات الزراعية في مصر لا تتيح لرأس المال الخاص دورًا قويًّا. وبالإضافة إلىٰ تحكّم محمد علي في المدخلات التمويلية للعملية الزراعية، وكذلك في المخرجات المحاصيلية، كل ذلك جعل الدور اليهودي محدودًا إلىٰ حدٍّ كبير. ولكن في عهده أيضًا زاد عدد الوجود اليهودي في مصر بدرجة كبيرة، عبر قدوم اليهود الفارين من الأمصار والولايات العثمانية. وتزايد العدد من ١٧٧٥ عام ١٨٠١م إلىٰ نحو سبعة آلاف عام ١٨٣٦م. وذلك في مقابل ٢٦,٦٠٠,٠٠٠ من المصريين المسلمين، و١,١٥٠,٠٠٠ من الأقباط و١٢,٠٠٠ من الأتراك العثمانيين، و٧٠,٠٠٠ من البدو الأعراب.

وجدير بالذكر أن ٩٣٪ من اليهود لم يحملوا الجنسية المصرية؛ بل إنهم كانوا يحملون جنسياتٍ إيطالية وفرنسية ويونانية وفارسية وبريطانية. والبعض منهم لم يحمل جنسية علىٰ الإطلاق، حيث كانوا من رعايا الدولة العثمانية من الصرب ولتوانيا والنمسا، وهربوا دون هُويَّة. ووافق محمد علي علىٰ منحهم الحماية الأجنبية بعد ضغط من السير منتيفوري مبعوث اليهود البريطانيين.

ومع التحفظ على جميع التقديرات -الخاصة بأعداد السكان قبل تعداد ١٨٩٧م- يمكن القول إن ازدهار اليهود في تاريخ مصر الحديث بدأ في أعقاب افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م. وكانت أعدادهم لا تزيد على أربعة آلاف نسمة. ومع تزايد التواجد الأجنبي في مصر تزايدت أيضًا أعداد اليهود منهم. ويُقدر أعداد اليهود في مصر عند نهاية القرن التاسع عشر بنحو ثلاثين ألف نسمة. وفي عام ١٩٠٧م ثمانية وثلاثين ألفًا، وفي عام ١٩١٧م ستين ألفًا. وباندلاع الحرب التركية اليونانية عام ١٩٢١م وفدت إلى مصر مجموعات من الأسر اليهودية من تركيا واليونان وبعض الدول الأوربية الأخرى. وبلغ عددهم عام ١٩٢٧م أربعة وستين ألفًا، انخفض إلى ثلاثة وستين ألف عام ١٩٣٧م. ويعود للارتفاع مرة أخرى عام ١٩٤٧م ليصل إلى ستة وستين ألف نسمة.

برز حاجز عدم الثقة في اليهود عام ١٩٤٨م بعد اكتشاف عدد من شبكات التجسس، ولذلك ازدادت هجرة اليهود من مصر بعد اختراق رومل الحدود المصرية ووصوله للعلمين. وكان الخروج بحجة الذهاب إلى أوروبا، ومن هناك تتغير وجهتهم. وذهب بعضهم إلى إسرائيل وأسسوا مستعمرة هياحزوت بجوار بئر سبع، كما أسسوا كيبوتز ناحشونيم.

بدأت النهاية ورحلة اليهود الأخيرة للخروج من مصر، فكانت الإحصاءات عام ١٩٦٠ تسجل وجودًا يصل إلى ٨٥٦١ يهوديًا. وفي عام ١٩٦٦ انخفض العدد إلى ١٥٠٠ يهودي. معظمهم من العجزة والنساء والأطفال، ومن فقراء

اليهود الذين آثروا البقاء بحكم أنه ليست لهم مصالح في تل أبيب. وكذلك فإن الحكومة الإسرائيلية لم تجد في وجودهم أية مصلحة ولا فائدة.

جنسيات اليهود في مصر

الجنسية	العدد		النسبة المئوية ٪	
	١٩١٧	١٩٢٧	١٩١٧	١٩٢٧
مصريون	١٤٤١٧	٢١٩٩٤	٢٢	٣٣
أتراك	١٠٨٠	–	–	–
فرنسيون	٧٧٦	١٢٤٦	١٠	٢٢
إيطاليون	٦٦٨	٥٧٤٦	–	–
بريطانيون	٣٤٣	٤٩٤٩	–	–
غير مُحدد	٤٢٢٩٦	٢٩٦٣٢	٧٠	٤٥
الإجمالي	٥٩٥٨٠	٦٣٥٦٧	١٠٢	١٠٠

بداية النشاط الصهيوني في مصر

بدأ النشاط الصهيوني في مصر قبل المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال، في ٢٩ أغسطس ١٨٩٧م بستة أشهر. حيث بدأ تكوين الروابط والجمعيات الصهيونية في مصر منذ فبراير ١٨٩٧م. واستمرت تلك الروابط والجمعيات في العمل بحرية، دون معيقات تذكر من قبل السلطات المصرية أو البريطانية، حتى بدايات عام ١٩٤٨م. كانت الحكومة المصرية والشعب

المصري وحتىٰ اليهود المصريون غير مدركين لخطورة المشروع الصهيوني ولا لطبيعة تحركاته حتىٰ وقت متأخر جدًّا. وأن مساعدة يهود مصر لليهود المهاجرين من أوروبا إلىٰ فلسطين كانت من منطلق مساعدة إخوانهم المضطهدين؛ وليس لتنفيذ أهداف الصهيونية العالمية. وأن بعض اليهود المصريين لم يروا في تأييدهم للصهيونية تعارضًا مع مصريتهم، علىٰ الأقل في بادئ الأمر. وحين كان حاييم وايزمان علىٰ رأس البعثة الصهيونية في القاهرة، في عام ١٩١٨م، قابل شيخ الأزهر الذي قدم له تبرعًا باسم المنظمة الصهيونية العالمية قدره ١٠٠ جنيه. وكثيرًا ما حضر وزراء ومحافظون احتفالات الحركة الصهيونية، وكثيرًا ما استقبل زعماء الصهيونية العالمية في مكاتب أكبر المسئولين المصريين. وعندما كان ليون كاسترو نائبًا لرئيس الاتحاد الصهيوني، كان في الوقت نفسه أحد مساعدي سعد زغلول، وناشطًا في ثورة ١٩١٩ ضد الإنجليز.

وقد تم تقييد بعض تلك التحركات الصهيونية في نوفمبر ١٩٤٥م، بعدما خرج اليهود في مظاهرات كبيرة تأييدًا لذكرىٰ وعد بلفور. إذ أثارت هذه المظاهرة حفيظة الشعب والصحافة وخطباء المساجد؛ فخرجت مظاهرات مضادة ووقعت اشتباكات. ومع ذلك استمرت مكاتب ونوادي الحركة الصهيونية مفتوحة حتىٰ إعلان مصر الحرب علىٰ إسرائيل في عام ١٩٤٨م. وقام بعض اليهود في مصر بتشكيل لجان لمساعدة اليهود، عن طريق تشكيل صندوق إغاثة اليهود في فلسطين، الذي تأسس في الإسكندرية، وكان

مستودعًا صبت فيه أموال التبرعات، التي تم جمعها من الدول الأخرىٰ، ثم إرسالها إلىٰ فلسطين، بعد تعذر إرسالها بالطرق الأخرىٰ، بسبب الحرب. أعطىٰ هذا العدد الكبير من المستوطنين الصهاينة في مصر، دفعة قوية للنشاط الصهيوني، حيث كانت هناك دروس مكثفة لتعليم اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، والتدريب العسكري، داخل هذه المعسكرات، بهدف جذب المزيد من التأييد والدعم للحركة الصهيونية.

وكانت الحركة الصهيونية قد نشطت في الأوساط اليهودية في مصر، بسبب عدم انتماء الكثير من أبنائها إلىٰ المجتمع المصري، باعتبارهم أجانب في الأغلب. وبالتالي كانت رؤيتهم لحل المسألة اليهودية هي الرؤية الغربية الاستعمارية نفسها. القائمة علىٰ طرد اليهود من أوروبا، وليس علىٰ اندماج اليهود في مجتمعاتهم، ونضالهم مع أبناء وطنهم نحو مجتمع ديمقراطي غير مُستغِل.. أما بخصوص انضمام الجماعات اليهودية في مصر إلىٰ الحركة الصهيونية، فيمكن القول إن أعدادًا محدودة من اليهود في مصر انضمت إلىٰ النشاط الصهيوني، قبل قيام الحرب العالمية الثانية. وانحصرت -في الأغلب- في أوساط اليهود الأشكيناز، أي اليهود الأجانب. فالسؤال المطروح الآن هو: لماذا لم تقف النخبة المصرية الحاكمة في مواجهة النشاط الصهيوني، الضار بأمن مصر القومي، والضار بمستقبل الأمة العربية، كما أثبتت التجرِبة التاريخية، لاحقًا؟

مُعــادة الســامية وهجـرة اليهــود

رغم أن الصهيونية تعبر عن الرابطة التاريخية بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل. غير أن ظهور الصهيونية المعاصرة -كحركة وطنية ناشطة في القرن التاسع عشر- ليس من الواضح أنه كان يتم بمعزل عن ظاهرة مُعادة السامية المعاصرة، وحالة الاضطهاد المستمر طوال قرون التي تعرض لها اليهود في المهاجر. هُجر اليهود خلال قرون من معظم الدول الأوروبية؛ ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وويلز وإسبانيا والبرتغال.

والحديث عن تجرِبة مُتراكمة كان لها صدىٰ كبير خاصة في القرن التاسع عشر، تلك الفترة التي فقد فيها اليهود الآمال في احتمال حدوث تغيير جذري في حياتهم. هذه الأجواء كانت مصدر ظهور القادة اليهود الذين تبنوا الصهيونية؛ نتيجة لخطورة ظاهرة معاداة السامية التي كانت سائدة في المجتمعات المحيطة بهم. وسعت الحركة الصهيونية إلىٰ حل القضية اليهودية، مشكلة الأقلية الدائمة، مشكلة الشعب الذي يتعرض مرارًا وتكرارًا للاضطهاد. سعت الصهيونية إلىٰ مواجهة هذه الأوضاع من خلال تحريك عملية عودة اليهود إلىٰ وطنهم التاريخي أرض إسرائيل. كانت غالبية موجات هجرة اليهود الضخمة إلىٰ إسرائيل في التاريخ المعاصر بمنزلة رد مباشر علىٰ أعمال القتل والتمييز التي استهدفت اليهود. ذلك أن الهجرة الأولىٰ كانت ردًّا علىٰ المجازر في روسيا خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر. وجاءت الهجرة الثانية ردًّا علىٰ مجزرة كيشينييف وموجة من

المذابح ضد اليهود في أوكرانيا وروسيا البيضاء في مطلع القرن العشرين. أما بالنسبة للهجرة الثالثة فجاءت عقب المذابح التي استهدفت اليهود خلال الحرب الأهلية في روسيا. والهجرة الرابعة كان مصدرها بولندا، وتمت خلال العشرينيات من القرن الماضي علىٰ خلفية القوانين التي صدرت للحد من النشاطات الاقتصادية لليهود في بولندا. والهجرة الخامسة كانت خلفيتها فرار اليهود من النازية في ألمانيا والنمسا.

هرتـــزل، ووايزمـــان في القاهـــرة



وصل تيودور هرتزل إلىٰ لقاهرة في ٢٣ مارس ١٩٠٣م وغادرها في ٤ إبريل ١٩٠٣م. واستقبل استقبالًا حافلًا من اليهود في مصر. وكان سبب حضوره أنه كان عضوًا فيما عُرِف باللجنة الصهيونية التي وصلت إلىٰ القاهرة لترويج مشروع الاستيطان في العريش. وفي يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ١٩٣٨م احتفل يهود الإسكندرية بزفاف الملك فاروق في معبد إلياهو هنابي بشارع النبي دانيال. وحضر الاحتفال الأمير عمر طوسون، وألقىٰ الحاخام خطبة باللغة العربية دعا فيها للملك بالخير، وانتهىٰ الاحتفال بترديد نشيد الهاتكفا. قام تيودور

هرتزل بزيارة مصر عام ١٩٠٣م، ورحَّبت به جمعية باركوخيا، وقدَّمته إلىٰ بعض الشخصيات اليهودية في مصر. وفي ١٢ أغسطس ١٩١٨م شُكِّلت لجنة بالإسكندرية؛ لتأييد اليهود في فلسطين.



وبعد ذلك بيومين، وصَل حاييم وإيزمان إلىٰ القاهرة، وقوبل بترحيب حار. وعاد مرة أخرىٰ للقاهرة في نهاية ديسمبر ١٩٢٢م بصحبة الكولونيل كيشي، وكان في استقبالهما خمسة آلاف يهودي علىٰ رأسهم جوزيف شيكوريل رئيس الاتحاد الصهيوني، وحمَلوا وايزمان علىٰ أكتافهم. وكانت الجماهير اليهودية تَهتف: «تحيا الصِّهْيَونية»، ثم غنَّت النشيد اليهودي الهاتيكفاه. كان وجود وايزمان مناسبة أُعِدَّت فيها المآدب، وأُلْقِيت فيها الخُطَب. وقام وايزمان بزيارة مصر للمرة الثالثة عام ١٩٣٨م، وقابل رئيس الوزراء ورئيس الديوان الملكي، وموسىٰ شرتوك شاريت أول وزير خارجية لإسرائيل.

من هذا الاستعراض الموجز للنشاط الصهيوني في مصر، خلال الفترة (١٨٩٧– ١٩٤٨م)، تتضح مجموعة من الحقائق، منها أن

الحركة الصهيونية في مصر نعمت بحرية حركة، لم تنعم بها غالبية القوىٰ الوطنية المصرية نفسها. كما حصل النشاط الصهيوني في مصر علىٰ دعم شخصيات بارزة، في الأسرة المالكة، وداخل النخب السياسة الحاكمة. كما يتضح أن الحركة الصهيونية في مصر لم تكن محكمة التنظيم، طوال الوقت، بل شهدت أيضًا فترات ضعف. علىٰ أن النشاط الصهيوني لم يتوقف، طوال هذه الفترة، ولم تتوقف الزيارات المكثفة من قادة الحركة الصهيونية إلىٰ مصر. مما يدل علىٰ أهمية النشاط الصهيوني في مصر، والذي كان له أثر واضح علىٰ مستقبل الحركة الصهيونية ككل. حيث غدت مصر مركز تدريب للكتائب اليهودية الذاهبة من أوروبا إلىٰ فلسطين، ومركز نقل وتهريب للمستوطنين اليهود والسلاح إلىٰ فلسطين.

شهد النشاط الصهيوني في مصر دفعات قوية، خلال الحربين العالميتين الأولىٰ والثانية، من خلال قدوم عدد كبير من الصهاينة إلىٰ مصر، وبفضل الدعم البريطاني لهذا النشاط. لعل من أهم الحقائق في هذا الإطار أن الحكومات المصرية لم تأخذ أية إجراءات معادية -بشكل واضح- ضد النشاط الصهيوني، طوال الفترة من ١٨٩٧ إلىٰ ١٩٤٨م. حتىٰ إن قرار النحاس بوقف نشاط الاتحاد الصهيوني، لم يستمر إلا شهورًا قليلة؛ مما جعل بعض الباحثين يقرر أنه لم يصدر أي قانون يحظر الأنشطة الصهيونية في مصر، حتىٰ عام ١٩٤٨، مع بوادر الحرب في فلسطين.

اليهود والجنسية المصرية

كان هناك ازدواج في الشخصية اليهودية؛ فهي تؤيد إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، وفي نفس الوقت تحافظ علىٰ المكاسب التي حققتها في مصر. تسابق الأجانب في مصر للحصول علىٰ الجنسية المصرية بعد أن كانوا ينفرون منها للحفاظ علىٰ مصالحهم من رعاية سفاراتهم، وكان من بينهم بالطبع عدد كبير من اليهود. حرص اليهود الأجانب علىٰ الاحتفاظ بجنسياتهم وعدم المطالبة بالجنسية المصرية، وسعىٰ بعض اليهود المصريين للحصول علىٰ جنسية أجنبية، بل هناك من اشترىٰ جنسية بعض البلدان الأجنبية من سماسرة كانوا مختصين في هذا المجال. كان ذلك بعد صدور القانون رقم ١٣٨ لسنة ١٩٤٧م والخاص بضرورة أن تكون نسبة العمال المصريين ٩٠٪ من جملة العمال، ونسبة الموظفين ٧٥٪ من جملة الموظفين في الشركات، ومع ضرورة توفر مصريين في مجالس الإدارة. وحدث التحول العكسي وازداد إقبال اليهود الأجانب للحصول علىٰ الجنسية المصرية.

كان من الطبيعي بعد التوجه الغربي لمصر أن يزداد عدد الأجانب فيها، بما في ذلك اليهود منهم، خاصة بعد الاحتلال البريطاني لها عام ١٨٨٢م، وفي ظل الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة. ومن ثم أصبح عدد اليهود المصريين قليلًا بالنسبة لعدد اليهود الأجانب. في نفس الوقت انتعشت الاستثمارات الرأسمالية الأجنبية في جميع المجالات التجارية والصناعية

والزراعية والمالية. ظلت ازدواجية الانتماء مشكلة رئيسية لليهود بعد تبلور الحركة الصهيونية، وتتمثل ازدواجية اليهود في الادعاء بالتميز من باقي البشر والادعاء بالاضطهاد. وظل الموقف الشهير للحاخام الأكبر ناحوم أفندي إزاء سؤال موصيري له حول: كيف يكون الإنسان مخلصًا لبلده الذي يعيش فيه وفي نفس الوقت يكون مواليًا لوطنه القومي اليهودي؟ عندها لاذ الحاخام الأكبر بالصمت.

يهــود ضد الصــهيونية

الرابطة الإسرائيلية لمناهضة الصهيونية

أسّس الشيوعيّون من ذوي الأصول اليهوديّة الرابطة الإسرائيليّة لمناهضة الصهيونيّة. حيث قامت منظمة إيسكرا - الشرارة بتأسيس الرابطة، وكان المؤسسون كل من: مارسيل إسرائيل - عزرا هراري - روبير ستون - إدوارد ستالون - هانز بنكا سفيل.



وتم تعيين عزرا هراري سكرتيرًا للرابطة لأنه كان المصري الوحيد بين المؤسسين. أصدرتْ الرابطة بيانها التأسيسيّ في يونيو ١٩٤٧م، واعتــبرتْ فيــه الصــهيونيّة أداةً لخدمة السياسة الاستعماريّة... تريــد اســتخدامَ اليهــود لتأكيــد

سيطرتها علىٰ الشرق الأوسط. واتَّهمت الرابطة الصهاينة بصرف اليهود عن الكفاح ضد عدوِّهم الأوَّل -ألا وهو الفاشيَّة- وبالتعاون المتزايد مع عناصر مشهورة بنزعتها الفاشية. وفي ذلك خيانة لا تُغتفر للقضيَّة اليهوديَّة، هذه القضيَّة التي لا يمكن فصلُها عن قضيَّة الشعوب عامَّة.

الغريب أنَّ النشاط الصهيونيّ في تلك الآونة في مصر كان نشاطًا شبهَ علني. وكانت عمليات تجنيد الشباب اليهودي تجري علىٰ قدمٍ وساق؛ بل شهدت مدنٌ مصريّةٌ عديدةٌ، منها الإسكندرية، استعراضاتٍ شبه عسكريّة للتنظيمات الشبابيّة الصهيونيّة من دون أن تعترضها السلطات. في الوقت الذي كانت تطارد اليهودَ الشيوعيّين، وتتعقّب حركاتهم وأنشطتهم. اعتقل محمود فهمي النقراشي أعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة في مايو ١٩٤٧، ثم أفرج عنهم، ليقوم في شهر يونيو ١٩٤٧م بحل الرابطة لأسباب تتعلق بالأمن العام. علىٰ الرغم من أن عبد الرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية استقبل كلًا من مارسيل إسرائيل وعزرا هراري بمكتبه، وأعرب لهما عن تقديره لنشاط الرابطة.

ونقرأ في الجريدة الوفدية صوت الأمة ٢٦/ ٤/ ١٩٤٧م في مساء الرابع والعشرين من إبريل ١٩٤٧م: قام فريق الشيوعيين اليهود بمحاولة لدخول نادي اليهود مكابي الضاهر بشكل جماعي؛ فتصدىٰ لهم الصهيونيون واعتدوا عليهم بالضرب، وترأس الجانب الصهيوني كل من ألبرت حاتشويل وروبير أسكي. وأصاب الصهيونيون كلًا من موسىٰ لانداو وأيلي

شيزانة بإصابات بالغة، إلا أن الشيوعيين نجحوا في اقتحام النادي، وهتفوا في داخله بسقوط الصهيونية وحياة الشعب المصري، وبلغت الجرأة الوقحة بأحد الصهيونيين وهو ألبرت حاتشويل إلىٰ حد الإعلان أمام رجال البوليس أنه صهيوني لحمًا ودمًا، وأنه ينتمي إلىٰ عصابة شتيرن وسيمضي في طريقه.

ويقول سكرتير الرابطة عزرا هراري في الجماهير ٥/ ٥/ ١٩٤٧م: «أما الصهيونية خادمة الاستعمار فتريد أن تربط اليهود بعجلة الاستعمار وأن تجعلهم عبيدًا لتنفيذ مأربه الحقير، من خلال سياسة «فرق تسد» التي تبعها في فلسطين وخلال سياسة إنشاء دولة صهيونية في فلسطين، تصبح رأس الرمح الاستعماري ضد شعوب البلاد العربية».

ومارست الرابطة نشاطًا كبيرًا بين اليهود، حتىٰ تمكن يوسف حزان أحد كوادر إسكرا من النجاح في انتخابات نادي مكابي الظاهر؛ ومنه تمكن من جذب عدد كبير من الأعضاء. وفي عام ١٩٣٠م أثناء حكم الوزارة الوفدية حضر إلىٰ مصر المجاهد الفلسطيني حسن صدقي الدجاني لدعم القضية الفلسطينية ولقاء بعض الشخصيات. منعت حكومة الوفد عقد المؤتمرات، وصرح مصطفىٰ النحاس رئيس الحكومة: لا يمكن أن نسمح ببث أية دعاية فلسطينية ضد اليهود في مصر، إذ أن اليهود أقلية ونحن نحافظ علىٰ شعور الأقلية في بلدنا. غير أن الموقف كان قد تغير بعد اندلاع ثورة ١٩٣٦م في فلسطين، وصرح النحاس بأن مشروع التقسيم الذي تعمل بريطانيا علىٰ

تمريره لا يمكن أن يكون حلًا مرضيًا. ووقف بطرس غالي باشا وزير خارجية الوفد في عصبة الأمم معارضًا مشروع التقسيم، مطالبًا بعقد معاهدة بين إنجلترا وفلسطين على غرار المعاهدات مع البلدان العربية الأخرى.

الفصل الثاني

الماسونية في مصر



المحافل الماسـونية ودعم الصـهيونية

كانت المحافل الصهيونية في مصر داعمًا كبيرًا للحركة الصهيونية؛ وبصفة خاصة محفل بناي بيرث. وهو محفل تأسس في الولايات المتحدة الأمريكية، وامتد إلىٰ ألمانيا وبريطانيا وفرنسا. وانتشرت فروع له في عدد كبير من دول العالم، ومن بينها مصر. حيث تأسس فيها محفلان تابعان للمحفل الرئيسي بناي بيرث، هما محفل ماغين دافيد، وقانونه مطبوع باللغة العربية. والآخر محفل ميمونت، وقانونه مطبوع بالألمانية.

بعد وفاة ماركو باروخ تولىٰ موسىٰ بن رابي القيادة، وبعلاقته القوية مع المحفلين حصل علىٰ دعم مالي كبير مكنه من استئجار شقة وتأسيسها لتكون مقرًا لرابطة باركوخيا. والتي وصَل عدد أعضائها في ذلك الوقت إلىٰ أربعين عضوًا، وتزايَد نفوذهم وتأثيرهم. شهدت فترة ١٨٩٨-١٩١٢م ظهور عدد كبير من الجمعيات الصهيونية، التي عمل كل منها بشكل منفصل. كان يهود القاهرة قسمين متعارضين، يمثِّل أولهما وُجَهاء اليهود الذين الْتَفُّوا حول رئيس تجمُّعهم، وحاوَلوا أن يَحتفظوا بسيطرتهم علىٰ تجمُّعات اليهود؛ لضمان امتيازاتهم بصفتهم ممثلين لهم أمام السلطان. وعلىٰ الجانب الآخر، كان هناك المحفل الماسوني بناي بيرث الذي كان بمثابة جماعة ديناميَّة تُدرك تمامًا ما يُسمِّيه اليهود بالقدر اليهودي القومي. وقد وزَّع المحفل اهتماماته علىٰ المستوىٰ الشعبي والمستوىٰ الصهيوني في ظلِّ منظور النهضة اليهودية.

وفي عـام ١٩٢٥م -وبعـد سـنوات مـن الصـراع الـداخلي- الْتَحَمـت هـذه التنظيمـات اليهوديـة. ونسَّـقت فيمـا بينهـا، وعالَجَـت مشـكلاتها المشـتركة، ثـم اتَّجهـت بجهودهـا نحـو تحسـين وإنشـاء تنظيمـات تعليميـة، وصِـحيَّة وخيريـة. وكانـت تعمـل جاهـدة علـىٰ اسـتعادة الشباب اليهـودي الـذي تهـدَّدت يهوديَّتـه؛ بسـبب وجـوده في بيئـة عربيَّـة، وتحسـين ظـروف حياتهـا الاجتماعيـة والثقافيـة بوسـائل تؤكِّـد القوميَّـة اليهوديـة وإرثهـا الرُّوحـي. مُـبرزة هـذا الشـكل الجديـد للصِّـهْيَونية الـذي يأخـذ في اعتبـاره مـا يُسـميه المؤرِّخـون اليهـود بحقـائق العصـر. وكـانوا يـرون أنَّ هـذا هـو السـبيل الوحيـد أمـام الأقليَّـة اليهوديَّـة للتماسُـك، في جـو سياسـي، وديـن إسـلامي، وتقاليـد وحيـاة عربيـة يَشـعرون أنهـم غُرباء عنها.

أمَّا يهود الإسكندرية فقد كانوا أكثر تنظيمًا تحت رئاسة الحبر بيهـور أليـاهو هازان، وخليفته دافيد براتو اللذَيْن كانا يَرَيان أنَّ أفضـل فرصـة للاسـتمرارية اليهوديـة، تَكْمـن في قاعـدة أنَّ المشـكلة اليهوديـة لا يُمكـن أن تحـلَّ دون مـا يُسمَّىٰ بالقوة الأساسية التي يَحيا من أجْلها اليهود وهي أرض إسرائيل. ولـم يكـن محفـل بـن بريـت الماسـوني يضـم سـوىٰ اليهـود. وصـدرت مَجَلَّـة الماسونية في الإسكندرية برئاسة يوسف لغلوفة عام ١٩٠١م، ومَجَلَّة الإخاء صدرت في القـاهرة عـام ١٩٠٦م برئاسـة رحمين فرجـون، ومَجَلَّـة الأخبـار الماسونية في نفس العام برئاسة موسىٰ جرونشتين.

الماســونية في مصــر

نظرًا للعلاقة الخاصة بين الماسون المصريين والنشاط الصهيوني في مصر، سنحاول إلقاء بصيص من الضوء علىٰ النشاط الماسوني في مصر. كانت الماسونية المصرية تتبع المحفل الكبير المنتظم بالشرق الأوسط، والذي تعود أصوله إلىٰ حملة نابليون بمصر. واستمر مع الحكم العثماني والإنجليزي، واسمه الرسمي «المحفل الأكبر الوطني المصري للبنائين الأحرار القدماء المقبولين». كان بونابرت وكليبر من مشاهير هذا المحفل الذي عُرِف بمحفل إيزيس، ليس فقط لتكريم الآلهة المصرية، إنما لبث رسالة من الماسونيين في العالم أن الماسونية نفسها من آثار المصريين القدماء.

الظهور الثاني للماسونية في مصر كان بعد ٣٠ سنة ففي سنة ١٨٣٠م تأسس في الإسكندرية محفل ماسوني بواسطة إخوة إيطاليين ماسونيين. تلاه في ١٨٣٨م تأسيس محفل عُرِف باسم محفل مينيس، ووصل عدد المحافل لأكثر من ١٠٠ محفل. وحتىٰ سنة ١٩٤٥م كان الماسونيون المصريون يخافون المجاهرة بالانضمام للمحافل الماسونية، إلىٰ أن تم إنشاء محفل الأهرام بالإسكندرية. الذي انضم له كبار الأدباء والنبلاء وعلية القوم، ولم يعارض تواجده شعب أو سلطة؛ مما ساعده علىٰ النمو وتقوية مجموعة أعضائه وتعزيز مكانته. حتىٰ أنه انضم إليه أمراء من الأسرة العلوية الحاكمة

لمصر حينها، أهمهم الأمير محمد عبد الحليم، ووصل عدد أعضائه لـنحو ألف عضو.



وتأسست الهيئة الماسونية المصرية الحديثة، سنة ١٨٧٦م، وصدر عنها أول دستور ماسوني لجميع المحافل المصرية، سنة ١٨٨٥م. بعده أصبحت الماسونية المصرية مُعترفًا بها بين المحافل العظمىٰ. وتم انتخاب الخديوي توفيق الرئيس الأعظم للمحفل الأكبر الوطني للماسونية وتعاليمها في مصر، في نهاية القرن التاسع عشر. وبدأ الهدوء يسود المحافل الماسونية المصرية بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وبدأ الأعضاء ينسحبون بسبب توتر أحوال البلاد. وتوقف نشاطها واختفىٰ معه كل ما يمت للماسونية بشكل ظاهر عام ١٩٦٤م. وعندما وجد المحفل الأكبر الوطني المصري أن المناخ مناسب له في مصر تقدم بطلب (رقم ١٤٢٥) إلىٰ وزارة الشئون الاجتماعية؛ حسب الأصول الإدارية المتبعة كي يسجل عشيرتهم في وزارة الشئون الاجتماعية المصرية. وطلب منهم المسئولون تطبيق قانون الجمعيات عليهم، وعند ذلك رفضت إدارة المحفل الأعظم تقديم سجلات بأعمالها إلىٰ وزارة الشئون الاجتماعية؛

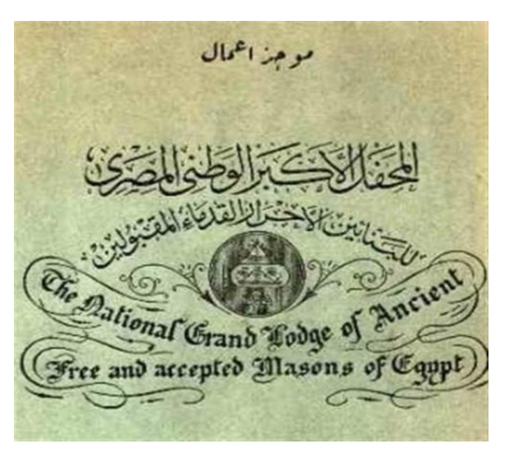
لأنه يتعارض مع السرية التامة التي هي من سـمات الماسـونية منـذ إنشـائها. وذلك لأن القوانين الماسونية لا تسمح -حتىٰ للدولة التي تعـيش في كنفهـا، أو لأعضائها العاديين- بالاطلاع علىٰ أعمالهـا ونشـاطها وطقوسـها. وعنـد ذلك قررت الحكومة المصرية إلغـاء الجمعيـات الماسـونية في مصـر في ١٦ أبريـل ١٩٦٤م. وعلـىٰ رأسـها المحفـل الأعظـم، والجمعيـة الماسـونية المصرية، التي أغلق مقرها في شارع طوسون بـالإسكندرية، واعتقل العديـد من أعضائها.

ما هي الماسـونية؟

أصل لفظ الماسونية يعني البنَّاء الحر؛ ومن ثـم فالماسـونيون هـم البنـاءون الأحرار. والماسونية تنظيم -رغم علانيـة وجـوده في بعـض الـدول- إلا أنـه تنظيم سري عالمي، له طقوسـه وقواعـده الخفيـة وتركيبتـه صـارمة وهياكلـه التنظيمية شـديدة السرية والتعقيـد. وهـو تنظيم متهم بأنـه يـدير العـالم عـبر محافله السرية التي تضم قيادات وشخصيات مـن جميـع بـلاد الـدنيا تحـت شعارات أخلاقية. تأسست الماسـونية علىٰ يـد هيـرودس أكريبـا عـام ٤٤م. وهو من ملوك الرومان، بمساعدة مستشاريه اليهـوديين حيـران أبيـود، نائـب رئيس المنظمة، وموآب لامي، كاتم سر أول المنظمة.

من الناحية التاريخية للماسونية في مصر نجد أنهـا بـدأت منـذ القـرن الرابـع الميلادي. من خلال لوحتين رسمهما فنان مصـري مسيحي اسـمه إسـحاق

فانوس على الجدارية المعلقة على جدران كنيسة الأنبا ريوس ببطريركية الأقباط الأرثوذكس بالعباسية. اللوحة الأولى للأب باخوم والثانية للأب كيرلس. واللوحة الأولى ملونة (متر وعشرون سم في أربعين سم) وكتب تحتها بالقبطية «الأب باخوم أبو المديرية». وهي تمثل الأب باخوم (٢٩٢م ٣٤٧م) يمسك بيساره لفافة يمكن التخمين بأنها تحمل كلمات من الكتاب المقدس. وفي اليد اليمني أمسك بالزاوية والفرجار. ولذلك فهي تثير الكثير من التساؤلات التي تحتمل العديد من الإجابات عنها. فمن المعلوم أن الزاوية والفرجار لم يمثلا يومًا رموزًا مسيحية، ولا تعطيهما المسيحية أية قداسة، فلماذا يصور الأب باخوم بالرموز الماسونية؟ ولأول وهلة يمكن أن نحكم على الأب باخوم بالماسونية، وبالتالي ندلل بذلك على وجود الماسونية في مصر في العصر البيزنطي. أما اللوحة الثانية فمرسوم عليها الأب كيرلس بطريرك الإسكندرية في الفترة (٣٨٤م ٤١٢م) في كنيسة العذراء. وهي إحدى الكنائس التي تخدم الأرثوذكس المصريين في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو يتكئ على عمود قصير من الطراز الروماني. وهو تقليد غير متبع في تصوير القديسين بالفن المسيحي، لكنه متبع في تصوير الأساتذة العظام في الماسونية؛ فالعمود رمز مهم من رموز الماسونية. والملاحظ هنا أن القاسم المشترك بين اللوحتين هو من رسمهما وهو إسحاق فانوس، مما يجعلنا نرجح أن فانوس ماسوني أخذته الحماسة الماسونية حتى صور الأب باخوم والأب كيرلس بالرموز الماسونية.



ويُعد أول تواجد ملموس ومؤكد في مصر للماسونية العلمية بعد ذلك، أثناء إنشاء جامع بن طولون، الذي تم بناؤه سنة ٨٧٩م علىٰ يد المهندس سعيد بن كاتب الفرجاني. وهو مهندس قبطي من الشرقية، أوكل إليه بناء الجامع؛ فاستعان ببعض البنائين الأوروبيين الذين وصفهم بالأعزاء، اتضح فيما بعد أنهم من الماسونيين الهاربين من بطش سلطات دينية في بلادهم. ويرىٰ بعض المؤرخين أن الماسونية من حيث مبادئها وتعاليمها مصرية الأصل، الأمر الذي حمل بعضهم إلىٰ القول بأن الجمعية الماسونية فرع من الكهانة المصرية.



والانضمام للماسونية ليس حكرًا علىٰ أبناء دين معين، ولطالما ارتبطت الماسونية بالرموز، والإشارات، وهي كثيرة، مثل الفرجار والزاوية اللذيْن يمثلان الطبيعة الأخوية للماسونية. وغالبًا ما يشاهد داخل الفرجار والزاوية

رمز آخر، هو النجمة أو القمر أو الشمس أو العين أو الحرف اللاتيني G. أما الحرف G فيقال إنه يمثل أول حرف من كلمة God أي الله؛ فالماسونيون ملزمون بالإيمان بوجود كائن يسمونه مهندس الكون الأعظم، وإن كانوا لا يطلقون عليه اسم الله. أما العين داخل الفرجار والزاوية فتسمىٰ العين التي ترىٰ كل شيء. ويقول الماسونيون إنها تشير إلىٰ الاعتقاد بأن الله يستطيع أن يسبر ببصره أغوار قلوب وأنفس الناس.

الصفوة في المحفل



أدرك جمال الدين الأفغاني دور التنظيم وأهميته في حركة التغيير. وكانت الحركة الماسونية حينئذٍ ذات سمعة حسنة؛ فهي ترفع شعار الثورة الفرنسية: حرية - إخاء - مساواة، وتسعىٰ لفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية. كما كانت تضم صفوة المجتمع، بصرف النظر عن الجنس والدين؛ مما جعله ينضم للمحفل. ولكنه عندما دعا قيادات المحفل لتطبيق شعاراته قالوا إن الماسونية لا دخل لها بالسياسة، فقاد الأفغاني التمرد ضد المحفل الغربي. وتسبب بحدوث انشقاق داخل

المحفل الماسوني بمصر. وخرج الأفغاني وعدد من أنصاره من المحفل وأسس معهم محفلًا ماسونيًّا شرقيًّا؛ ارتبط بعلاقات مع المحفل الفرنسي، بسبب مناوأة الفرنسيين أطماع الإنجليز بمصر. وفي هذا المحفل، تكونت القيادات التي قادت الثورة العرابية، ومنهم أحمد عرابي، ومحمود سامي البارودي، وعبد السلام، ومحمد عبده، وسليم نقاش، وأديب إسحق، وعبد الله النديم.

وفي التاريخ المصري الحديث، تردد أن أسماء كثيرة انضمت إلىٰ الماسونية، أبرزهم: جمال الدين الأفغاني - الشيخ محمد عبده - الزعيم محمد فريد - إبراهيم ناصف الورداني قاتل بطرس باشا غالي - الزعيم سعد زغلول - الخديوي توفيق - الأمير عبد الحليم - الأمير عمر طوسون - الأمير محمد علي - المفكر الإخواني سيد قطب - أحمد ماهر باشا - محمود فهمي النقراشي - مصطفىٰ السباعي أحد قادة الإخوان المسلمين - عبد الخالق ثروت - فؤاد أباظة - خليل مطران - إسماعيل صبري - حفني ناصف - حسين شفيق المصري - اللواء عزيز المصري الأب الروحي للضباط الأحرار.

وقد قام الخديوي توفيق بتكليف ناظره للحقانية حسين فخري باشا لينوب عنه في رئاسة المحفل. وفي عام ١٨٩٠م طلب الخديوي توفيق إعفاءه من الرئاسة العملية في المحفل الأكبر الوطني المصري ليتولاها غيره من أبناء

الشعب تشجيعًا لهم. وعقد أعضاء المحفل الأكبر اجتماعًا في ٩ يناير سنة ١٨٩٠، وانتخبوا رئيسًا جديدًا هو إدريس بك راغب.



وإدريس باشا راغب هو ابن إسماعيل باشا راغب، الذي عاش في عهد الوالي سعيد باشا، وفي عصر الخديوي إسماعيل. وقد تقلد إسماعيل راغب منصب باشمعاون رئاسة الوزراء، ثم أصيب بشلل نصفي وتقاعد بعد غضب الخديوي عليه. وبدأ إدريس راغب عمله صحفيًّا يراسل جريدة المقتطف بمقالات رياضية وعلمية، ثم انضم إلىٰ المحفل الماسوني وحصل علىٰ درجة أستاذ معلم في محفل مصر، ثم تولي رئاسة المحفل الأكبر الوطني المصري. ونمت الماسونية في عهد رئاسته، وكثرت محافلها حتىٰ صار عددها أربعة وخمسين محفلًا، منها محفلان تأسسا علىٰ اسمه، وهما محفل إدريس رقم ٤٣، ومحفل

راغب رقم ٥١. وكان تولي إدريس راغب لمنصبه يمثل دفعة قوية للماسونية في مصر. ذلك الثري البارز والماسوني المتحمس لماسونيته كرس كل طاقاته وأمواله لصعود الماسونية المصرية. وأصبح يسيطر بحرص على طرق عمل المحافل، وعلاقتهم بالمحافل الأخرى، وبصفة خاصة الإنجليزية منها لمدة خمس وعشرين عامًا. وكان من أهم مصادر التمويل لدى الماسونية في مصر، إلا أنه عندما هبطت ثروته التي أنفقها كلها على المشروعات الماسونية ضعفت سطوته؛ مما جرأ بعض تابعيه في المحافل لعمل بعض المخالفات.

انشقاق الأفغاني

اعترف جمال الدين الأفغاني أنه لم يدخل الماسونية إلا لهدف في نفسه. كما أعلن مقصده من دخول الماسونية بقوله: «إن أول ما شوقني للعمل في بناية الأحرار عنوان كبير: حرية – إخاء – ومساواة، وأن غرضها منفعة الناس ودك صروح الظلم وتشييد معالم العدل المطلق، هذا ما رضيته في الماسونية، ولكن وجدت جراثيم الأثرة والأنانية وحب الرئاسة والعمل بمقتضى الأهواء». وكان لعبد الله النديم موقف غاية في الأهمية ضد بعض الماسون الشوام، حين شكك في مصداقية مبادئ الماسونية لديهم، وعدم صدق انتمائهم للماسونية وإيمانهم بمبادئها أثناء مهاجمته لأصحاب جريدة المقطم الماسونيين.



وكان انتماء زعيم وطني مثل محمد فريد إلىٰ الماسونية وسط اعتراضات الكثيرين؛ مما كان له أكبر الأثر في ارتفاع شأن الماسونية بمصر. وقد أصبح محمد فريد أحد الأعضاء الماسون العالميين.



ومن الواضح أن خِدْمات سعد زغلول للماسونية لم تنته، فقد منح في العشرينيات لقب الأستاذ الأعظم الفخري للمحفل الأكبر الوطني المصري. الامر الذي جرأ المحفل الأكبر علىٰ أن يكتب ذلك بصورة رسمية علىٰ غِلاف صحيفة حيرام التي كانت تصدر في الإسكندرية. وقد كتب عليها بجوار اسم الجريدة «حرية – إخاء – مساواة»، الأستاذ الأعظم الفخري وصاحب الدولة سعد زغلول باشا.



امتدت الماسونية إلىٰ بعض الأعضاء من تنظيم الإخوان المسلمين، مثل سيد قطب الذي كان يكتب مقالاته في التاج المصري، وهي لسان حال المحفل الأكبر الوطني المصري. كان سيد قطب معروفا بتقلباته الفكرية، قبل الانتقال إلىٰ تنظيم الإخوان. انضم سيد قطب إلىٰ حزب الوفد ثم

انفصل عنه، وانضم إلىٰ حزب السعديين ونشر مثلًا في الأهرام دعوته للعري التام، وأن يعيش الناس عراة، كما ولدتهم أمهاتهم. ومن المعروف أن دعوة العري التام قد دعا إليها الكثير من رؤساء المحافل الماسونية الغربية.

محفل الفنان الماسوني

لم يكن الحذر المتبادل بين المحافل الماسونية والدولة المصرية بجديد، وقد ساد شعور الريبة بينهما منذ اندلاع حرب فلسطين عام ١٩٤٨م. ولم يمنع ذلك من قيام الفنانين المصريين بإنشاء محفل الفنان الماسوني. ويعود البعض بتاريخ نشأته إلىٰ ما قبل حرب فلسطين بعام واحد، أي عام ١٩٤٧م. وفي عام ١٩٥٣م سمح محفل الفنان للصحفيين بالدخول إلىٰ قاعاته، ونشروا الخبر بالصور في مَجَلَّة الفن عدد ١٤٥، الاثنين، ١٥ يونيو ١٩٥٣م، بعنوان: تثبيت يوسف وهبي رئيسًا لمحفل الفنان المصري وتكريس محسن سرحان.



رة نادرة للممثل – القدير !! – حسين رياض التقطت له عام ١٩٥٣ وهو جالس على كرسى سدة سليمان وبجواره يجلس المرشد الثانى للمحفل الماسونى المصرى

ومن الفنانين أعضاء المحفل نجد: الفنان القدير حسين رياض. إضافة للفنانين: يوسف وهبي – كمال الشناوي –

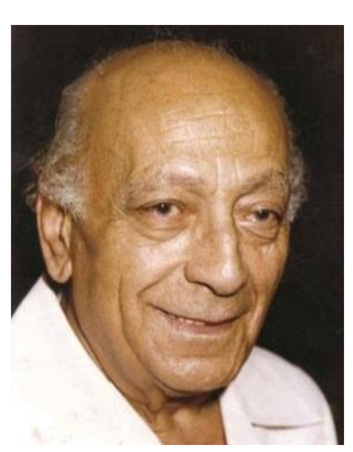
محسن سرحان – محمود المليجي – زكي طليمات – أحمد مظهر – فريد شوقي – أحمد كامل مرسي – وفؤاد شفيق – وعبد السلام النابلسي ـ حلمي رفلة – محمود فريد – عيسىٰ أحمد – علي رشدي ـ أحمد سعيد – فردوس حسن – درية أحمد – عبد العزيز حمدي.



يوسف وهبى على كرسى الرئاسة .. وامامه لوحة الجلسة وناقوس الرئيس والى يساره الاخ عبد العزيز حمدى .

كان الفنان المصري مشغولًا دائما بالقضايا السياسية التي تهتم بها كل القوىٰ الوطنية في مصر. واهتمت الماسونية في مصر بالعرض المسرحي التي كانت تتخذ من الفن وسيلة لعقد الاجتماعات وممارسة النشاط السياسي. وكان الفنان المصري يتسم دائمًا بروح وطنية متأججة. يذكر يوسف وهبي في مذكراته أنه حين عرضت مسرحية الاستعباد التي قدمتها فرقته المسرحية، كانت تفيض بالمواقف الوطنية. وحينما سمع الجمهور في نهاية المسرحية عبارة «فليسقط الاستعمار»، حتىٰ اشتعلت الحماسة بهم، وانطلقت الحناجر تردد: «يسقط الاستعمار»، وكأنه بركان تفجر. وظل الجمهور يهتف لمدة نصف ساعة بعد نهاية العرض، ورفعت الستارة ثلاثين مرة للتحية.

كما كان الفنان زكي طليمات من الماسون المصريين الذين كانت لهم أعمال روائية في السينما والمسرح تشارك الشعب المصري في مشاعره الوطنية. وقام بدور الجاسوس اليهودي الداهية الذي يحاول أن يوقع بين العرب في فيلم مغامرات عنتر وعبلة في عام ١٩٤٨م. ودور الزعيم الوطني المناضل رغم أنه من العسكريين، وكأنه يجسد شخصية قائد حركة الجيش في يوليو اللواء محمد نجيب في فيلم «الله معنا» في عام ١٩٥٥. كذلك قدم الفنان عبد السلام النابلسي عملًا وطنيًا من أهم الأعمال الروائية التي جسدت واقع حرب ١٩٤٨م، كمحاولة من مؤلفيه علي الزرقاني وحلمي حليم لإظهار حقيقة تلك الحرب في فيلم «أرض السلام» مع الفنان عمر الشريف.



إضافة إلىٰ دور الفنان محمود المليجي في فيلم «سمراء سيناء». وهكذا، كان للفنانين المصريين الماسون من أعضاء محفل الفنان المصري الماسوني العديد من الأدوار الفنية التي تشارك وجدان المصريين ومشاعرهم الوطنية. ولم تكن شخصيتهم الماسونية منعكسة علىٰ أعمالهم من قريب أو بعيد؛ مما يؤكد أن مشاركتهم في الماسونية جاءت لإضفاء قيمة اجتماعية تخيل أنه سيكتسبها من خلال انضمامه لها. ومهما

كانت الأسباب التي جعلت الفنان المصري ينضم إليها ويمارس أعمالها، إلا أنها لم تفقده قيمته الفنية، وإن كانت الماسونية بالتأكيد قد كسبت الكثير من خلال انضمامهم إليها.

الماسونية في فلسطين

علىٰ الرغم من أن الماسونية لم تكن تسمح بانضمام اليهود إليها في القرون الوسطىٰ، لم يأت القرن التاسع عشر إلا وأصبحت تلك المؤسسة العالمية، مؤسسة صهيونية خالصة. بدأ النشاط الماسوني يدب في فلسطين منذ عام ١٨٧٣م. عندما اتخذ محفل شرق كندا فرعًا له من القدس باسم محفل سليمان. وكانت لغته إنجليزية، وتديره أصابع صهيونية. وتوالىٰ تأسيس المحافل الماسونية فيها، حتىٰ إذا حلت العشرينات من القرن الحالي كانت شبكة المحافل الماسونية قائمة في جميع مدن فلسطين.

وفي الثلاثينات كان يوجد في فلسطين أكثر من تسعة عشر محفلًا يتبع المحفل الأكبر المصري، وكان اثنا عشر محفلًا منها، يؤلف اليهود أغلبية أعضائها، وازداد عدد المحافل الماسونية بعد حرب ١٩٤٨م وقيام دولة إسرائيل. وقد تم تشكيل المحفل الأكبر المتحد سنة ١٩٥٣م من جميع المحافل العامة والتي بلغ عددها ٦٤ محفلًا سنة ١٩٧٠م. وضمت تلك المحافل ٣٥٠٠ عضوًا عاملًا من اليهود والمسلمين والمسيحيين والدروز. وقد وجه المحفل الماسوني الوطني المصري الأكبر إلىٰ أهل فلسطين في

ثورتهم عام ١٩٣٦م النداء التالي: «يا أهل فلسطين تذكروا أن اليهود هم إخوتكم، وأبناء عمومتكم، وقد ركبوا من الغربة، فأفلحوا ونجحوا، ثم هم اليوم يطمحون إلىٰ الرجوع إليكم لفائدة وعظمة الوطن المشترك العام بما أحرزوه من مال، وما اكتشفوا من خبرة وعرفان. إن العربي والعبري غصنان من شجرة إبراهيم، أبواهما إسحاق وإسماعيل، متىٰ وضع أحدهما يده في يد الآخر انتفعا جميعًا بما لديهما من الوسائل المختلفة، وكان في تعاونهما الخير، وكمال البركة بإذن الله». وقد لعبت المنظمات الماسونية دورًا خطيرًا في حرب ١٩٤٨م. عندما أوعزت إلىٰ جميع أعضائها في البلاد العربية بتأييد قيام دولة إسرائيل.

الفصل الثالث

الجمعيات الخيرية والمعابد

المؤسســات اليهوديــة الاجتماعيــة

تأسست في القاهرة عدة مؤسسات وجمعيات خيرية لمساعدة اليهود. وكان من أهم هذه المؤسسات: رابطة النهضة الثقافية اليهودية، التي تأسست عام ١٩٠٨م وأعلنت في بيان لها -بعنوان صحوة الأمة اليهودية- أن هدفها خدمة الشعب اليهودي، ودراسة مشكلاته، وتأمين مستقبله، والاهتمام بتعليم أبنائه خاصة المحرومين منهم. ومن الجمعيات الأخرىٰ نجد جمعية بخور حوليم للرعاية الطبية. الاتحاد الإسرائيلي لخدمة يهود هليوبوليس، تأسست في عام ١٩٢٢م. جمعية ماتان باستير لخدمة الفتيات اليهوديات، ١٩٢٣م. الجمعية الإسرائيلية لخدمة الفتيات اليهوديات، ١٩٢٣م. ملجأ ابن ميمون للمسنين ١٩٣٤م. المركز الاجتماعي للجمعية اليهودية للإصلاح الاجتماعي، ١٩٤٧م. جمعية الشبان اليهود المصريين، ١٩٣٥م - ألفريد بلوز- إسرائيل ولفنسون- سعد يعقوب مالكي - رحمين كوهين - هلال فارص. نادي جمعية الشبان اليهود ١٩٣٩م. الاتحاد العالمي للشبيبة الإسرائيلية، ١٩٣٥م. ألفريد بيلوز. النادي الصهيوني، ١٩٣٥م. ألفريد بيلوز. جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين، مارس ١٩٣٧م. وتكون مجلس الإدارة برئاسة فرج إبراهيم فرج، وعضوية كل من: يوسف درويش - فرج يعقوب فرج - إلياهو أصلان - إبراهيم حسني - توفيق عبد الواحد - جاك ليتو مرزوق - جاك فرج - زكي منشه - يوسف كمال - ثابت درويش.

وفي الإسكندرية نجد أيضًا عددًا كبيرًا من هذه المؤسسات، من بينها: الجمعية الخيرية الإسرائيلية وتأسست عام ١٨٨٥م، جمعية بخور هوليم وتأسست عام ١٩١٠م، جمعية سيدا كاباستسر وتأست عام ١٩١٣م، جمعية الأمومة الإسرائيلية وتأسست عام ١٩١٤م، جمعية نقطة اللبن بالإسكندرية عام ١٩١٧م، الجمعية الخيرية لليهود الأشكينازيم تأسست عام ١٩٣٠م، ملجأ محرم بك للمسنين وتأسس عام ١٩٣٠م. أما المستشفيات فنجد: مستشفىٰ منشه بمحرم بك (مستشفىٰ الرمد حاليًا) وأسسها الإخوة: جاك منشه - فيلكس منشه - ألفريد منشه عام ١٨٩٠م، المبرة الإسرائيلية وتأسست عام ١٨٩٤م، مبرة حساء المرضىٰ الإسرائيلية وتأسست عام ١٩١١م، المستشفىٰ الإسرائيلي بحي سبورتنج (مستشفىٰ الطلبة الآن) أسسته عائلات منشه – قطاوي - سوارس عام ١٩٣٢م. ومن الجمعيات الثقافية نجد جمعية أصدقاء الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٥م باعتبارها ركيزة ثقافية للحركة الصهيونية - النادي العبري - اتحاد المدارس اليهودية - جمعية هرتزل، وكلها تعمل علىٰ تشجيع الثقافة العبرية والعمل علىٰ نشرها بين يهود مصر.

المدارس اليهودية

اهتمت الطائفة اليهودية في مصر بأن يكون تعليم أبنائهم تحت إشرافها؛ وذلك لضمان استمرار ولائهم لدينهم وطائفتهم. وقد اهتمت المعابد بإنشاء هذه المدارس، كما أنشأت الطائفة لجنة باسم لجنة المدارس ضمت

١٢ عضوًا من الحاخامات والشخصيات اليهودية البارزة من بينهم: إدجار سوارس – بتشوتوبك – دوين جورود – دكتور أسماليون – سلفاتور سليمان – دافيد ساخس – جاك موصيري – الحاخام ديلا برجولا. وكان مجلس الطائفة يقوم أيضًا بتأسيس المدارس اليهودية من الضرائب الخاصة أريخا ومن تبرعات الأثرياء. وحثت الصحف اليهودية أبناء الطائفة علىٰ إرسال أبنائهم لتلك المدارس صونًا من أخطار الخروج علىٰ الملة، كما طالبت الصحف بالتشديد علىٰ تعلم العبرية واللغات الأجنبية.

في القاهرة كانت هناك مدرسة ابن ميمون بدرب البرابرة وهي أول مدرسة يهودية تم إنشائها عام ١٨٩٢م. مدرسة نقطة اللبن أسسها إيزاك بناريو وزوجته عام ١٩١٥م. مدرسة موسىٰ قطاوي وأسسها موسىٰ قطاوي عام ١٩٢٠م. أسست ماري سوارس مدرستان، واحدة باسمها مدرسة ماري سوارس عام ١٩٢٤م والثانية باسم مدرسة العباسية عام ١٩٢٧م، مدرسة جرين بحارة اليهود وأسسها الإخوة جاك ورالف وأستير جرين عام ١٩٢٤م، مدرسة راشيل يعبيس أسستها راشيل يعبيس بحي عابدين عام ١٩٣٤م، مدرسة إبراهام بيتش أسسها إبراهيم بيتش في مصر الجديدة عام ١٩٢٣م، مدرسة ليسيه السكاكيني، وأسسها فليكس سماما.

وفي الإسكندرية نجد: مدرسة أجيون للبنين والبنات عام ١٨٧٥م. مدرسة منشه وأسسها البارون يعقوب منشه عام ١٨٩٥م. مدرسة الفنون والصنايع أسستها الطائفة عام ١٨٩٧م. مدرسة المأوىٰ للأطفال الفقراء، أسستها

الطائفة عام ١٩٠٤م. مدرسة اتزهام عام ١٩١١م وكانت ملحقة بمعبد زراديل. مدرسة جمعية نقطة اللبن عام ١٩١٧م. مدرسة ديللا برجولا عام ١٩١٩م. مدرسة جان يلاديم عام ١٩٢٣م. مدرسة يهود النهضة عام ١٩٢٣م. مدرسة مدام جبيه عام ١٩٢٥م. مدرسة ليسيه الاتحاد اليهودي للتعليم عام ١٩٢٥م. مدرسة شادي يعزور للبنات عام ١٩٢٥م. مدرسة تلمود توراه عام ١٩٢٥م. وبعد تشكيل لجنة المدارس تم إنشاء عد كبير من المدارس من بينها: ليسيه الرمل بكامب شيزار - ليسيه محرم بك - ليسيه سبورتنج - مدرسة ابن ميمون - مدرسة بيت الطفولة اليهودية. كما انتشرت تلك المدارس في عدد من المدن الأخرىٰ، فنجد مدرسة الأليانس الإسرائيلي في طنطا، ومدرسة زيكرو موشىٰ في بور سعيد، ومدرسة تلمود توراه في المنصورة.

النوادي اليهوديـــة

في عام ١٩١٩م كون مجموعة من الشباب اليهودي برئاسة جاك أبو خازير مؤسسة الشباب الإسرائيلي. وكانت تهتم بالنشاط الأدبي. وفي نفس الوقت شكل مجموعة أخرىٰ من الشباب اليهودي جمعية المكابي، وكانت تهتم بالنشاط الرياضي، ثم اتحدت المجموعتان تحت اسم الاتحاد المكابي الأدبي والرياضي. وكان مجلس الإدارة برئاسة مدام نسيم كاليف يضم كل من: جاك أبا خزير - دافيد بنفنست - إيلي بهار - بنزاقين ليفي - جبريل

ليفي – أدولف آرجي – ليون داسا – ايرام بينو مسرىٰ – ويلي روزنـزفيج – ماير سوميخ – إبراهام تراجان – جون فاين بلت.

وتشكل فريق كشافة المكابي، وكان يُشرف عليه كل من: نسيم المالك – جوزيف هاسين – إيزان بنزاقين – جورج ناحوم. كما تم تأسيس جمعية أخرىٰ للكشافة باسم فتيان الكشافة اليهودية، بالرئاسة الشرفية لحاخام الإسكندرية رالف دي برجولا، وتشكلت الإدارة من كل من: مدام جاك حسون – تورتيل جابي – ثيودور جاب – موريس بانون – مدام جوزيف بتشوتو – سيمون ماني – نسيم أبو منجو. وكان من أهم الأندية، التي أقيمت للشباب الصهيوني: النادي الصهيوني، الذي أنشئ في عام ١٩٣٥م، ويرتبط اسمه بالنشاط الذي كان يقوم به، ونادي الاتحاد العام للشبيبة الإسرائيلية في شارع فؤاد، ونصت الفقرة الثالثة من المادة الخامسة من قانون النادي علىٰ تأسيس جماعة يطلق عليها اسم مكس نوردو ومهمتها بث الروح الصهيونية وتنبيه أبناء الطائفة إلىٰ واجبات فلسطين عليهم.

كانت العائلات اليهودية تقيم حفلات في منازلها للمجندين وتدعم مبادئ الصهيونية. ومنها عائلة يعقوب وايزمان -وهو من أبرز أنصار المنظمة الصهيونية العالمية- وكان يعمل مديرًا لشركة شل، اعتاد أن يقيم في منزله حفلًا أسبوعيًّا يدعو إليه العديد من اليهود المجندين. وعائلة دافيد، التي كان يقيم عميدها الصيدلي صاحب صيدلية مظلوم، بميدان العتبة، حفلات مستمرة. يستقبل فيها المجندين وتدعو للمناقشات السياسية حول القضية

الصهيونية. وعائلة الدكتور إنجيل، التي كانت تقيم بحي الزمالك وتعقد الاجتماعات التي تهدف إلىٰ جمع التبرعات واستمالة اليهود المصريين إلىٰ الصهيونية. وقامت أميرة مصرية وهي نازلي حليم بإعطاء مزرعتها علىٰ طريق المنصورية لتكون معسكرًا لتدريب شباب هاشومير هاتسعير. وهي حركة حراس المستعمرات الاستيطانية في فلسطين.

وخلال هذه الفترة نشطت الأحزاب الصهيونية، مثل الماباي، والمابام في أوساط شباب اليهود في مصر. حيث سيطر الماباي علىٰ أندية المكابي في القاهرة؛ فقد كان للمكابي فرعان: مكابي الظاهر كان أساسًا ذا نشاط رياضي، وضم يهود الظاهر، وهم -في الغالب- من فقراء اليهود، أو صغار الموظفين في المحلات التجارية. ومكابي سنترال كان مقره في شارع عبد الخالق ثروت، وسط القاهرة، ومارس نشاطًا ثقافيًّا وكشفيًّا. وأخذت المحاضرات في مكابي سنترال طابعًا صهيونيًّا، ودارت حول الحركة الصهيونية، والكيبوتزات، والإنجازات الصهيونية في فلسطين. وألقاها مندوبون عن الماباي، وتكونت في هذا الفرع مدارس لتربية كوادر صهيونية، درست كتابات تيودور هرتزل، وليو بنسكر. وكانوا ينظمون رحلات مجانية، في الصيف، للإقامة في الكيبوتزات بفلسطين. كل ذلك بهدف تشجيع الشباب اليهودي علىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين.

أما حزب المابام هاشومير هتزائير فقد ركز نشاطه في ناد بمصر الجديدة، حيث ألقيت المحاضرات، ودرست كتابات زعماء الحركة. وكان الحزب

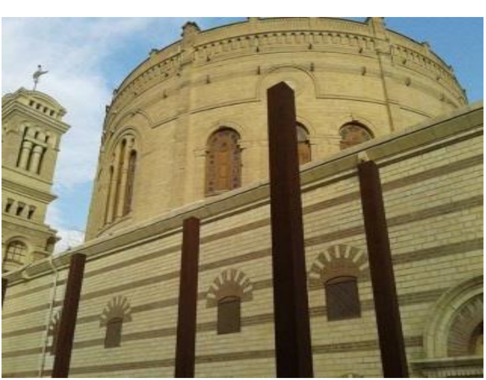
يجنِّد الشباب اليهودي ويرسلهم إلىٰ الكيبوتزات الخاصة به. وكان هؤلاء الشباب يسيرون في شوارع القاهرة، يرددون الأناشيد الصهيونية، باللغة العبرية.

المعابد اليهودية

في القاهرة نجد أهم المعابد: معبد بار يوحاي - مصيري، اسسه نسيم موصيري عام ١٩٠٥م بشارع الصقالبة رقم ١٦، وكان أول مقر لحاخامية القاهرة. ومعبد راب إسماعيل - الأسبان، أسسه مجموعة من المهاجرين الأسبان، بشارع الصقالبة رقم ١٣. ومعبد راب ياكوف، وهو معبد صغير ملحق بمعبد راب إسماعيل. معبد مائير باعل هانس، أسسه أيضًا اليهود الأسبان بنفس شارع الصقالبة رقم ٢٠. ومعبد راب زمرا - رادباز، تأسس في حوش الصوف رقم ٦.

أما معبد التركية، فقد أسسته أرملة إسبانية كانت تُعرف باسم التركية بشارع درب الكتاب رقم ١٣. ومعبد تلمود التوراه، تأسس في عطفة الفضة بالقرب من معبد التركية. ومعبد راب سمحام، تأسس في عطفة القرائين، وأعيد بناؤه عام ١٩٥٠م. ومعبد البرتغاليين، أسسه مجموعة من المهاجرين البرتغاليين اليهود بعطفة الفضة رقم ٥. ومعبد حنان - اتزحاييم، أسسه إبراهيم يوسف حنان بشارع قنطرة غمره رقم٣. ومعبد اليهود القرائين - موسىٰ الدرعي، تبرعت أرملة قرائية بأرضه ومبلغ كبير من المال، لكنه لم يكن كافيًا فتم

جمع تبرعات من فقراء اليهود على مدى ٢٦ عام وتم افتتاحه عام ١٩٣٣م. ومعبد باحاد إسحق كرايم، شيده اليهودي السوري زكي كرايم وعدد من السوريين عام ١٩٣٣م في السكاكيني بشارع ابن خلدون قم ٩. ومعبد نيفيه شالوم - الكنيسة الكبيرة، تأسس عام ١٨٩٠م في السكاكيني بشارع المدارس رقم ٩. ومعبد نسيم اشكازي وتأسس في عام ١٨٩٤م - في حي الظاهر بشارع الكوة رقم ٤.





أما معبد الطائفة الإسرائلية الإشكنازية، فقد تأسس عام ١٩١٣م بشارع المنيسي في حي الظاهر، وقامت طائفة السفارديم بترميمه عام ١٩٤٨م بمعاونة الحكومة. والمعبد الكبير - شعار هاشاميم، شيدته عائلة موصيري عام ١٩٠٣م في وسط القاهرة بشارع عدلي رقم ١٧، وقام اتحاد

السفارديم العالمي بترميمه عام ١٩٨١م. ومعبد فيتالي مدجار، ويقع بمصر الجديدة شارع المسلة رقم ٣. ومعبد مائير أنائيم، ويقع بالمعادي شارع ١٣ رقم ٥٥، وكان المحامي اليهودي يوسف سلامة مقيمًا به حتىٰ وفاته في سبتمبر عام ١٩٨١م. ومعبد بن عزرا، معبد أثري يعود للقرن التاسع الميلادي، وأعيد بناؤه عام ١٨٩٠م، وتم ترميمه عام ١٩٩١م.

وفي الإسكندرية كانت هناك معابد عديدة بلغ عددها في القرن التاسع عشر تسعة وعشرون معبدًا. تبقىٰ منها حتىٰ منتصف القرن العشرين: معبد إلياهو هنابي ضمت محافظة الإسكندرية مجموعة كبيرة من المعابد التي أسسها اليهود لتكون جزءًا رئيسيًّا من حياة المجتمع اليهودي آنذاك.



ومعبد إلياهو هنابي هو المعبد الرئيسي للطائفة اليهودية في الإسكندرية. ويقع بشارع النبي دانيال رقم ٦٩. وهو من أقدم وأشهر معابد اليهود في الإسكندرية. شُيد عام ١٣٥٤م، وتعرض للقصف من قبل الحملة الفرنسية علىٰ مصر عندما أمر نابليون بقصفه لإقامة

حاجز رماية للمدفعية بين حصن كوم الدكة والبحر. وأعيد بناؤه مرة أخرىٰ عام ١٨٦٥٠م بتوجيه ومساهمة من أسرة محمد علي. وكان يضم مقر الطائفة اليهودية بالإسكندرية والمحكمة اليهودية. فهو مبنىٰ عريق ضخم المساحة ينم علىٰ الفخامة والعراقة، مصمم علىٰ الطراز البازليكي، يتكون من ٣ طوابق، جدرانه تحمل اللون الأصفر الفاتح. والمعبد مصمم علىٰ شكل بناء مستطيل بطول الواجهة ٢٥ مترا. وتضم الواجهة ٢١ نافذة مصمم علىٰ الشكل البيضاوي. فيما توجد نافذة كبيرة في منتصف الواجهة مصممة علىٰ شكل نصف بيضاوي، ثم يأخذ مدخله الشكل البيضاوي الكبير.

ويضم الطابق الثاني للمعبد شرفة كبيرة، ويقع المدخل الرئيسي في الواجهة الغربية، تعلوه النجمة السداسية المعروفة بـ«نجمة داود» وكتابات وعبارات باللغة العبرية. ويتكون المبنىٰ من الداخل من ثلاثة أروقة تحتوي علىٰ صفين من الأعمدة، أكبرها الرواق الأوسط والهيكل. والجهة الشرقية مصنوعة من الرخام الفاخر علىٰ جانبيه أعمدة رخامية تحمل عقدًا نصف دائري وبجوارها أعمدة معدنية وزخارف معدنية. ويوجد داخل المقصورة المقدسة لفائف من الجلد والورق من أسفار التوراة. وأمام الهيكل تجد المنصة المخصصة للصلاة، وداخل القاعة صفوف من المقاعد الخشبية. أما السقف فتتدلىٰ منه ثريات من الزجاج والفضة. وفي عام ١٩٢٨ تأسس بالمعبد قسم خاص بموسيقىٰ الصلوات، ثم أعدت مكتبة للتراث اليهودي بالمبنىٰ الملحق بالمعبد.



ومعبــد منشــه ويقــع بميـدان المنشـية تأسـس عـــام ١٨٦٠م. هـــذا المعبد عبارة عـن كنيس يهـودي، يقـع في ميـدان المنشية بمدينة الإسكندرية. تم إنشاؤه من جانب البارون يعقوب دي منشه، وهذا عام ١٨٦٠م. والمعبد مبنىٰ مستطيل الشكل يحيط به سور حجري لـه شريط مقسم إلىٰ مربعـات، الواجهـة الرئيسـية للمعبـد هـي الواجهـة الغربيـة والتي يوجد بها صفان من النوافذ المعقـودة بعقـد نصـف دائـري بكـل صـف ثـلاث نوافـذ يغلـق عليهـا ضـلفتان مـن الخشـب بشـراعات زجاجيـة مغشـاة بمشبكات معدنية. أمـا المعبـد مـن الـداخل فهـو مقسـم إلـىٰ قسـمين، الأول مستطيل يتوصل إليه من خلال دركاة عن طريـق فتحـة بـاب واسـعة معقـودة بعقد نصف دائري، عند قمته تم عمل سندرة خشبية حديثة.

وفرشــت أرضـيات المعبــد بــالبلاط، أمــا الســقف فــزين بمجموعــة مــن الأقبيـة المتقاطعـة والبرميليـة بقاعـة الطقـوس الدينيـة وأسـقف مسـطحة بــالغرف الموجــودة بــداخل المعبــد. بالإضــافة إلــىٰ قاعــة الطقــوس المقســمة إلــىٰ ثــلاث أروقـة عموديـة أوسـطها أوسـعها والمـذبح الـذي يتصــدر الضــلع الشــمالي لقاعــة الطقــوس الدينيــة والــذي يتكــون مــن منصة رخامية.

ومعبد زارادیل ويقع بشارع عمرام بحارة اليهود. ومعبد إلياهو حزان ويقع بشارع فاطمة اليوسف بحي سبورتنج وتأسس عام ١٩٢٨م. ومعبد جرين بحي محرم بك أسسته عائلة جرين عام ١٩٠١م. ومعبد يعقوب ساسون تأسس عام ١٩١٠م بحي جليم. ومعبد كاسترو أسسه موسىٰ كاسترو عام ١٩٢٠م بحي محرم بك. ومعبد نزاح إسرائيل الأشكينازي تأسس عام ١٩٢٠م. ومعبد شعار تفيله أسسته عائلتي انزاراوت وشاربيه عام ١٩٢٢م بحي كامب شيزار. فضلًا عن كنيس عزوز وزاراديل واللذان تأسسا عام ١٩٢٢م.

في مدينة طنطا كان هناك: معبد واهيل موشىٰ، ومعبد المغاربة. وفي المنصورة معبد ماجن دافيد، ومعبد حسون، ومعبد كوهيم. وفي المحلة معبد الأستاذ. وفي مدينة بورسعيد معبد إسرائل، ومعبد بينان، ومعبد سوكات شالوم. وفي مدينة الزقازيق معبد هارون جباي. وفي مدينة ميت غمر معبد كليمان باردو. وفي مدينة دمنهور معبد سوارس.

الفصل الرابع

المنظمات الصهيونية

المنظمة الصهيونية العالميـــة

كانت حركة محبة صهيون -التي نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر -تنادي بعودة الحياة اليهودية علىٰ أرض فلسطين، وبدأت بإقامة تجمعات زراعية. ولكن في فترة لاحقة بذل تيودور هرتزل جهودًا لتحويل الصهيونية إلىٰ حركة سياسية. وكان أول من نجح في استقطاب الاهتمام الدولي بالقضية اليهودية، وحوَّل الشعب اليهودي إلىٰ لاعب علىٰ الساحة السياسية الدولية. أعلنت الحركة الصهيونية أهدافها الرئيسية في إقامة الوطن القومي للشعب اليهودي علىٰ أرض إسرائيل، وانضوت تحت مظلة الصهيونية مجموعات مختلفة مثل الصهيونية الدينية والصهيونية الاشتراكية. كل هذه المجموعات كانت تسعىٰ إلىٰ تحقيق الهدف ذاته.

وجاء في إعلان إقامة دولة إسرائيل وثيقة الاستقلال ١٤مايو ١٩٤٨م والتي تبدأ بهذه الكلمات: «نشأ الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، وفيها اكتملت هويته الروحانية والدينية والسياسية، وفيها عاش لأول مرة في دولة ذات سيادة، وفيها أنتج قيمه الثقافية والقومية والإنسانية. وعندما أجلي الشعب اليهودي عن بلاده بالقوة، حافظ علىٰ عهده لها وهو في بلاد مهاجره بأسره ولم ينقطع عن الصلاة والتعلق بأمل العودة إلىٰ بلاده واستئناف حريته السياسية فيها».

وقد انتقل مركز المنظمة الصهيونية العالمية من عاصمة إلىٰ أخرىٰ بعد وفاة هرتزل. وانتقل مكان رئيس المنظمة من فيينا إلىٰ كولونيا، وهو مقر ديفيد ولفسون، ثم إلىٰ برلين، في ظل رئاسة أوتو واربورج. وبعد صدور تصريح بلفور، انتقل مركز المنظمة إلىٰ لندن. وظل مركز المنظمة في لندن، إبان رئاسة حاييم وايزمان ثم ناحوم سوكولوف. ولكن، في عام ١٩٣٦م انتقلت المنظمة إلىٰ القدس، وإن ظلت لندن مقر رئيس المنظمة وبعض أعضاء اللجنة التنفيذية.

المنظمات الصهيونية في مصر

كانت مصر في القرن الثامن عشر تستقبل الكثير من رعايا الدول الأجنبية، الذين وجدوا فيها فرصًا للعمل لم تتوافر لهم في بلادهم. ومن بين هؤلاء كان اليهود الأشكيناز الفرنسيون أو الإنجليز أو الألمان وغيرهم ممن كانوا يؤمنون باليهودية كديانة. وهكذا حضر الأشكيناز بثقافتهم الصهيونية إلىٰ مصر لتكون خطوة في طريقهم إلىٰ فلسطين.

كانت الخطوة الأولىٰ للحركة الصهيونية في مصر عام ١٨٩٧م حينما قام جوزيف ماركو باروخ بتأسيس أول جمعية صهيونية، أطلق عليها جمعية باركوخيا الصهيونية. نشطت تلك الجمعية في الدعوة للحركة الصهيونية وامتدت فروعها إلىٰ الإسكندرية وبورسعيد وطنطا والمنصورة دون أي اعتراض من الحكومة المصرية وقتها. وتوالت بعدها إنشاء الجمعيات

الصهيونية خصوصا بعد زيارة تيودور هرتزل لمصر ١٩٠٤م. والتي تأسست بعدها جمعية بن صهيون وهي من أخطر الجمعيات الصهيونية التي تم تأسيسها في الإسكندرية ١٩٠٨م. كما أعلنت تبنيها لبرنامج المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بازل بسويسرا ١٨٩٧م والذي تقرر فيه تأسيس إسرائيل. وفي عام ١٩١٧م وصل عدد الجمعيات الصهيونية إلىٰ ١٤ جمعية.

وفي النهاية نجحت كل تلك المنظمات بالفعل في إقناع المصريين بأنه لا فرق بين انتمائهم للوطن وانتمائهم للحركة الصهيونية. كما يذكر الجميع ما حدث عند زيارة حاييم وايزمان مصر علىٰ رأس بعثة صهيونية كانت مسافرة إلىٰ فلسطين ١٩١٨م. حيث تم استقباله استقبالًا حافلًا ورسميًّا من قبل أعضاء المنظمة الصهيونية في مصر. كما استقبله أيضًا شيخ الأزهر محمد أبو الفضل الجيزاوىٰ وقتها وتبرع بـ١٠٠ جنيه مصري للمنظمة الصهيونية. ونشطت الحركة الصهيونية بين اليهود في مصر وقويت شوكتها إبان حكم الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا. وتم تشكيل هيئات يهودية بدعوىٰ مكافحة النازية، إلا أنها كانت تحمل بين طياتها الدعاية الصهيونية، في محاولة لخداع اليهود المصريين بشكل خاص، والمصريين بوجه عام. كما تم إصدار عدد من الصحف الصهيونية لترويج الفكر الصهيوني.

كانت الثورة الفلسطينية الكبرىٰ ١٩٣٦م نقطة تحول في رؤية الشعب المصري بشكل عام واليهود المصريين بشكل خاص للصهيونية. كان

الجميع يعانون عدم وضوح الرؤية في هذه القضية، وبعد الثورة الفلسطينية الكبرىٰ انكشف تمامًا الخطر الصهيوني أمام الجميع في مصر، من خلال ما تمارسه العصابات الصهيونية من إرهاب تجاه المواطنين العرب. الذين تقتلعهم الصهيونية من أرضهم لصالح صهاينة يأتون من شتىٰ بقاع الأرض. وبدأت حملة كبيرة لمناهضة الصهيونية، شارك فيها اليهود المصريون. وهو الذي أدىٰ بالحكومة المصرية وقتها إلىٰ حظر النشاط الصهيوني عقب النكبة. كما أصدر الطلبة اليهود خلال يوم الشهداء ٣ مارس ١٩٤٦م بيانًا رفضوا فيه جميع المنظمات الصهيونية وأكدوا في الوقت ذاته وجود الطلاب اليهود في معركة الشعب المصري علىٰ اختلاف عقائده ودياناته.

وقد وقع علىٰ البيان طالب الطب فرج نسيم وطالب الآداب ليون كراومر وطالب الهندسة روبير شاءول يوسف. والذي كان نصه: «تحت خرافة الوطن المقدس وأرض الآباء والأجداد، غررت الصهيونية بملايين العمال والفلاحين اليهود، بهذه النداءات المعسولة، وصورت الصهيونية أن اليهود سيضطهدون، ولن تنقذهم غير أرض الميعاد كما يدعون، وليس هذا التضليل إلا تنفيذًا لخطة الاستعمار المدبرة، ها نحن المثقفين اليهود، تبينا لعبته وأدركنا خطورة الصهيونية، لن نسمح بأن تفرق صفوفنا نحن المصريين، ولنكن يدًا واحدة مسلمين ومسيحيين ويهودًا، يدًا قوية تدك صرح الاستعمار، نكافح مع المناضلين العرب للتحرر من الاستعمار وذنبه الصهيونية، حتىٰ تسقط الصهيونية وتبقىٰ فلسطين حرة، ها نحن

اليهـود المصـريين ننـزل إلىٰ الميـدان مـع زملائنـا العمـال والطلبـة لـنعلن احتجاجنـا وسـخطنا علىٰ الاسـتعمار والصـهيونية، عاشـت مصـر حـرة.. عاشت فلسطين حرة».

وبعـد حظـر النشـاط الصـهيوني في مصـر، وقيـام إسـرائيل ١٩٤٨م، بـدأت الحركة الصهيونية تنظيم تـهـريب الصهاينة من مصر بشكل سري وأموالهم عن طريق شبكة صهيونية سرية باسم جوشين. وبعد قيام ثـورة يوليـو خضع النشاط الصـهيوني في مصـر لرعايـة الموسـاد الإسـرائيلي، واتجـه لاسـتخدام الإرهاب وسيلة لـه. وهـو مـا ظهـر واضـحًا في عملية سـوزانا ١٩٥٥م التـي عرفـت باسـم فضـيحة لافـون نسـبة إلىٰ وزيـر الـدفاع الإسـرائيلي بنحـاس لافون.

نظرت التيارات السياسية في مصر العلاقة بين يهود مصر والحركة الصهيونية بوجهات نظر مختلفـة؛ فكـان التيـار الليبرالـي وممثلـه الوفـد، يـرىٰ أن هنـاك خلافًا بين اليهودية والصهيونية، وأن بعضًا من هذا التيار تعاطف مع الحركة الصـهيونية في فـترة مـن الفـترات، وكـان ليـون كاسـترو أحـد قيـادات الوفـد، رئيس المنظمـة الصـهيونية في مصـر. أمـا اليسـار فكـان يـرىٰ أن هنـاك فارقًـا شاسعًا بين اليهـود والحركـة الصـهيونية، بـل إن العديـد مـن الطـلاب اليهـود المنتمين لليسار شكلوا حركة شبابية مناهضة للصهيونية. كمـا بـدأت حملـة لمقاطعة المحال اليهودية المصرية، تحت شعار إن القرش الذي تدفعه إلىٰ

هذه المحال، إنما تضعه في جيب يهود فلسطين ليشتروا به سلاحًا، يقتلون به إخوانك المسلمين في فلسطين.

الجمعيات اليهودية والصهيونية

نجحَت الحركة الصِّهْيَونية في مصر في أن تضـمَّ إليها بعضًا من الجمعيات اليهودية الناشئة. ومنها: جمعية بن زيون في عام ١٩٠٠م - جمعية ليتيربز هيراكي في عام ١٩٠٥م - جمعية أمل صهيون، في عام ١٩٠٤م - جمعية تيكفات زيون ١٩٠٤م - جمعية الأدب العبري، عام ١٩٠٥م - جمعية بوالي زيون في عام ١٩٠٦م - جمعية أبناء صهيون، عام ١٩٠٦م - جمعية سيونسي موارح في عام ١٩٠٦م - جمعية آفاهات زيون في عام ١٩٠٦م - جمعية شبان صهيون، عام ١٩٠٧م - جمعية بني صهيون، في الإسكندرية، عام ١٩٠٨م وضمت دافيد ايدلوفيتش وزوجته وليون سلفادور وماركو بهار - جمعية فادهامير كازهازيوني في عام ١٩٠٩م - جمعية زئير صهيون، التي كانت تضم بعض اليهود القادمين من روسيا، وقد اندمجت في جمعية أبناء صهيون، في عام ١٩٠٩ - لجنة التنسيق الصهيونية، عام ١٩٠٩ - جمعية أبناء صهيون للأمام، عام ١٩١٠م - اتحاد أطفال صهيون، عام ١٩١١م - الدائرة القومية اليهودية، عام ١٩١٢م - دائرة هرتزل، عام ١٩١٢م - جمعية يالدي زيون ١٩١٢م - جمعية دائرة جيف ١٩١٢م - جمعية يالدي هيرتزل ١٩١٣م - جمعية من أجل فلسطين بالإسكندرية ١٩٢٥م، برئاسة مدام البارون فيلكس منشا وفيكتور نجار وجوزيف بتشوتو بك.

التنظيمات الصهيونية في مصر

وجَد اليهود في مصر مرتعًا خصبًا، وموقعًا مهمًّا، ينطلقون منه لتأسيس دولتهم الجديدة في فلسطين. وتمكَّنت التنظيمات اليهودية في القاهرة والإسكندرية من جَمْع قدْرٍ من المال لصالح مشروع الاعتمادات المالية لاستعادة فلسطين. وفي عام ١٩٢٥م أُقيم في الإسكندرية مكتب إضافي لمساعدة اليهود الذين كانوا في طريقهم إلىٰ فلسطين، تحت اسم المؤسسة الصهيونية للإسكندرية. وذلك تحت رئاسة البارون جاك إيلي دي منشه، وتبعه فيلكس جرين. ومن الأعضاء نجد: شيليس نجر – ألفريد كوهين – ماركو نادلر – مدام إدجار أجيون – جور شملا – ألبرت سارلسلكي – د. أفيجدور. كما ساعَدت التنظيمات الصِّهْيَونية المصرية المهاجرين اليهود في الوصول إلىٰ فلسطين. وكانت التبرُّعات اليهودية من ٢٨ إبريل ١٩٢٠م، حتىٰ ٣٠ نوفمبر ١٩٢٧م تَنهال لإطعام ومساعدة المهاجرين اليهود. واستمرَّ هذا النشاط بصورة سريَّة حتىٰ عام ١٩٤٨م.

جمعية باركوخيا الصهيونية

في عام ١٨٩٦م وصَل إلىٰ القاهرة قادمًا من بلغاريا اليهودي ماركو باروخ، يُبشِّر بالعودة إلىٰ جبل صِهْيَون. وماركو باروخ، من مواليد القسطنطينية، عمل علىٰ ترويج الفكرة الصهيونية في أوساط اليهود بمصر، في المعابد والمنتديات. وكان يعيش علىٰ الكَفاف

بالمساعدات التي يُقَدِّمها له أصحابه. استطاع باروخ أن يكسب إلىٰ جانبه موظَّفًا، واثنين من الصِّبيَة الحائكين، وصانع أحْذِية، وعامل طباعة، وصبي سائق، ولَمَّا وصَل أتْباعه إلىٰ اثني عشر فردًا، أعدَّ له الأغنياء منهم قاعة عبارة عن زاوية بحجرة واحدة مع شُرفة بمقر جمعية «باركوخيا» اليهودية بحي الموسكي؛ لعَقْد اجتماعاته بها، ولسَكَنه هو وأُسرته.

كانت مهمة هذه الجمعيَّة تجنيد الأعضاء الجُدد، وجَمْع الأموال، وتمثيل مصر في الاجتماعات الصِّهْيَونيَّة المختلفة، والترحيب بالشخصيَّات اليهودية الأجنبيَّة. غير أنَّ هذه الجمعيَّة كانت قد حُلَّت في عام ١٩٠٦م؛ بسبب انقسامات داخليَّة. وفي فباير من عام ١٨٩٧م أسس ماركو باروخ أول رابطة صهيونية في مصر وهي رابطة بركوخيا الصهيونية. وعين رئيسًا لها جاك هارملين كما عين جوزيف ليبوفيتش سكرتيرًا لها. ومن الأفكار التي دعا إليها: تكوين جيش يهودي، واحتلال فلسطين، بالقوة. كما أصدر باروخ في مصر صحيفة فرنسية، تدعىٰ صحيفة الكرمل. واستطاعت هذه الرابطة تأسيس مدرسة صهيونية في القاهرة، عام ١٩٠١، ضمت ٣٠٠ تلميذ، وافتتحت الرابطة فروعًا لها في المدن الكبرىٰ، الإسكندرية، وبورسعيد، وطنطا، والمنصورة، ووصل عدد أعضاء هذه الرابطة، عام ١٩٠٢، إلىٰ ٣٦٠ عضوًا فقط، أغلبهم من اليهود الاشكناز، وتوقفت هذه الرابطة عن العمل، عام ١٩٠٤م، لصعوبات تنظيمية ومالية.

وفي عام ١٩٠٨م تأسست في الإسكندرية جمعية باسم أبناء صهيون رأسها الدكتور ديفيد ايدلوفيتش. وشارك في إدارتها كل من: مدام ديفيد ايدلوفيتش - ماركو بهار - ليون سلفادور. وفي العام التالي ١٩٠٩م تأسست جمعية باسم زئير صهيون رأسها سيمون زولتني، وقد انضمت الجمعيتان معًا بعد ذلك تحت اسم زئير صهيون. عملت الجمعية الجديدة علىٰ نشر الفكر الصهيوني في إطار قيامها بأعمال الترميم للمؤسسات الدينية اليهودية.

جمعيات صهيونية أخرى

في عام ١٩١٧م استطاع ليون كاسترو أن يؤسس فرعًا للمنظمة الصهيونية، في مصر، تحت اسم منظمة الصهيونيين بمصر. وتولىٰ رئاستها جاك موصيري، وتولىٰ ليون كاسترو منصب سكرتير لجنتها المركزية. واستطاعت هذه المنظمة أن تضم باقي الجمعيات الصهيونية إلىٰ حظيرتها، وأن تنشئ لها فروعًا في المدن المصرية الكبرىٰ. وفي عام ١٩١٨ أصدرت المَجَلَّة الصهيونية لتكون ناطقًا بلسانها. كما قامت بإنشاء فرع للصندوق القومي المختص بجمع التبرعات لشراء الأراضي في فلسطين ومركزه الرئيسي لندن برئاسة سالمون رايت. كان الفرع بالإسكندرية، وكذلك فرع آخر بالمنصورة برئاسة سيدا كاليفي. وتغلغل بحيث أنشأ فروعًا للصندوق بأحياء الإسكندرية مثل فرع فيلونيا بمحرم بك، وفرع حميلوت حاساديم بالعطارين، وفرع حيما بالإبراهيمية.

وتم تشكيل لجنة تنفيذية لصندوق الإسكندرية مكونة من: جون فاينبلات - باروخ بنتاتا - روفائيل دويل - أفينعام هورفيتز. ازدادَت أهميَّة التنظيم الصهيوني الكيرين كاليميث في الإسكندرية بعد عام ١٩٢٤م، وتوسَّعت شبكة الخلايا وكانت تُغطِّي عدة أحياء في المدينة، ومن أمثلتها: جماعة الفيلونيا في حي محرَّم بك، وجماعة بينو في الحي اليوناني بالإسكندرية. كما تأسَّست في عام ١٩٢٥م جمعيَّة الدراسات التاريخيَّة اليهودية، وكذلك جمعية أصدقاء الجامعة العبرية في القدس. وتأسس نادي الشباب اليهودي بالإسكندرية في عام ١٩٣٠م. وتأسَّست خلال الفترة ١٩٢٥ - ١٩٣٥م جماعات أخرىٰ، مثل: جماعة مؤادون هايفري لتعليم العبرية، وجماعة فيزو لتعليم العبرية للأطفال، وجماعة بيريت تراميلدور، والجمعية المصريَّة لأصدقاء الجامعة العبرية في القدس. هذا بالإضافة إلىٰ حركة الهاتحيا للشباب الصهيوني.

شهدت الفترة ١٨٩٨-١٩١٢م ظهور عدد كبير من الجمعيات الصهيونية، التي عملت كل منها بشكل منفصل عن الجمعيات الأخرىٰ. ومنها: جمعية تأسست في الإسكندرية عام ١٨٩٨م، ثم أصبحت فرعًا لرابطة بركوخيا، في عام ١٩٠١م - وجمعية أمل صهيون، في عام ١٩٠٤م - جمعية الأدب العبري، عام ١٩٠٥م - جمعية أحباء صهيون عام ١٩٢٦م - جمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٦م - جمعية شبان صهيون عام ١٩٠٧م - لجنة التنسيق الصهيونية، عام ١٩٠٩م - جمعية أبناء صهيون للأمام، عام ١٩١٠م -

اتحاد أطفال صهيون عام ١٩١١م- الدائرة القومية اليهودية، عام ١٩١٢م - دائرة هرتزل، عام ١٩١٢م.

وفي عام ١٩٢٩م أسس ألبير ستراسلسكي فرعًا لحزب التصحيحيين، ليحمل لواء المعارضة داخل صفوف المنظمة الصهيونية في القاهرة. وأصدر صحيفة الصوت اليهودي عام ١٩٣١م، لتكون ناطقًا بلسان التصحيحيين. وعندما انفصل جابوتنسكي عن المنظمة الصهيونية، وأسس المنظمة الصهيونية الجديدة، قام ستراسلسكي بتحويل فرع حزب التصحيحيين إلىٰ فرع للمنظمة الجديدة، برئاسة: فيكتور حزان - الأخوان ناثان وموريس هلبمان - سالامون ليفي - فيتا كوهين - كارلو روزينتال - روفائيل سلدوفسكي. كما أنشأ فرعًا آخر في الإسكندرية برئاسة: فيليكس بنزاقين المحامي - إيلي بوليتي - جان فاينيلات - جاك سيدهم. وفرع بورسعيد برئاسة: هيلمان جوهرجي - فيكتور عبده شملا.

وكانت المنظمة الصهيونية الجديدة تعارض اعتماد وايزمان علىٰ وعود بريطانيا، وتطالب بالاعتماد علىٰ طاقات اليهود أنفسهم. وتأسست حركة الرائد الصغير، التي انقسمت، عام ١٩٤٧، إلىٰ حركتين متنازعتين، هما حركة البناة، وحركة الحرية. وفي عام ١٩٣٢م تأسست كل من: حركة العبري الصغير - حركة أبناء عقيفا - حركة بيتار.

في أربعينيات القرن العشرين -وإلىٰ جانب النشاط العلني للصهيونية في مصر- كان جهاز مخابرات الهاجاناه، المعروف باسم علياه بيت، يمارس

نشاطًا سريًّا في مصر. بهدف تهريب السلاح، وتهجير اليهود إلىٰ فلسطين. اكتشف البوليس المصري هذه المنظمة بالصدفة، عندما حاول ثلاثة أشخاص شراء ٦٠٠ مسدس من أمين أحد مخازن الأسلحة الحكومية بغرض تهريبها إلىٰ العصابات الصهيونية في فلسطين، وذلك في شهر أكتوبر ١٩٤٦م. ولعل هذا النشاط السري هو ما دفع وزير الصحة المصري نجيب إسكندر إلىٰ اتهام العصابات الصهيونية بأنها وراء انتشار وباء الكوليرا، في عام ١٩٤٧م، عن طريق تلويث مياه الشرب. وخلال الفترة ١٩٤٤-١٩٤٨م انضم ما يقرب من ألف وخمسمائة يهودي إلىٰ الحركة الصهيونية، العاملة في كل من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد.

الاتحاد الصهيوني

في عام ١٩٠٨م تبنَّت جمعيَّة بن زيون بالإسكندرية برنامج المؤتمر الصِّهْيوني الأوَّل الذي عُقِد في بازل ١٨٩٧م. وفي عام ١٩١٠م اندمَجت هذه الجمعية في جمعيَّة صهْيَونية أخرىٰ هي جمعية زيرزيون -التي أنْشَأها المهاجرون الروس في عام ١٩٠٩م. وقد أدَّت هذه الأنشطة للجمعيات والاجتماعات والمؤتمرات إلىٰ تزايُد أعداد المؤيِّدين للحركة الصِّهْيَونية في مصر. عقد المؤتمر الصهيوني الثالث عشر بمدينة كارلسباد عام ١٩٢٣م، وحضره مندوب عن الصهيونية المصرية حاخام الإسكندرية إبراهام إبيخيزر.

وخــــلال الفـــترة ١٨٩٧ - ١٩١٢م تعـــددت الجمعيـــات والـــروابط الصـــهيونية في العـــالم؛ لـــذا بـــدأت هـــذه الجمعيـــات والـــروابط في تكـــوين اتحـــادات لهـــا. وتكـــوَّن أول اتحـــاد في النمســـا وتـــلاه في ألمانيـــا، أمـــا الثالـــث فكـــان في مصـــر، حيـــث تأســـس الاتحـــاد تحـــت اســـم الاتحـــاد الصـــهيوني في مصـــر عـــام ١٩١٣م. وتـــم اختيـــار جـــاك موصـــيري كـــأول رئـيس لهـذا الاتحـاد، وكـان مـن كبـار الصـيارفة في مصـر، واسـتقال جـاك موصيري في عام ١٩١٨م من رئاسة الاتحاد الصهيوني.

وفي عام ١٩٢١م، أعيد تشكيل المنظمة الصهيونية في مصر وتولىٰ رئاستها، الرأسمالي اليهودي المعروف جوزيف شيكوريل، بينما شغل ليون كاسترو منصب النائب الأول للرئيس، وجولدشتاين نائب ثان، وبنيامين ليشيفيتز أمين للصندوق، وجاك بلو سكرتير. والأعضاء كل مـن: مـوريس مولـوخ - دكتور بلبـول ويتلمـان - ميشـيل بيرمـان - ليـون كانوكـا - إيميـل سـابورتا- ألبرت حاييم - إسحق بناريو.

وفي عام ١٩٤٣م قرر ليون كاسترو إعادة تشكيل فرع المنظمـة الصـهيونية في مصر، تحت اسم «الاتحاد الصهيوني العام»، وحضر اجتماعه، وتحدث فيـه كل من دايفيد بن جوريـون وإسـحاق بـن تسـفي، الـذي أصـبح -فيمـا بعـد- رئيسا لدولة إسرائيل. وفي ٦ نوفمبر ١٩٤٤م، تم اغتيال اللورد والتر مـوين. وهو الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط، في القاهرة. وقـد تـم اغتيالـه علىٰ يـد العصـابات الصـهيونية في مصـر. وذلـك بسـبب معارضـته مشـروع

تهجير مائة ألف يهودي من أوروبا إلىٰ فلسطين. وفي صيف العام نفسه، تقدم الاتحاد الصهيوني بطلب إلىٰ رئيس الوزراء المصري مصطفىٰ النحاس باشا. وتضمن طلب الاعتراف بالاتحاد كممثل للشعب اليهودي في مصر. وطلب النحاس باشا، من وكيل وزارة الداخلية -حسن رفعت باشا- أن يستدعي زعماء الاتحاد. وأبلغهم في ذلك الاستدعاء رفض الحكومة لطلبهم؛ بل وقررت وقف نشاطهم.

وفي عام ١٩٤٥، أُعيد تأسيس الاتحاد الصهيوني، وتولىٰ رئاسته، علىٰ التوالي: ليون كاسترو، وإميل النجار، ويعقوب فيسمان. قام هذا الاتحاد بأنشطته بشكل قانوني وعلني في ١١٦ شارع عماد الدين بالقاهرة. وتضمنت لائحته النص علىٰ: الاتحاد الصهيوني بمصر يتكون من تجمع الصهيونيين المقيمين علىٰ أرض مصر، وهو يمثل الفرع المصري في المنظمة الصهيونية العالمية، ويسعىٰ لتوحيد جهود الصهيونيين بمصر، بهدف تحقيق الأفكار الصهيونية، وتأكيد برنامج بال، والقرارات التي يتخذها المؤتمر الصهيوني، والقيادة التي يختارها هذا المؤتمر.

المنظمات الصهيونية المُسلحة

من المنظمات التي اسَّتخدمت للأغراض الداخلية، أي الهجوم علىٰ العرب، نجد: منظمة بارجيورا، ثم منظمة الحارس الهاشومير التي أسِّست عام ١٩٠٩، ثم منظمة النوطريم التي أسستها سلطات الانتداب البريطاني

بالتعاون مع الهاجاناه للمساعدة في قمع الانتفاضات الفلسطينية العربية التي قامت في فلسطين في الفترة من ١٩٣٦ وحتىٰ ١٩٣٩م.

ومنها أيضًا منظمة إتسل التي قامت في فلسطين عام ١٩٣١م انطلاقًا من أفكار فلاديمير جابوتنسكي. وفي عام ١٩٤٨م كان التجمُّع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين يضم ثلاثة تنظيمات عسكرية هي: الهاجاناه وهي كبرىٰ التنظيمات الثلاثة وكانت خاضعة للوكالة اليهودية، ومنظمة إتسل المنبثقة عن أفكار جابوتنسكي التنقيحية وكانت آنذاك بزعامة مناحم بيجين، ومنظمة ليحي وهي أصغر المنظمات وكانت قد اشتهرت باسم قائدها أبراهام شتيرن. وقد تم بناء الجيش الإسرائيلي علىٰ هذه المنظمات الثلاث. وذلك في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٤٨، وفي غمرة معارك الحرب العربية - الإسرائيلية الأولىٰ، تم إعلان قيام جيش الدفاع الإسرائيلي. وتحولت منظمة الهاجاناه إلىٰ نواة لهذا الجيش، ودخول التنظيمين الأخيرين، إتسل وليحي، في دائرة هذه النواة.

١ـ منظمة بارجيورا

منظمة عسكرية صهيونية سرية أسسها في فلسطين عام ١٩٠٧م كل من: يتسحاق بن تسفي - إسرائيل شوحط - إسرائيل جلعادي - ألكسندر زيد. وكان غالبية أعضائها من حزب عمال صهيون المهاجرين من روسيا. وكان شعارها «بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار ستقوم يهودا».

واستلهمت اسمها من اسم شيمون بارجيورا قائد التمرد اليهودي الأول ضد الرومان في فلسطين ما بين عامي ٦٦- ٧٠م.

تولت المنظمة أعمال حراسة المستوطنات الصهيونية في الجليل. واستمرت تعمل حتىٰ ١٩٠٩م عند تأسيس منظمة أكثر اتساعًا واستقرارًا وهي منظمة هاشومير أو الحارس. وقد تأسست منظمة هاشومير علىٰ يد مجموعة من المهاجرين الذين أخذوا علىٰ عاتقهم حراسة المستوطنات. عملت المنظمة بصورة سرية، وتطور عمل هذه المنظمة مع مرور الزمن ليتعدىٰ دورها مسألة الحراسة والحماية، إلىٰ مجال العمل الفعلي في تطوير الحركة الاستيطانية. وتعرضت المنظمة للمطاردة من قبل السلطات العسكرية والسياسية التركية خلال الحرب العالمية الأولىٰ. ووصلت الملاحقة إلىٰ أوجها عندما جرىٰ افتضاح شبكة التجسس نيلي. حيث اعتقلت السلطات التركية اثني عشر عضوًا من منظمة هاشومير إضافة إلىٰ أعضاء من نيلي.

٢. منظمة البيتار

«البيتار» اختصار للعبارة العبرية «بريت يوسف ترومبلدور»، أي عهد ترومبلدور. وهو تنظيم شبابي صهيوني تصحيحي أسسه في بولندا عام ١٩٢٣م يوسف ترومبلدور. وكان هدفه إعداد أعضائه للحياة في فلسطين بتدريبهم علىٰ العمل الزراعي وتعليمهم مع التركيز علىٰ العبرية بالإضافة إلىٰ التدريب العسكري. وبشكل عام، يمثل التنظيم أفكار جابوتنسكي زعيم

الصهيونية التصحيحية. امتد نشاط بيتار إلىٰ العديد من الدول، فأسست عام ١٩٣٤ قاعدة للتدريب البحري في إيطاليا وأخرىٰ للتدريب علىٰ الطيران في باريس. كما أسست فروعًا في اللد (١٩٣٨م) وجنوب إفريقيا (١٩٣٩م) ونيويورك (١٩٤١م). وظلت القاعدة الأساسية للتنظيم وهيئته العليا حتىٰ الحرب العالمية الثانية خارج فلسطين، وانتقلت بعد ذلك إليها. وأسس بعض أتباع بيتار مستوطنات زراعية. وداخل بيتار، تشكلت الكوادر الأساسية لمنظمة الإرجون الإرهابية ولحركة حيروت.

٣. منظمة نيلي

عام ١٩١٥ تم تأسيس منظمة استخبارات صهيونية سرية في فلسطين تدعىٰ نيلي، اختصار للعبارة العبرية «مجد إسرائيل لم يسقط». وكان الهدف من تشكيل هذه المنظمة مساعدة بريطانيا في صراعها ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولىٰ. وذلك باعتبار أن انتصار بريطانيا سيتيح الفرصة لتحقيق المشروع الصهيوني. وبخاصة بعد فشل هجوم القوات العثمانية علىٰ قناة السويس في ربيع عام ١٩١٥. وبالتعاون مع الاستخبارات البريطانية، استطاعت المنظمة، التي بلغ عدد أعضائها نحو ٤٠ فردًا، نشر شبكاتها في العديد من أنحاء فلسطين.

٤. منظمة النوطريم

كلمة عبرية تعني الحرس أو الخفراء، وهي الشرطة اليهودية الإضافية التي شكلتها سلطات الانتداب البريطاني بالتعاون مع الهاجاناه. وذلك للمساعدة

في قمع الانتفاضات العربية في فلسطين في الفترة ١٩٣٦-١٩٣٩م. وشملت قوات الخفراء في البداية ٧٥٠ خفيرًا علىٰ نفقة سلطات الانتداب، و١٨٠٠ خفيرًا علىٰ نفقة قيادة المستوطنين الصهاينة. وفي يونيو ١٩٣٦م، تم تجنيد ١٢٤٠ خفيرًا آخر. وفي يوليه ١٩٣٨ أعادت قيادة المستوطنين تنظيم قوات الخفراء لتصبح وحدة شرطة منظمة، أُطلق عليها اسم «شرطة المستوطنات العبرية».

٥. منظمة الهاجاناه

كلمة عبرية تعني الدفاع، وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أُسِّست في القدس عام ١٩٢٠م لتحل محل منظمة الحارس. وقد ارتبطت الهاجاناه في البداية باتحاد العمل ثم بحزب الماباي والهستدروت، وعَكَس نشاط الهاجاناه الارتباط الوثيق والعضوي بين المؤسسات الصهيونية الاستيطانية والمؤسسات العسكرية والزراعية. والتي تهدف إلىٰ اقتحام الأرض والعمل والحراسة والإنتاج، وإن كان اهتمامها الأساسي قد انصب علىٰ العمل العسكري. وفي عام ١٩٢٩م، شاركت الهاجاناه في قمع انتفاضة العرب الفلسطينيين. وقامت بالهجوم علىٰ المساكن والممتلكات العربية ونظَّمت المسيرات لاستفزاز المواطنين العرب وإرهابهم. كما ساهمت في عمليات الاستيطان وحماية المستعمرات وحراستها، وخصوصًا بابتداع أسلوب السور والبرج لبناء المستوطنات الصهيونية في يوم واحد. وقبيل إعلان قيام دولة إسرائيل، كان عدد أعضاء الهاجاناه يبلغ نحو ٣٦.٠٠٠ بالإضافة إلىٰ

٣٠٠٠ من البالماخ. كما اكتمل بناؤها التنظيمي، الأمر الذي سهَّل عملية تحويلها إلىٰ جيش موحد ومحترف للدولة الصهيونية. حيث أصدر بن جوريون في ٣١ مايو ١٩٤٨ قرارًا بحل الإطار التنظيمي القديم للهاجاناه وتحويلها إلىٰ جيش الدفاع الإسرائيلي.

٦. منظمة البالماخ

فهي اختصار للعبارة العبرية «سرايا الصاعقة»، وهي القوات الضاربة للهاجاناه التي شُكِّلت عام ١٩٤١م، لتعمل كوحدات متقدمة وقادرة علىٰ القيام بالمهام الخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية. وذلك بالإضافة إلىٰ إمداد الهاجاناه باحتياط من المقاتلين المدربين جيدًا. ويُعَدُّ يتسحاق ساريه مؤسسها الفعلي. وقد ارتبطت البالماخ منذ البداية بحركة الكيبوتس وحزب المابام. وتميَّز أفراد هذه القوات بدرجة عالية من التثقيف السياسي الذي يركز علىٰ مبادئ الصهيونية العمالية. كما تلقوا تدريبًا مناسبًا في مجالات الطيران والبحرية واستخدام الرادار وأعمال المخابرات. وعند نهاية الحرب، كانت البالماخ تضم نحو ٢٠٠٠ فرد.

٧. منظمة شتيرن

اختصار العبارة العبرية «المحاربون من أجل حرية إسرائيل». وهي منظمة عسكرية صهيونية سرية أسسها أبراهام شتيرن عام ١٩٤٠م. وذلك بعد انشقاقه هو وعدد من أنصاره عن منظمة إتسل. وقد أطلق المنشقون علىٰ أنفسهم في البداية اسم المنظمة العسكرية القومية في إسرائيل. وتغيَّر فيما

بعد إلىٰ ليحي. ومنذ عام ١٩٤٢، أصبحت المنظمة تُعرَف أيضًا باسم مؤسسها شتيرن، بعد مقتله علىٰ أيدي سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين. نفذت المنظمة بعض العمليات التخريبية ضد المنشآت البريطانية بالإضافة إلىٰ اغتيال اللورد موين المفوض البريطاني بالقاهرة في نوفمبر ١٩٤٤.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، شاركت ليحي مع كلٍّ من الهاجاناه وإتسل في العمليات المضادة للسلطات البريطانية، ضمن ما سُمِّي حركة المقاومة العبرية. كما شاركت في الهجوم علىٰ القرىٰ والممتلكات العربية. ونفذت مع إتسل -وبمباركة الهاجاناه- مذبحة دير ياسين الشهيرة في ٩ أبريل ١٩٤٨. وبعد إعلان قيام إسرائيل، حُلَّت ليحي مع غيرها من المنظمات العسكرية وأُدمجت في جيش الدفاع الإسرائيلي. لقي أبراهام شتيرن مصرعه في العام ١٩٤٢م علىٰ يد قوات الانتداب البريطانية. وقام أنصار شتيرن بالثأر لمصرعه عن طريق اغتيال اللورد موين، الوزير البريطاني لشئون الشرق الأوسط في القاهرة في تاريخ ٦ نوفمبر ١٩٤٤م.

٨ـ منظمة الإرغون

وهي اختصار للعبارة العبرية «المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل». وقد أنشأها فلاديمير جابوتنسكي عام ١٩٣٧م. وكان من أبرز مؤسسيها: روبرت بيتكر الذيكان - أبراهام يتهومي - موشي روزنبرج - دافيد رازئيل - يعقوب ميردور.

الأحزاب الصهيونية في مصر

نشطت الأحزاب الصهيونية، مثل الماباي، والمابام في أوساط شباب اليهود في مصر. حيث سيطر حزب الماباي علىٰ أندية المكابي في القاهرة. مكابي الظاهر كان أساسًا ذا نشاط رياضي، وضم يهود الظاهر، وهم في الغالب من فقراء اليهود، أو صغار الموظفين في المحلات التجارية. ومكابي سنترال كان مقره في شارع عبد الخالق ثروت، وسط القاهرة. ومارس نشاطًا ثقافيًّا وكشفيًّا، وأخذت المحاضرات في مكابي سنترال طابعًا صهيونيًّا، بمحاضرات ألقاها مندوبون عن الماباي دارت حول الحركة الصهيونية، والكيبوتزات، والإنجازات الصهيونية في فلسطين. وكانوا ينظمون رحلات مجانية، في الصيف، للإقامة في الكيبوتزات بفلسطين، كل ذلك بهدف تشجيع الشباب اليهودي علىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين.

أما حزب المابام – هاشومير هتزائير فقد ركز نشاطه في نادٍ بمصر الجديدة، اسمه هيفري هتزائير. حيث ألقيت المحاضرات، ودرست كتابات زعماء الحركة. وكان الحزب يجنِّد الشباب اليهودي ويرسلهم إلىٰ الكيبوتزات الخاصة به. وكان هؤلاء الشباب يسيرون في شوارع القاهرة، يرددون الأناشيد الصهيونية، باللغة العبرية.

من هذا الاستعراض الموجز للنشاط الصهيوني في مصر، خلال الفترة (١٨٩٧-١٩٤٨)، تتضح مجموعة من الحقائق. منها أن الحركة الصهيونية

في مصر نعمت بحرية حركة، لم تنعم بها غالبية القوىٰ الوطنية المصرية نفسها. كما حصل النشاط الصهيوني في مصر علىٰ دعم شخصيات بارزة، في الأسرة المالكة، وداخل النخب السياسة الحاكمة. كما أن الحكومات المصرية لم تتخذ أية إجراءات معادية، بشكل واضح، ضد النشاط الصهيوني، طوال الفترة من ١٨٩٧ إلىٰ ١٩٤٨. حتىٰ إن قرار النحاس بوقف نشاط الاتحاد الصهيوني، لم يستمر إلا شهورًا قليلة.

الفصل الخامس

الصحافة الصهيونية

الصحافة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر

بدأت الصحافة اليهودية في مصر في وقت متأخر من القرن التاسع عشر، إلا أنها نشطت نشاطًا كبيرًا. وتمكنت الحركة الصهيونية من احتواء غالبية هذه الصحف، وتحويلها إلىٰ نوافذ قوية للدعاية الصهيونية في مصر. كانت الصحافة الصهيونية إحدىٰ أهم ركائز الحركة الصهيونية في مصر. وإضافةً إلىٰ الصحف اليهودية التي صدرت في مصر وروَّجت للصهيونية وساهمت في الدعوة للهجرة إلىٰ فلسطين. صدر عدد آخر من الصحف والمجلات اليهودية بقصد التربح والتقرب من السلطة ومقاومة الاحتلال البريطاني.

ويعود انتشار الصحف في تلك الفترة إلىٰ إلغاء قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١م. وكذلك سهولة التصريح للصحف التي يصدرها الأجانب كجزء من الامتيازات الأجنبية التي يتمتعون بها.



ويُعد يعقوب صنوع أول يهودي يُصدر صحيفة باللغة العربية في مصر. ولا يُمكن الحديث عن الصحافة اليهودية والصهيونية في مصر دون تعرُّف الدور الكبير الذي لعبه يعقوب صنوع في النهضة الصحفية بشكل عام في مصر. أسس يعقوب صنوع جمعيتين أدبيتين علميتين في ١٨٧٢م.

الأولىٰ: تـم تسـميتها محفـل التقـدم، والثانيـة محفـل محبـي العلـم وتـولىٰ رئاسـتهما. كـان يقـوم بإلقـاء المحاضـرات عـن تقـدم العلـوم والآداب في الغرب. ولم يهنأ صنوع طويلًا بهاتين الجمعيتين؛ إذ سرعان ما نجح الساسة الإنجليز في السعي لدىٰ الخـديوي بالدسيسـة والوقيعـة، وذلـك بإيهامـه بـأن صنوع اتخذ من الجمعية مركزًا للثورة علىٰ الخـديوي وحكمـه. ولـم يجـد صـنوع متنفسًـا لـه إلا باشـتراكه مـع بعــض أعضــاء الحــزب الــوطني وأفــراد الشــعب المتعلمــين في ترجمة وطبع بعض البرقيات التي تـأتي مـن أوروبـا. وكـذلك بعـض المقالات وتوزيعها بعد ذلك علىٰ أكبر مدىٰ مستطاع لإظهار ما خفي من سياسة الخديوي.


Abou Naddara

Paris

سافر صنوع في سنة ١٨٧٤م إلىٰ أوروبا حيث بقي مدة يـدرس فيهـا أحوالهـا السياسية وأخلاق شعوبها. وبعد قضـاء مهمتـه عـاد إلـىٰ مصـر شـغوفًا بتقـدم الأوربيين، وملتهبًـا بنـار الغيـرة لبـث روح الحضـارة المصـرية العريقـة بـين الشعب المصري الذي نسي حضارته. واستغل صنوع قلمـه الحـاد ولسـانه اللاذع في رواية أسرار الخديوي وفضـائحه التـي تدينـه. وقـد أغلقـت جميـع الصـحف أبوابهـا في وجـه صـنوع ومقالاتـه بـأمر الخـديوي. لـذلك لجـأ إلـىٰ

إنشاء صحيفة علىٰ نفقته مع السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقًا. واتفق ثلاثتهم علىٰ إنشاء جريدة عربية هزلية لانتقاد أعمال الخديوي إسماعيل، ثم استقر رأيهم علىٰ أن يتولىٰ صنوع إدارتها. وصدر العدد الأول في ٢١ ربيع أول سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٧م. وتعد بذلك أولىٰ الصحف الهزلية عند الناطقين بالعربية.

وكان صنوع أول من استعمل القلم الدارج واللهجة العامية المصرية أو التركية والصورة الهزلية السياسية بين المصريين. واستمرت الجريدة في صدورها بطريقة لم يعهدها المصريون من قبل، ولاقت إقبالًا منقطع النظير. ونزل صنوع إلىٰ ميدان السياسة جاهرًا بعد عدة أعداد من هذه الجريدة التي لم يصدر منها إلا خمسة عشر عددًا. واستطاع الخديوي أن يخمد أنفاسها عندما شعر أن نقد صنوع للحياة السياسية قد بلغ مرحلة الخطورة. وقد غادر صنوع القاهرة في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٧٨م متجهًا إلىٰ باريس. تاركًا ذكرياته الحبيبة والحزينة متخليًا عن كل ما يربطه فيها قهرًا عنه، وفيما يلي عرض موجز لصحافته بباريس:

١ـ رحلة أبي نضارة زرقا

صدر العدد الأول منها في ٧ أغسطس ١٨٧٩م. وكان علىٰ رأس هذا العنوان «رحلة أبي نضارة زرقا من مصر القاهرة إلىٰ باريس الفاخرة». وبعد ذلك وصف بـ«أبي نضارة زرقة البهية والدة النظارات المصرية». وكانت الصحيفة تصدر في معظم أعدادها في أربع صفحات مليئة بالمحاورات

الساخرة والمهاجمة لسياسة الخديوي وحكومته. أو تلك المصورة للحياة الاجتماعية والظلم الاجتماعي الذي يعيش فيه الأفراد. وكان يكتب مقالاته دائمًا إما باللغة العربية التي يفهمها عامة الناس، أو بالزَّجَل الجميل. وكان ينتقد حياة التواكل والدعة التي يعيشها المصريون. واشترك معه في تحرير الجريدة بعض المحررين من القاهرة.

٢- النظارات المصرية

صدر العدد الأول منها في ١٦ سبتمبر ١٨٧٩م. ورسم في صدرها عوينات كتب في أسفلها «جريدة تاريخية علمية تحرير مصر وإسكندرية». وتتميز بعض أعداد هذه الصحيفة بالأسلوب المليء بالخيال والوصف المبالغ فيه. وكانت الصحيفة أيضًا مليئة بالمحاورات التمثيلية التي استعاض بها عن غلق مسرحه. والتي اتخذ منها وسيلة للاستمرار في تبنيه الناس وتذكيرهم بالأسلوب التمثيلي. وكانت معظم أعداد الصحيفة بها صور كاريكاتورية تصور السياسة وتنتقدها بطريقة فكهة لاذعة.

٣ـ أبو صفارة

صدرت في يونيو سنة ١٨٨٠م، وصدر منها ثلاثة أعداد. وكتب في صدرها: «جريدة هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية بحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية منشئها محب الاستقلال والحرية». وكانت تتضمن أخبارًا عن أحوال مصر الداخلية، والتي صدرت تحت باب «مراسلات الجهات».

٤ـ الحاوي

صدر العدد الأول منها في ٥ فبراير سنة ١٨٨١م، وصدر منها أربعة أعداد. جاء في صدر العدد الأول منها: «هذا الشعار الحاوي الكاوي اللي يطلع من البحر الداوي عجايب النكت للكسلان والغاوي، ويرمي الغشاش في الجب الهاوي». وقد امتلأت صفحات الصحيفة بالصور الكاريكاتورية السياسية والاجتماعية.

٥ـ أبو نضارة

صدر منها خمسة عشر عددًا، وكان شعارها «لسان حال الأمة المصرية الحرة». وقد امتازت هذه الصحيفة بوجود الصور الكاريكاتورية الجميلة البالغة الإتقان. كما كانت مقالات الصحيفة تتميز بالعودة إلىٰ الأسلوب العربي الأدبي. وكان الهدف من هذه المقالات هو تنبيه المصريين إلىٰ حقوقهم وتحذيرهم من التهاون في تلك الحقوق والتمسك بالاستقلال. وبدأت الجريدة من عددها الثامن حتىٰ العدد السادس عشر في ترجمة ما تنشره باللغة العربية إلىٰ اللغة الفرنسية بخط جميل وواضح. وذلك لتظهر للرأي العام الفرنسي كيف يتدخل الإنجليز والأجانب لنصرة الخديوي علىٰ الشعب المناضل المسكين.

٦ـ الوطني المصري

صدر العدد الأول منها في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣م، أي بعد مضي سنة من الاحتلال الإنجليزي لمصر. ولم يصدر منها سوىٰ عددين، وكانت تصدر

في ست صفحات، وذلك بخلاف صحف صنوع الأخرىٰ التي كانت تصدر في أربع صفحات فقط. وكانت تتضمن ترجمة لبعض مقالاته المنشورة في الصحف باللغة العربية. وصدرت هذه الجريدة المؤقتة في الوقت الذي اختفت فيه جريدته أبو نضارة زرقا.

٧ـ التودد

من صحف صنوع الجادة، وكانت في حجم أكبر قليلًا من صحفه، أي في حجم الكتب العادية. وصدرت في مارس سنة ١٩٠٢م، وكانت سجلًا لنشاط دول الغرب والشرق، ورواية لتاريخ الزعماء والأمراء والملوك في الدول المختلفة، دون العناية بأخبار مصر إلا أخبار التاريخ والآثار القديمة. وجاء فيها: «ولقد سميت الصحيفة التودد إشارة إلىٰ تودد إنجلترا لمصر، وسميناها بالتودد أملًا بأن تكون واسطة الألفة والوداد بين الأمم». وكان كثيرًا ما يهاجم إنجلترا؛ بسبب الفظائع التي ترتكبها في حربهم مع البوير.. وغيرها من المستعمرات التي تطالب باستقلالها.

٨ـ المنصف

صدر العدد الأول منها في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٩م. وجاء في صدر العدد: «جريدة سياسية أدبية تجارية مديرها ومحررها الشيخ جيمس سافوا أبو نضارة المصري بباريس». وقد استمر صدور الصحيفة لمدة عامين، وكانت حملتها شديدة جدًّا علىٰ الإنجليز وسياستهم في وادي النيل، وكذلك في حرب البوير. وقد خصصت الأعداد الكثيرة الصادرة سنة ١٩٠٠م للهجوم

علىٰ سياسة الإنجليز والشماتة في أفعالهم. وكان دائمًا يربط بين كفاح البوير وكفاحنا في مصر، وكذلك في معظم المستعمرات التي احتلتها إنجلترا في ذلك الحين. وكان يصف ويؤيد كفاح هذه الشعوب لنيل استقلالها، ويشجعها ويؤازرها في ثورتها وكفاحها من أجل الاستقلال. مذكرا بإخوته في وادي النيل بما يجب عليهم، للثورة علىٰ الإنجليز، والكفاح من أجل طردهم. وكانت الجريدة لا تترك فرصة لتخبرنا فيها عما وصلت إليها تركيا من الناحية التعليمية والثقافية، وكذلك الأخبار في فرنسا وغيرها.

٩ـ العالم الإسلامي

تتميز بلغتها الفرنسية، وصورها الواضحة الدقيقة، وكانت تهتم بأخبار العالم العربي والمسلمين. ويظهر ذلك الرسم الذي اتخذه صنوع شارة للصحيفة وهو رسم القباب، والمآذن والأشخاص المرتدين للملابس العربية. ولم تختلف هذه المَجَلَّة عن زميلاتها من صحف صنوع اختلافًا كبيرًا. ولم تعمر هذه الصحيفة كثيرًا؛ بل سرعان ما أفسحت المجال إلىٰ شقيقتها الكبرىٰ «أبو نضارة» التي استمرت تواصل كفاحها حتىٰ سنة ١٩١٠م. وفي ٣١ كانون الأول سنة ١٩١٠م أصدر العدد الأخير من جريدة أبي نضارة. بعد أن استمرت أربعًا وثلاثين سنة، مدافعًا فيها عن حقوق مواطنيه مطالبًا بتحقيق رغباتهم. ولم يمنعه من مواصلة إصدارها إلا ثقل المرض وضعف بصره. ووافته المنية بباريس في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٢م.

نماذج من الصحافة اليهودية

شهدت الساحة المصرية العديد من الصحف اليهودية التي تمتعت بدرجة عالية من الحرية. ومنها من كان يدعو للصهيونية بشكل مباشر، ومنها من كان يدعو بشكل غير مباشر، حتىٰ الصحف المتصلة بالعقيدة منها. وأود أن أذكر مرة أخرىٰ، أسباب انتشار الصحف في ذلك الوقت. وفي مقدمتها: إيقاف العمل بقانون المطبوعات الصادر عام ١٩٨١م، إضافة إلىٰ تأثير الامتيازات الأجنبية.

١ـ صحيفة الحقيقة

صدرت صحيفة الحقيقة في أواخر القرن التاسع عشر، وصدر العدد الأخير منها عام ١٨٩٠م. وكانت صحيفة أدبية ابتعدت في البداية عن الخوض في المسائل السياسية. أصدر الصحيفة فراج مزراحي في الإسكندرية، وكانت أسبوعية تصدر صباح كل خميس.



الحقيقة

CORRIERE DELLA CIRENAICA

الاعمال العسكرية في الجبل الاخضر

وبعد الأعداد الأولىٰ نشرت حتىٰ العدد العشرين قصة مسلسلة تحت عنوان «السلسبيل في أسرار بني إسرائيل». تحدثت فيه عن اضطهاد اليهود والعنف ضدهم، وحتمية العودة إلىٰ

القدس. إضافةً إلىٰ نشر أخبار اليهود في العالم، بهدف تعريف يهود مصر بأحوالهم. ونشرت الصحيفة قصصًا تشجع علىٰ الهجرة إلىٰ القدس لإعادة بنائها وزراعتها. كما نشرت في أحد أعدادها نبأ تكوين جمعية في القدس أسسها اليهود لتعميم اللغة العبرية بينهم. وتوقفت الصحيفة بداية العام ١٨٩٠م كما أشرنا.

٢. صحيفة نهضة إسرائيل

صدرت صحيفة نهضة إسرائيل نهاية ١٨٨٩م، ونشرت بعض المباحث الدينية والتاريخية في أعدادها الأولىٰ. ورأىٰ حاخام الطائفة اليهودية أنها تربك العلاقات بين اليهود وباقي المصريين؛ فطلب من وزارة الداخلية إغلاقها. خاصةً بعد أن تبدلت سياستها التحريرية من الاهتمام بشئون اليهود في مصر إلىٰ نشر أفكار الصهيونية.

٣. مَجَلَّة العائلة

صدرت مَجَلَّة العائلة عام ١٨٨٩م، كمَجَلَّة نسائية برئاسة تحرير إستر مويال. واهتمت بنشر أخبار الطائفة اليهودية، بالإضافة إلىٰ الموضوعات النسائية.

٤. مَجَلَّة التهذيب

صدرت أيضًا صحيفة مَجَلَّة التهذيب عام ١٩٠١م، وكانت تصدر باللغة العربية ويترأس تحريرها مراد فرج. وكانت صوت الطائفة القرائية اليهودية، وهم اليهود الذين كانوا الأكثر اندماجًا مع الشعب المصري. ويستند فكر

الطائفة إلىٰ الإيمان بالعهد القديم، دون التلمود ووصايا الحاخامات. اهتمت الصحيفة بأخبار الطائفة في مصر والعالم، وكتبت عن أحوال اليهود القرائين في النمسا وعدد من الدول الأوروبية. ونشرت في أحد أعدادها رد الحكومة الروسية علىٰ اعتداءات تعرّض لها اليهود القراءون في موسكو، ودافعت في صفحاتها عن اليهود ضد شائعة فرية الدم التي التصقت باليهود، وأُغلقت الصحيفة عام ١٩٠٣م.

٥. صحيفة الرسول الصهيوني

صدرت صحيفة الرسول الصهيوني لوميسا جير ستوني عام ١٩٠٢م. وكانت ناطقة باللغة الفرنسية، وهي صوت جمعية بوركاخيا الصهيونية بمدينة الإسكندرية. وأبرز أهدافها الدعوة للحركة الصهيونية؛ لأنها ناطقة بلسان منظمة صهيونية بالأساس.

٦. صحيفة مصر - مصرايم

في عام ١٩٠٤م، أصدر الناشر اليهودي كارمونا إسحق في القاهرة صحيفة مصر، وكانت أسبوعية ناطقة باللغة العربية. أرسل كارمونا إسحق خطابًا إلىٰ نارسيس ليفن رئيس الاتحاد الإسرائيلي العالمي بفرنسا أرفق به نسخة من الجريدة صادرة في ٢٧ نوفمبر ١٩٠٤م. جاء في خطابه إن عددًا من الصحف المصرية تهاجم السامية، وتعادي اليهود، وإن صحيفة مصر صدرت لتكون سلاح اليهود ضد هذه الهجمات. وطالبه بتقديم الدعم والمساندة لصحيفته، وتوقفت الصحيفة عن الصدور عام ١٩٠٥م.

٧ـ صحيفة السلام

في أول مايو ١٩١١م أصدر نسيم ملول صحيفة السلام في الأول من شهر مايو عام ١٩١١، لتكون لسان حال الحركة الصهيونية العالمية. ودافعت عن الحركة وفكرة الحق في وطن قومي لليهود في فلسطين. وردت علىٰ هجمات الجرائد العربية علىٰ اليهود والصهيونية، ولم تستمر في الصدور سوىٰ شهرين فقط.

٨ـ صحيفة النهضة اليهودية

في ١٩١٦م أصدرت الطائفة اليهودية بالقاهرة صحيفة النهضة اليهودية. وقد استمرت الصحيفة في الصدور لمدة عامين.

٩ـ المَجَلَّة الصهيونية

أصدر المحامي اليهودي ليون كاسترو عام ١٩١٨م مَجَلَّة يومية باللغة الفرنسية باسم المَجَلَّة الصهيونية، لتكون لسان حال المنظمات الصهيونية بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م. وقد اتخذت المَجَلَّة نجمة داود شعارًا لها. أعلنت الصحيفة أن أهدافها تكمن في الدعوة إلىٰ خلق وطن لليهود في فلسطين. ودعت إلىٰ ضم الجمعيات الصهيونية إلىٰ فروع المنظمة الأم، وإنشاء فروع لها في المدن المصرية الكبرىٰ. وذلك لنشر المبادئ الصهيونية، وتولىٰ تحريرها بعد ذلك جاك موصيري.

١٠. صحيفة الفجر

في عام ١٩٢٤، أصدر لوسيان سيكوتو صحيفة صهيونية، باسم الفجر. سعىٰ من خلالها إلىٰ إقناع أكبر عدد ممكن من اليهود بالأفكار الصهيونية. وكانت الصحيفة تصدر في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع باللغة الفرنسية. وكان لوسيان قد أصدر الصحيفة لأول مرة في إستانبول عام ١٩٠٨م. وتوقفت عن الصدور عام ١٩١٩م. أما إصدار القاهرة فقد عانىٰ صعوبات مالية فتوقفت الجريدة عن الصدور. وشكل محفل بني بريث لحنة برئاسة سيمون مانيه لدعمها حتىٰ تمكنت من العودة برئاسة جاك مالح عام ١٩٣١م.

١١. مَجَلَّة الاتحاد الإسرائيلي

أصدرت جمعية الاتحاد للإسرائيليين القرائين بمصر -عام ١٩٢٤م- مَجَلَّة الاتحاد الإسرائيلي الأسبوعية. ورأس تحريرها يوسف فرج صالح باعتبارها مَجَلَّة أدبية ساخرة. وفي العدد الأول برهنت المَجَلَّة علىٰ ولائها لمصر بنشر صورة الملك فؤاد علىٰ غِلاف العدد. غير أنها نشرت في عددها الثالث صورة للورد بلفور، وتحتها نص الوعد الذي منحه لليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين. ونشرت صور عدد كبير من زعماء الصهيونية، من بينهم تيودور هرتزل، وحاييم وايزمان. وحرصت المَجَلَّة علىٰ تأكيد صهيونية طائفة اليهود القرائين. وأعلنت في عددها الصادر بتاريخ

١٣ يوليـو ١٩٢٤م، أن القـرائين في مصـر ضـموا صـوتهم إلـىٰ جميـع اليهـود في العـالم في أن تكـون فلسـطين لهـم عامـة، ووطنًـا قوميًـا لليهـود. وفي عـددها الصـادر بتـاريخ ٣ نـوفمبر ١٩٢٥م، كـذّبت المَجَلّـة صـحيفة «الأهـرام» عنـدما نشـرت برقيـة تشـكر فيهـا طائفـة اليهـود القـرائين لعـدم دعمهـا الفكـر الصـهيوني. وردت قائلـةً: «كـذب وافـتراء.. القـراءون يؤيـدون الصـهيونية ولا يعارضـون أهـدافها». وتوقفـت الصحيفة في أغسطس ١٩٢٩م.

١٢. صحيفة الصوت اليهودي

أسس ألبير ستراسلسكي فرعًا لحزب التصحيحيين، ليحمل لواء المعارضة داخـل صـفوف المنظمـة الصـهيونية في القـاهرة. وأصـدر صـحيفة الصـوت اليهودي باللغة الفرنسية في الإسكندرية عام ١٩٣١م. وكان يمولها عدد من كبار الرأسماليين اليهود، وتحظىٰ بتشجيع ودعم دافيد براتو، حاخام الطائفة اليهوديـة بالإسكندرية وقتهـا. ونشـرت وجهـة نظـر الصـهيونيين المتطـرفين داخل المنظمة الصهيونية العالمية. ولـم تستمر الصحيفة أكثر من ٣ سنوات.

وعنـدما انفصـل جابوتنسـكي عـن المنظمـة الصـهيونية، وأسـس المنظمـة الصهيونية الجديدة، قام ستراسلسكي بتحويل فرع حزب التصحيحيين إلىٰ فرع للمنظمة الجديدة. كما أنشأ فرعًا آخر في الإسكندرية. وكانـت المنظمـة الجديـدة تعـارض اعتمـاد حـاييم وايزمـان علـىٰ وعـود بريطانيـا، وتطالـب بالاعتماد علىٰ طاقات اليهود أنفسهم.

١٣. صحيفة إلى الأمام

في سبتمبر ١٩٣٥م أصدر سعد يعقوب مالكي جريدةً جديدةً باللغة الفرنسية تحت اسم «إلىٰ الأمام»، برئاسة تحرير موريس فرجون. وكانت تحتوي علىٰ مقالات داعمة للصهيونية. لكن كان مالكي يحاول في هذا الإصدار التخفيف من التوجه الصهيوني المباشر.

١٤. صحيفة المنير اليهودي

في عام ١٩٣٦م أصدر جاك رابين في الإسكندرية صحيفة المنير اليهودي، باللغتين الفرنسية والعربية. وكانت تنشر أخبار وأفكار المنظمة الصهيونية العالمية، فضلًا عن الدعوة لها والدفاع عنها. وهاجمت إيطاليا وألمانيا، ودعت إلىٰ مقاطعة البضائع الألمانية قبل أن تحتجب عن الصدور عام ١٩٤٨م. وتُعد هذه الجريدة من أخطر الصحف الصهيونية التي صدرت في مصر. وكان رابين في غاية النشاط ويكتب مقالاته في غالبية الصحف اليهودية ذات الميول الصهيونية. ومما يُذكر أنه ساهم بنشاط كبير في إنشاء نقابة الصحفيين المصريين.

١٥. صحيفة الشبان القرائين

في علم ١٩٣٧م أصدرت جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين مَجَلَّة تصدر مرتين شهريًّا باسم «الشبان القراءون»، رأس تحريرها توفيق عبد الواحد. وصدر من هذه المَجَلَّة خمسة عشر عددًا، وتوقفت بعدها.

١٦. صحيفة الكليم



في ١٦ أبريل عام ١٩٤٥، أصدرت جمعية الشبان اليهود القرائين، بالقاهرة، مَجَلَّة نصف شهرية اسمها «الكليم»، وترأس تحريرها مراد ليتو ثم يوسف كمال. كانت الكليم في البداية منبرًا لطائفة القرائين، لإيجاد رابط قومي بين قرائي العالم من اليهود. وبعد ذلك غيّرت سياستها واهتمت بالنشاط الصهيوني العالمي، والحديث عن الاضطهاد الذي يلاقيه اليهود، ودعت اليهود المصريين إلىٰ الهجرة لفلسطين.

وفي عددها الصادر بتاريخ ١ يوليو ١٩٤٥م تساءل محرر بالصحيفة قائلًا: «ماذا جرىٰ للمجلس المالي للطائفة القرائية، ولم يتجاهل أمر الهجرة إلىٰ فلسطين وتحقيق حلم الوطن القومي؟»، إلا أنها توقفت عن هذا الاتجاه بعد عام ١٩٥٢م، واكتفت بنشر أخبار الطائفة اليهودية. وظلت الصحيفة تصدر بانتظام حتىٰ أُغلقت عام ١٩٥٧م.

١٧. صحيفة التسعيرة

أصدر إبراهيم يعقوب مزراحي الشهير بألبير مزراحىٰ صحيفة «التسعيرة». وصدر العدد الأول منها في ١٧ يونيو ١٩٤٤م. ومزراحي كاتب وصحفي

مصري يهودي، عضو في نقابة الصحفيين، وكانت الصحيفة متخصصة في نشر تسعيرة المواد التموينية لذلك حققت انتشارًا واسعًا. كما اهتمت بأخبار الفن خاصة الفضائح الشخصية وأخبار الجرائم المخلة بالآداب. وتحولت الصحيفة سنة ١٩٤٥ لصحيفة هزلية ساخرة، وبعدها تحولت لصحيفة سياسية.

حققت الصحيفة أرباحًا مكنتها عام ١٩٤٦م من تأسيس دار نشر وكالة مصر للصحافة. والتي أصدرت صحف المصباح ـ الصراحة ـ الراية ـ المبادئ – صوت الشعب، كما أصدرت كتابين من وحي الماسونية والشيوعية. إلا أن التسعيرة لم تفلت من الضغط الصهيوني. وبعد أن كانت تدين الأعمال الإرهابية للصهاينة في فلسطين، وتُهاجم ليون كاسترو النصير الأول للصهاينة في مصر، أوقفت هذا الهجوم. وتحولت هي نفسها لمهاجمة كل من يعترض على نشر الدعاوى الصهيونية واتهامهم بالشيوعية. وأُوقفت الجريدة عن الصدور عام ١٩٥٤م.

١٨ـ صحيفة إسرائيل

أصدر ألبرت موصيري صحيفة إسرائيل الأسبوعية – هاشو مير هازير عام ١٩٢٠م في القاهرة والإسكندرية بثلاث لغات، العربية والعبرية والفرنسية. ورغم أن الطبعة العربية لم تستمر إلا ١٤ عامًا، فإن الطبعة الفرنسية ظلت تصدر ١٩ عامًا تقريبًا. أمَّا الطبعة العبرية، فلم تعش طويلًا. وكانت الصحيفة تؤيد فكرة الوطن القومي والدفاع عن الشعب اليهودي. في

أعدادها الأولىٰ، قالت إنها لا تهدف إلىٰ الربح قدر كونها تبشر بالحرية والعدالة. وتحولت بعدها إلىٰ متحدثة بلسان المنظمة الصهيونية في مصر. ونشرت الصحيفة أخبار المنظمة والنشاط الصهيوني في فلسطين.

بعد وفاة ألبرت موصيري أشرَفت أرْمَلته ماتيلدا علىٰ الصحيفة. نالَت هذه الصحيفة اهتمامًا كبيرًا؛ سواءً علىٰ مستوىٰ الصفوة، أو مستوىٰ الجماهير اليهودية. خصوصًا وأنها كانت صهْيَونية في قناعتها، وتُقدِّم لقُرَّائها حقيقة التناقُضات بين الصِّهْيَونية كنظرية، وبين الواقع العربي الذي يعيش فيه اليهود المصريون. بمناسبة مرور ١٤ عامًا علىٰ صدور الصحيفة قامت بتعريف نفسها بأنها: أول جريدة عربية يهودية صدرت في الشرق بعد تصريح بلفور. وإنها مثلت خير وساطة لتعريف اليهود الناطقين بالضاد في كل الأقطار العربية بحالة العالم الإسرائيلي، وما يصيبه من أفراح وأتراح. وفي العددين الثامن والتاسع الصادرين معًا يوم ٣ مارس ١٩٣٣م، نعت صاحبها ومؤسسها ألبرت موصيري، قائلةً إنه رجل كرس جهوده لخدمة الإنسانية عامة والأمة

اليهودية خاصة. وكان من أوائل الملبين لدعوة تيودور هرتزل الصهيونية في الأوساط الفرنسية. وبعد عودته إلىٰ القاهرة عُني بنشر الصهيونية والدعوة إليها.

ومع استمرار الخلاف بين يهود ألمانيا والحزب النازي الحاكم، كرست الجريدة افتتاحيات أعدادها لذلك الموضوع، وإبراز فرار رجال الفكر اليهود من ألمانيا. كما عنونت إحدىٰ افتتاحياتها بالقول: إن المظاهرات لا تحل المسألة الفلسطينية وإنما يحلها التعاون والهدوء. وذلك في إطار انتقادها للمظاهرات التي انطلقت في القدس عقب صلاة الجمعة، بدعوة من اللجنة التنفيذية العربية. وبالطبع لم تدخر الصحيفة وسعًا لمهاجمة اللجنة.

وفي عدد آخر كرست صاحبة امتياز الجريدة -وهي أرملة ألبرت موصيري- افتتاحية العدد للحديث عن المشكلات المادية التي تعانيها الجريدة. وقد بلغت درجة تهدد بإغلاقها، فتناولت فلسفة الجريدة وأهدافها، والخطة التي انتهجتها، وما أنجزته للقضية اليهودية عامة. اهتمت الصحيفة بأحوال يهود فلسطين، واستمرت في تغطيتها بشكل فاق ما كانت تخصصه لأخبار يهود مصر وأحوالهم. كذلك اهتمت بأخبار يهود العالم، وبخاصة في ألمانيا وأوروبا. وتابعت تحركات زعماء الصهيونية واجتماعاتهم في البلدان الأوروبية، لحشد الدعم والتأييد ولمساعدة يهود العالم في هجرتهم إلىٰ فلسطين وتهيئة الظروف المناسبة لاستيطانهم.

وفيما يخص أحوال اليهود في مصر، يُلاحظ أن الصحيفة رغم كونها مصرية وتصدر بلغة عربية لقراء يفترض بهم أن يكونوا يهودًا يتقنون العربية، فإنها لم تولِ اهتمامًا كبيرًا لأوضاع الطائفة اليهودية المصرية. مقارنةً باهتمامها بأخبار اليهود في فلسطين والعالم. وإجمالا، فقد كانت الصحيفة قوية في لغتها العربية، صهيونية في نزعتها، ذكية في اختيار موضوعاتها. وتمثل وثيقة تاريخية تحتفظ لنا بتفاصيل مهمة حول الأحداث التي عرفتها فلسطين ومصر، وبجوانب من نشاط الحركة الصهيونية أيضًا. وقد تمتعت بحرية واسعة، رغم صراحتها في تبني النشاط الصهيوني. ورغم كل الدعم الذي قدمته المنظمات الصهيونية للصحيفة فقد توقفت عن الصدور عام ١٩٣٣م.

١٩. صحيفة الشمس

في ١٤ مايو ١٩٣٤م سارع سعد يعقوب مالكي -رئيس تحرير صحيفة إسرائيل التي توقفت عن الصدور- بإصدار صحيفة الشمس كي تكون بديلًا عنها. وتولىٰ رئاسة تحريرها، وحرص علىٰ عدم إظهار وجهها الصهيوني. كانت الصحيفة أسبوعية وتصدر باللغة العربية. وفي عام ١٩٣٥م أصدر مطبوعة شهرية باللغة الفرنسية اسمها إلىٰ الأمام، تحت إشراف موريس فرجون. استفاد سعد مالكي من الأخطاء التي وقعت فيها صحيفة إسرائيل، فكانت الصحيفة تؤكد دومًا انتمائها لمصر ومساندتها للقضية الوطنية المصرية. ونشرت خبر بيان جمعية الشبان اليهود المصريين الذي

أصدروه بعد مؤتمرهم الذي عقدوه يوم ٢٧ فبراير ١٩٤٧م. والذي جاء فيه: أن يهود مصر يرفعون صوتهم مطالبين بالجلاء ووحدة وادي النيل، وأنهم يشاركون أسر الشهداء في مصابهم ويعلنون الإضراب العام يوم ٤ مارس ١٩٤٦م حدادًا علىٰ شهداء الوطن، وأن المعابد ستقيم الصلوات يوم ٢ مارس ١٩٤٦م تمجيدًا لذكرىٰ الشهداء. إلا أنها بالطبع هاجمت أي عمل يقوم به الإنجليز ضد الصهاينة في فلسطين، كما هاجمت حركة المقاطعة العربية للبضائع الصهيونية.

وقالت الصحيفة إن من أهدافها نشر الفضيلة والثقافة، إلا أنها تحولت لتصبح صوتًا للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر. ودعت إلىٰ إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. اختصت الشركات الصهيونية الصحيفة في ترويج بيع أراضي فلسطين، ونشر إعلانات تشعل العاطفة الدينية لدىٰ اليهود لحثهم علىٰ شراء الأراضي الفلسطينية. ومن بين هذه الشركات: تطوير ميناء حيفا ليمتد، لبديت، عتيد، ووكالة الأراضي والأملاك الفلسطينية. وكانت الشمس تنقل مقالات كاملة تنشرها الصحف المصرية. وفي عددها ٩٢ الصادر بتاريخ ٢ يوليو ١٩٣٦، نشرت مقالًا لطه حسين، كان قد نشره في مَجَلَّة الثقافة. وكان قد دافع فيه عن الفيلسوف اليهودي الفرنسي هنري برغسون. وكتبت في العدد التالي له عن آليات كسب ود الشعب المصري، قائلةً: إذا تسنىٰ لليهود كسب عطف الشعب المصري عليهم؛ فذلك يمهد

لطمأنينة اليهود الشرقيين حيال القضية اليهودية، لأن مصر قلب الشرق الخافق.

ونشرت صحيفة الشمس في عددها الصادر يوم ٢١/ ٧/ ١٩٤٤م: «اليهود بحاجة إلىٰ وطن، والوطن بحاجة إليهم، فليتحدوا ليكونوا قوة واحدة يفهمون بها العالم أجمع أنهم عازمون علىٰ أخذ حقهم بالكامل في الحياة بأيديهم، ونحن نقيم التظاهرات الاستنكارية في كل رجأ من أرجائنا وناحية من نواحينا، وشعراؤنا يتبارون في قصائدهم حول أي منها أدرك سؤله وأبلغ سمع العالم بمضمونها المصوغ والمحبوك بقوالب هي غاية ما يسمو إليه الوجدان من البداعة والأسر والتأثير حتىٰ في الجمادات».

دافعت صحيفة الشمس عن الاستيطان بقولها: «تعلمون أن اليهود اشتروا الأراضي في فلسطين من العرب بمحض إرادتهم وبأضعاف أثمانها ولم يأخذوها منهم اغتصابًا، فاللوم إذًا عائد علىٰ العرب. وتعلمون أن فلسطين بعد أن كانت صحراء جرداء أصبحت بوجود اليهود جنة فيحاء، والعرب فيها أصبحوا أغنياء». بعد قيام دولة إسرائيل تم تقديم عدة شكاوىٰ ضد الصحيفة؛ فأصدرت الرقابة العامة قرارًا بتعطيلها اعتبارًا من ١١ يونيو ١٩٤٨م.

نماذج من الصحافة غير اليهودية

لم تقتصر الدعاية الصهيونية علىٰ الصحافة اليهودية، بل وجدت في بعض الصحف المصرية بعض الدعم. ومنها صحيفة المقطم، الناطقة بلسان

الاحتلال البريطاني في مصر. وصحيفة الاتحاد - صحيفة الشعب. بينما تعرضت الصحف المعادية للصهيونية، مثل: البلاغ، كوكب الشرق، الصرخة، مصر الفتاة، صوت الأمة- للهجوم الشديد من جانب الصحافة الصهيونية. وبعد استعراض الصحافة اليهودية الصادرة في مصر -في فترة ما قبل إنشاء دولة إسرائيل- نلاحظ مقدار الحرية التي كان يتمتع بها اليهود العرب في طرح أفكارهم.

وتتجسد خطورة الدور الثقافي للمثقفين اليهود في مصر، في محاولة الالتفاف حول كبار الكُتاب والأدباء المصريين، وبالتالي ضمان امتناعهم عن كتابة أي شيء يؤدي بشكل أو بآخر إلىٰ كشف النيَّات الحقيقية للنشاط الصهيوني. والذي كان يحاول التخفي خلف القناع الديني لليهود المصريين. ونجح اليهود بالفعل في اكتساب ثقة وتعاطف ومشاركة مثقفين من أمثال: طه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد ولطفي السيد وغيرهم.. وفيما يتعلق بطه حسين فقد تتلمذ علىٰ يده كثير من الطلبة اليهود أمثال: إسرائيل ولفنسون، الذي أعد رسالة دكتوراة عن تاريخ اليهود.

المحزن أن مزايا الهجرة إلىٰ فلسطين تناولتها الصحف المصرية، بسبب دخول الصهيونيين ميدان الكتابة. مثلًا نجد أن صحيفة الاهرام، قد أيدت الهجرة اليهودية للاستفادة من مزاياها. ولكنها ربطت هذا التأييد بشرطين، أولهما أن ينتشر اليهود في جميع الاقطار التابعة للدولة العثمانية، وأن لا يتركزوا في فلسطين. كما طالبت هذه الصحيفة بحصول اليهود علىٰ الجنسية

العثمانية. أما صحيفة المؤيد فقد مالت إلىٰ رفض الهجرة اليهودية، لكنها سمحت للكاتب اليهودي نسيم ملول بنشر مقال مطول دافع من خلاله عن وجهة نظر الحركة الصهيونية بالنسبة للهجرة اليهودية. أما صحيفة



المقطم فقد سمحت لسليم قبعيين بنشر مقالات علىٰ صفحاتها، شرح من خلالها مزايا الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين. تحدث في هذه المقالات عن المستوطنات اليهودية في فلسطين. وكتب مقالًا خاصًا قارن فيه بين العرب واليهود وبين القدس القديمة والقدس الحديثة.

كشفت الدراسات أن الصحف المصرية الثلاث التي اهتمت بموضوع الهجرة إلىٰ فلسطين -وهي الأهرام، والمقطم، والمؤيد- اهتمت بكشف الأساليب التي اتبعها اليهود لادخال المهاجرين إلىٰ فلسطين، والتحايل علىٰ القوانين والفرمانات العثمانية. من هذه الاساليب: رشوة الحكام العثمانيين والتواطؤ معهم، إغراء الفلاحين والسماسرة العرب بالأسعار المرتفعة، تقديم رِشًىٰ لعدد من القناصل الـجانب في الدولة العثمانية لإصدار شهادات تؤكد بأن اليهود أجانب من حقهم شراء الأراضي داخل

الدولة العثمانية. أشارت الدراسات أن جميع الكتاب اليهود الذين دعموا موقف الصهيونية كانوا يعملون كفريق واحد، وبصورة منظمة. بينما عمل الكتاب العرب الذين حاولوا التصدي للمشروع الصهيوني بصورة عشوائية، لم تتوفر لديهم هيئة توجههم، ولم تكن لديهم رؤية مشتركة. وكان لذلك انعكاساته السيئة علىٰ الجمهور الذي اختلطت عليه الأمور.

حاول الكتاب العرب -خاصةً أهل الشام- الإشارة في مقالاتهم في الصحف المصرية، إلىٰ الأخطار الصهيونية. وركزوا علىٰ أن زيادة عدد اليهود في فلسطين، سوف تمكنهم من وضع يدهم علىٰ السلطة في البلاد. وأوضح هؤلاء الكتاب بأن المستعمرات اليهودية في فلسطين أصبحت بالفعل تمثل دولة داخل دولة، من حيث استقلالها الإداري واضطلاعها بمسئولية الأمن فيها، بعيدًا عن سلطة الدولة العثمانية. الأمر الذي سوف يؤدي إلىٰ تقلص سلطة الدولة العثمانية، وهذا بدوره سوف يؤدي إلىٰ تحويل وجود اليهود في فلسطين إلىٰ مشكلة قومية. مثلها في ذلك مثل المشكلات القومية التي كانت تعانيها الدولة العثمانية، كالمشكلة الأرمنية وغيرها.

الفصل السادس
النشاط الاقتصادي

المجموعات الاقتصادية

حرصت الحركة الصهيونية علىٰ أن يكون علىٰ رأس التنظيمات الصهيونية في مصر شخصيات يهودية نافذة. من ذوي النشاط الاقتصادي البارز في الاقتصاد المصري، وأصحاب علاقات قوية مع النخب السياسية المصرية. كانت الحركة ترىٰ أن هذه الشخصيات -بنشاطها الاقتصادي الواسع وبعلاقاتها الوطيدة مع النخبة الحاكمة- تستطيع أن تكسب للنشاط الصهيوني في مصر الشرعية. وترجع هذه الظاهرة إلىٰ أواخر القرن التاسع عشر، حيث انحصرت زعامة الطائفة اليهودية في العائلات الثرية. وكانت هذه الزعامة مسئولة بشكل قانوني عن الطائفة أمام الدولة المصرية. الأمر الذي ساعد العائلات الغنية في سيطرتها علىٰ باقي أفراد الطائفة، وسهَّل استغلالهم في أعمالها الاقتصادية. وفي الوقت نفسه ضمنت ولاءهم، باعتبارها المدافع عنهم، والممثل القانوني لهم.

ولكن بعد انهيار المفهوم التقليدي لزعامة الطائفة، كان لا بد من أيديولوجية جديدة لتزييف وعي الجماعات اليهودية المُستغلة من قبل الرأسماليين اليهود، فوجدوا أن الصهيونية هي خير معين في ذلك الميدان. ويمكن تبيان ذلك من خلال الأنشطة الاقتصادية التالية: البنوك - شركات التأمين - البورصة المصرية - شركات الأراضي - شركات الأقطان - المحلات التجارية الكبرىٰ - النقل والمواصلات - المواد الغذائية.

تركز اليهود في مجموعتين لكل منهما نشاطها الاقتصادي المتكامل في مصر: مجموعة القاهرة ومجموعة الإسكندرية. وقد تأسست مجموعة الإسكندرية عام ١٨٤٠م، وكانت صلتها وثيقة ببريطانيا. وخاصة بعد إشراف منتيفورى لدى محمد علي على تدعيم استقرار العديد من اليهود الأوربيين، وخاصة المهاجرين إلى مصر، والذين نقلوا معهم الدور التجاري الذي كانوا يمارسونه في مناطق أوروبا، وكانت هذه الجماعات نواة تشكيل العمل المصرفي.

وسعى مونتيفورى إلى رفع عبء الضرائب الباهظة التي كان يفرضها عليهم محمد علي عام ١٨٣٠م، ليجهّز حملته على الشام. وسعى منتيفورى إلى فتح طريق لتطوير النشاط الاقتصادي في الإسكندرية، لممارسة نشاطها في ظل الظروف الجديدة. والتي تأكدت بإجبار محمد علي باشا على إلغاء الاحتكارات بعد هزيمته. حيث بدأ يطبّق نظام الباب المفتوح عام ١٨٤٢م.

وفي عام ١٨٤٤م طالبت مجموعة القاهرة بضرورة تطبيق الحماية من مجلس النواب البريطاني عليها؛ لكي تتاح لها فرصة ممارسة النشاط الاقتصادي، كما هو الحال بالنسبة لمجموعة الإسكندرية. وقد ساعد تصاعد الحركة التجارية في بريطانيا على سرعة تراكم رأس المال اليهودي. بالإضافة إلى دعم العديد من يهود الخليل وصفوة الذين رحلوا من فلسطين إلى القاهرة، عقب تدمير المدينتين التجاريتين أثناء حملة إبراهيم باشا على

فلسطين عام ١٨٣٤م. ورحل العديد منهم إلىٰ القاهرة لتشغيل خطوط تجارية مع المدن الشامية، ودعم وجودهم بعد تقلّص النفوذ المصري في الشام.

وقد تمكن اليهود من السيطرة علىٰ العمليات المصرفية في الإسكندرية من خلال شركة أوبنهايم ـ شابير وشركائهم. وكانوا يقرضون الخديوي سعيد، فقاموا بإقراضه عام ١٨٦٢م مبلغ ٤٠ مليون فرنك فرنسي، زاد فيما بعد إلىٰ ٦٠ مليون فرنك. وتمَّ الاتفاق علىٰ تسديده بضمان إيرادات أراضي الدلتا. واستمر نشاط شركة أوبنهايم من عهد سعيد حتىٰ عهد إسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) في خِدْمات الإقراض والأعمال المصرفية.

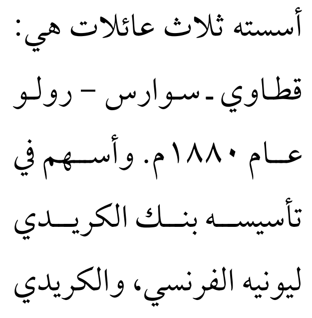
وفي عام ١٨٧٠م اتفق الخديوي إسماعيل علىٰ اقتراض نحو ١٥ أ مليون جنيه إسترليني من سوق لندن، من بيت أوبنهايم. مُقابل سندات علىٰ الخزينة كالعادة، مضمونة بإيرادات السكك الحديدية. وكان هذا القرض سبب إعلان الخديوي إسماعيل إفلاسه في ٧ أبريل عام ١٨٧٦، ليُصدر بعد هذا قرارًا بتوحيد ديون مصر العامة وإنشاء صندوق الدين الذي أصبح فاتحة لسيطرة اليهود علىٰ الاقتصاد المصري.

البنوك اليهودية

شارك اليهود في تأسيس عدد ضخم من البنوك والشركات المالية. الأمر الذي مكنهم من الإمساك بمفاصل الاقتصاد المصري. ومن أهم تلك البنوك والشركات:

١ـ البنك العَقَاري المصري:





أسسته ثلاث عائلات هي: قطاوي ـ سوارس – رولو عام ١٨٨٠م. وأسهم في تأسيسه بنك الكريدي ليونيه الفرنسي، والكريدي فونسيه. واختص البنك بإدارة صندوق الدين في مصر. وقد لعب هذا البنك دورًا مؤثرًا في الاقتصاد الزراعي المصري. ونتيجةً للقروض التي منحها للملاك الزراعيين أصبح يتحكم في أكثر من مليون فدان مصري.

٢ـ البنك الأهلي المصري:

كما تأسس البنك الأهلي المصري عام ١٨٩٨م بقيادة ميشيل سلفاجو وإرنست كاسيل ورافائيل سوارس. وذلك برأسمال قدره ٣ ملايين جنيه إنجليزي ومبلغ مماثل كاحتياطي. ويُلاحظ أن هذا البنك تحول إلىٰ بنك مركزي عام ١٩٥١م، وتم السماح له بإصدار أوراق البنكنوت بمقتضىٰ امتياز ممنوح له.

٣ـ البنك التجاري المصري:

تأسس عام ١٩٠٥م تحت اسم بنك التسليف الفرنسي، ثم تحول إلىٰ شركة مساهمة مصرية باسم البنك التجاري المصري عام ١١٩٢٠م. وأسهم في

تأسيسه عائلتا سوارس وقطاوي. صادف تأسيس البنك ظروفًا اقتصادية سيئة أثرت علىٰ أعماله في الثلاثينيات، ولكن تحسنت أوضاعه المالية ابتداءً من العام ١٩٤٤، وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارته جاك سوارس، وجوزيف قطاوي.

٤. بنك موصيري

وهو بنك إيطالي أسسته في مصر أسرتا موصيري وكورييل عام ١٨٨٠م.

٥. بنك سوارس

قام أبناء سوارس بتأسيس ذلك البنك عام ١٨٨٠م، وتم تحويله إلىٰ شركة مساهمة عام ١٩٣٦م. تولىٰ رئاسة البنك جاك نجار، وشارك في مجلس الإدارة كل من: يوسف قطاوي - كارلوس يوارس - فريد ساكس.

٥. البنك البلجيكي الدولي

تأسس البنك عام ١٩١٢م، وأُعيد تأسيسه بشركة مساهمة عام ١٩٢٩م تمارس نشاطها في مصر. ساهم في تأسيس البنك عدد من البنوك البلجيكية والسويسرية، بالإضافة إلىٰ عائلات إدوارد إمبان ـ رولو - عدس.

٦. بنك حاييم يعبيس

أسس البنك إيلي يعبيس، ثم شاركه إيزاك ليون وتحول اسم البنك إلىٰ بنك إيزاك ليون وأولاد إيلي يعبيس. وكان إيزاك يعبيس رئيسًا لمجلس الإدارة.

٧ـ الشركة المصرية لتوظيف الأموال والتسليف

أسستها عائلتا ناكامولي وشيكوريل.

٨ـ الشركة المصرية المالية

أسستها عائلات: عدس – رولو – موصيري – قطاوي. وتشكل مجلس الإدارة برئاسة كليمان عدس، وعضوية كل من: هنري موصيري – موريس موصيري – سيمون رولو – أصلان قطاوي – رالف هراري.

٩ـ شركة الشرق الأدنى المالية

اشترك في تأسيس تلك الشركة عام ١٩٣٧م كل من سمحا إمباخ وجاك يانكوفيتش.

١٠ـ بنك زلخة

قامت عائلة زلخة العراقية اليهودية بتأسيس هذا البنك عام ١٩٤٤م علىٰ شكل شركة مساهمة، تأسس بالقاهرة في مارس ١٩٤٤م، وبدأ عمله برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه، ثم زادت في العام ١٩٤٥م إلىٰ ٤٠٠ ألف. وتنسب تسمية البنك إلىٰ أسرة زلخة اليهودية العراقية. عمل البنك في مجال العمليات المصرفية، وتحويل العملة، والخصم، والتسليف، والوساطة، سواءً لحسابه أو لحساب الغير في مصر. وكذلك جميع العمليات المالية التي لها صلة بتجارة القطن بما فيها الاستيراد أو التصدير. كما كان يجوز له الاشتراك مع الغير في أي مشروع صناعي أو مالي وتجاري. وكان للبنك

ثلاثـة أفـرع في قصـر النيـل، والموسـكي، بينمـا كـان الفـرع الثالـث في الإسكندرية.

قام البنك بجمع الأسلحة والمؤن وإرسالها إلىٰ الصهاينة في فلسطين. وقدم وزير العراق المفوض في مصر تقريرًا للحكومة المصرية. يفيد أن وكيل هذه الشركة بـالعراق وخليج البصـرة -وهـو التـاجر والمحـامي اليهـودي نسـيم روبيني سليمان- ونال هذا التوكيل عـن طريـق بنك زلخة بالقـاهرة. وأخـذ يسخِّر هذه البواخر لمصلحته، مما يسيء إلىٰ سمعة مصر مـن نقـل المـؤن والعتاد الحربي من المعسكرات إلىٰ الصهاينة في فلسطين.

كما اشترىٰ اليهود شحنة مـن صـناديق السـلاح الأمريكـي في إيـران بواسـطة الوكالة اليهودية في إيران، وأرسلوها عن طريق هـذا الوكيـل بواسـطة السـفن المصـرية إلـىٰ الصـهاينة في فلسـطين. وفي عـام ١٩٥٢م أخطـرت الحكومـة العراقية المفوضية المصرية ببغداد بأن معلومات رسمية قد وصلت إلىٰ علم الحكومة العراقية. وتفيد بأن بنك زلخة يزاول نشـاطه في مصـر بحريـة تامـة، وعلىٰ أوسع نطاق، وأنه يقوم بجميع أعمال التحويل والتهريـب بـين فروعـه في الشرق الأدنىٰ، ووكلائه في أوروبا وأمريكا من جهة، وإسـرائيل مـن جهـة أخرىٰ.

وتنفيذًا لمقررات هيئة ضباط الاتصال لمكاتب المقاطعة فقد أغلقت فـروع البنك المـذكور في بغـداد ودمشـق. وذلـك لثبـوت اتصـالاته المباشـرة وغيـر المباشرة بإسرائيل. وحرصًا علىٰ تنفيذ الحكومة المصـرية مقـررات جامعـة

الدول العربية القاضية بأحكام المقاطعة الاقتصادية، تم فرض الحراسة علىٰ بنك زلخة بعد العدوان الثلاثي علىٰ مصر عام ١٩٥٦م.

شركات التأمين اليهودية

كما شارك اليهود في إنشاء أولىٰ شركات التأمين في مصر. ومن أهم شركات التامين اليهودية: شركة الإسكندرية للتأمين، وشارك في التأسيس والإدارة كل من: روبير رولو – إميل عدس – ألبير مزراحي – إدوين جوهر – جوستاف أجيون. وشركة التأمين الأهلية المصري. وشارك في التأسيس والإدارة كل من: روبير رولو – موريس نسيم موصيري – أصلان قطاوي – روبير بلوم. وشركة الإسكندرية للتأمين علىٰ الحياة، وشارك في التأسيس والإدارة كل من: روبير رولو – إدوين جوهر.

إنشاء البورصة المصرية



بورصتا القاهرة والإسكندرية أو البورصة المصرية هي مؤسسة تضم بورصة القاهرة وبورصة الإسكندرية. وتُدار كلتاهما بنفس المديرين، وتتشاركان في نفس المعاملات

التجارية، أي أنهما مؤسسة واحدة لكن في موقعين منفصلين. ولقد تأسست بورصة الإسكندرية في عام ١٨٨٣م، في حين تأسست بورصة القاهرة في عام ١٩٠٣م. ساهم اليهود في ميلاد بورصة القاهرة؛ ففي يوم الخميس الموافق ٢١ مايو أيار ١٩٠٣م قامت اللجنة الخاصة برئاسة موريس قطاوي بك باختيار المبنىٰ القديم للبنك العثماني -الكائن بشارع المغربي- كمقر رسمي للشركة المصرية للأعمال المصرفية. والبورصة شركة ذات مسئولية محدودة.



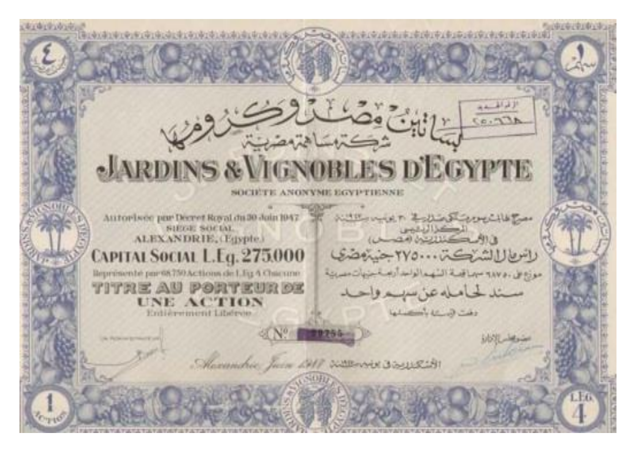
وكان الأعضاء المؤسسون لبورصة القاهرة في عام ١٩٠٣ هم: موريس قطاوي بك ـ الرئيس أربيب ـ كوكسن ـ جناروبولو أوزيول ـ ماكليفري - أدولف قطاوي - أ. ك. ريد. هذا بالإضافة إلىٰ ممثل عن كل من بنك كريدي ليونيه، بنك مصر، البنك الإمبراطوري العثماني، البنك المصري البريطاني والبنك الأهلي المصري. وكان السكرتير العام للبورصة في عام ١٩٠٣م يُدعىٰ بوتيني. ويكفي أن نشير إلىٰ أن قائمة رؤساء بورصة القاهرة كانت تضم كل من جوزيف حاييم بيريز (١٩٢٥-١٩٢٩)، وإيلي نجار (١٩٤٧-١٩٤٨) وصامويل إميل ليفي (١٩٤٨-١٩٥٨).

وفي عـام ١٩٠٧م احتلـت بورصـتا القـاهرة والأسـكندرية المرتبـة الخامسـة عالميًّا مـن حيـث المعـاملات وقيمـة التـداول؛ حيـث بلـغ عـدد الشـركات المتداولـة في بورصـة القـاهرة ٢٢٨ شـركة، بإجمـالي رأس مـال قيمتـه ٩١ مليون جنيه مصري في ذلك الوقـت. وفي الأربعينيـات احتفظـت البورصـتان مجتمعتين بالمركز الرابع عالميًّا.

شركات الأراضي



تـزعم اليهـود إنشـاء شـركات الأراضـي التـي كانـت تقـوم بشـراء الأراضـي وإصلاحها، ثم إعـادة بيعهـا. ومـن ذلـك: شـركة وادي كـوم أمبـو، والتـي تأسسـت في ١٤ إبريـل ١٩٠٤م، بعقـد امتيـاز مدتـه ٩٩ عامًـا لمساحة ٣٠ ألف فدان. وحتىٰ عام ١٩٥٢م كانت قد أضافت بالامتلاك ٤٠ ألف فدان لتبلغ جملة حيازتها ٧٠ ألف فدان. وتشكل مجلس إدارته برئاسة روبير رولـو وعضـوية كـل مـن: رينيـه قطـاوي - يوسـف أصـلان قطـاوي - أرنست كاسل - فيلكس سوارس - ليون سوارس - روفائيـل سـوارس - هنري موصيري - رالف هراري.



وشركة مساهمة البحيرة، التي تأسست في أول يونيو ١٨٨١م. وبلغت جملة مساحتها عام ١٩٠٧م نحو ١٢٠ ألف فدان بمديرية البحيرة. وتكون مجلس إدارتها عام ١٩٤٧م برئاسة ميشيل سلفاجو وعضوية كل من: جوزيف عاداه – آسيل عاداه – رينيه إسماعيلون.

وشركة أراضي الغربية العَقَارية: تأسست عام ١٩٠٥م، بلغت جملة مساحتها عام ١٩٣٢م نحو ستة آلاف فدان بمديرية الغربية، ارتفعت إلىٰ ثمانية آلاف فدان عام ١٩٤٨م. كان من كبار مؤسسيها: جوزيف عاداه – هنري موصيري – جويد ليفي. وشركة أراضي الشيخ فضل: تأسست هذه الشركة علىٰ مساحة قدرها نحو تسعة آلاف فدان عام ١٩٤٢م. وتكون مجلس إدارتها برئاسة يوسف قطاوي وعضوية كل من: إبرامينو آشير – أصلان قطاوي – ليون سوارس – روبير مصيري – هنري موصيري – همبرت موصيري – سلمون نحماس.

وشركة الاتحاد العَقَاري المصري: علىٰ مساحة قدرها نحو ١٣ ألف فدان، شارك في ملكيتها وتولىٰ رئاسة مجلس إدارتها يوسف أصلان قطاوي، واشترك معه كل من: إميل عدس - عبد الله زيلخة. والشركة الزراعية المصرية بالقطر المصري: أسسها موشيه عنتيبي. والشركة الزراعية بمصر: شارك في تأسيسها كل من أصلان قطاوي وإميل عدس.

شركات الأقطان

وتضم هذه المجموعة الشركات التي تعمل في مجال تجارة القطن، وفرز وتصديره. وكذلك المحالج والمكابس، وزيوت بَذرة القطن، وشركات النسيج والملابس، ومنها علىٰ سبيل المثال: الشركة الشرقية للتصدير، لجمع وفرز وتصدير القطن، أسستها أسرة عاداه. وشركة الأقطان المتحدة بالإسكندرية، وكانت من أهم شركات تصدير الأقطان. وقد أسستها أسرة توريل، وتولىٰ إدارتها: أندريه توريل - رينيه توريل - هنري توريل. وشركة حليج الوجه القبلي، أسسها وشارك في إدارتها كل من: روبير رولو - جاك رولو - إريمان نحمان. وشركة مكابس الإسكندرية، وأسستها عائلة شيكوريل،

وشـارك في مجلـس إدارتهـا: مورينـو شـيكوريل - دافيـد شـيكوريل - ليون شيكوري - أرمان نحمان - جوزيف دي فاردا.

وشركة المحلات الصناعية للحرير والقطن، أسستها أسرة منشَّه، وشارك في إدارتها: ألبير منشَّه - موريس منشَّه - مراد منشَّه - ليون مزراحي. وشركة النسيج والحياكة المصرية، أسسها تحالف عائلات قطاوي ـ موصيري ـ عدس. وشارك في مجلس إدارتها: سيمون رولـو - إميل نسيم - جاستون نسيم - رالف هراري. وشركة محلات الملكة الصغيرة: هي فرع لشركة مركزها الرئيسي مدينة ليون بفرنسا. تكون مجلس إدارتها من فيكتور كوهين رئيسًا، وعضوية كل من: ريمون كوهين - هارون كوهين - ماكس مزراحي - اسحق مزراحي.

وشـركة الملابـس والمهمـات المصـرية: أسسـها مـوريس ليبـوفيتش، وتفوقـت مـن حيـث الجـودة فتعاقـدت معهـا الحكومـة المصـرية لتصـنيع ملابـس رجـال الحربيـة والبحريـة والبـوليس. وشـركة المنسـوجات المصـرية ماتكسـا: أسسـها وأدارهـا كـل مـن: مـاكس رولـو - أرمـان موتسـاكي - جوسـتاف أجيـون - إيلـي جـاتينيو. وشـركة صـباغي البيضـا: أسسـتها وأدارتهـا عائلـة سـموحة. وشـركة كونتننتـال للأقطـان: أسسها وأدارها كل من موريس ساسون وروبير رولو.

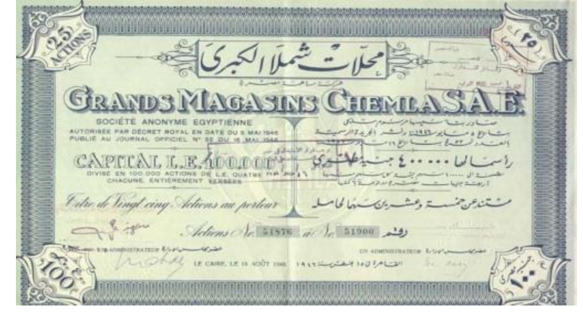
شركات المحلات الكبرى





شركة محلات شيكوريل: أسستها عائلة شيكوريل عام ١٨٨٧م.

شركة محلات جاتينيو: أسسها وأدارها موريس جاتينيو. وشركة شملا الكبرىٰ لتجارة الملابس: تأسست في عام ١٩٠٧م كفرع لمحلات شملا في باريس، وتحولت إلىٰ شركة مساهمة عام ١٩٤٦م، وشارك في إدارتها: كليمان شملا – دافيد شملا – فيكتور شملا. ومن أشهر تجار الأقمشة المانيفاتوة والقومسيونجية: إيلي حموي – سيزار ساسون – نسيم عدس – أجيون كوهين – يوسف شالوم – كريازي كوهين – حاييم دويك – ماكس هراري – نسيم جداع – سليم سقال – إدجار اسكاكي – جاك استون.



محلات شملا الكبرى

GRANDS MAGASINS CHEMLA S.A.E.

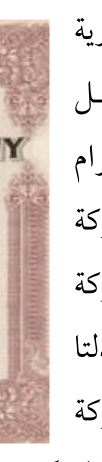
SOCIÉTÉ ANONYME EGYPTIENNE

CAPITAL L.E. 400.000

Titre de Vingt cinq Actions au porteur

أما داود عدس فهو تاجر مصري يهودي أسس مجموعة من المحال التجارية، وهي محلات مشهورة باسمه في شارع عماد الدين في القاهرة، وهناك أيضًا في شارع الأزهر. وهو أول من أدخل نظام البيع بالتقسيط في مصر للموظفين. عائلة عدس اشتركت أيضًا في تأسيس شركات أخرى مثل بنزايون – عمر أفندي – ريفولي – هانو.

شركات النقل والمواصلات

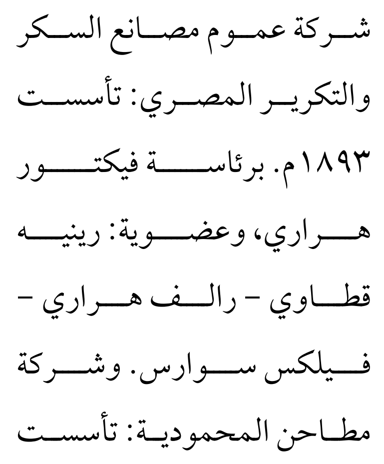


شركة ترام الإسكندرية البلجيكية ـ شركة ترام الرمل الإنجليزية ـ شركة ترام القاهرة البلجيكية ـ شركة سكك حديد الفيوم ـ شركة سكك حديد الدلتا الإنجليزية ـ شركة شركة أمينيبوس القاهرة ـ شركة الإسكندرية للنقل بالأوتوبيس ـ شركة أوتوبيس البحيرة والغربية.

وشركة السيارات المتحدة المساهمة: شارك في تأسيس وإدارة هذه الشركات كل من: موريس نسيم موصيري – هنري موصيري – جويد موصيري – روبير رولو – أسرة سوارس.

شركات المواد الغذائية





شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصري: تأسست ١٨٩٣م. برئاسة فيكتور هراري، وعضوية: رينيه قطاوي - رالف هراري - فيلكس سوارس. وشركة مطاحن المحمودية: تأسست عام ١٩٣٩م، ورأس مجلس إدارتها دافيد ساكس. وشركة صناعة الطحن بالإسكندرية: أسسها الأخوان إدوارد كوهين وجيمس كوهين.

وشركة مضارب الأرز المصرية: أسسها كل من سلفاتور سلامة ورافائيل نحمان. وشركة الملح والصودا المصرية: تأسست بامتياز من الحكومة عام ١٩٠٦م لأسرة قطاوي. وشركة الملح المتحدة المصرية ليمتد: تأسست بامتياز من الحكومة لأصلان قطاوي عام ١٩٠٧م. وشركة توريد الكهرباء والثلج: أسسها جاكو دي كومب، وكان مديرها سمحا إمباخ. وشركة ناسطور جاناكليس للسجاير: ساهم أصلان قطاوي في تأسيسها عام ١٩٣٤م.





SOCIETE EGYPTIENNE POUR LES INDUSTRIES CHIMIQUES (KIMA)

شركات متنوعة

مصنع سيجوارت للمواسير والأعمدة الأسمنتية: رأس مجلس إدارتها موريس نسيم موصيري. وشارك في عضويتها كل من: رالف هراري - فيتا إبراهيم - فيكتور حنان. والشركة العمومية للكهرباء والميكانيكا: أسسها وأدارها كل من: رافائيل نحمان - أندريه شماع - جوزيف كامبوس - بنفتو كامبوس - أفنيعام هوروفيتش.

ومصانع النحاس المصرية: شارك في التأسيس والإدارة: فيلكس نسيم موصيري - هنري فيلكس موصيري - سيجموند هيرش. والشركة المساهمة للمحاريث والهندسة: وتشكل مجلس إدارتها برئاسة أصلان قطاوي، وعضوية: رينيه قطاوي - هنري موصيري - فيلكس موصيري - موريس كورييل. وشركة فنادق مصر الكبرىٰ: شارك في التأسيس والإدارة كل من: موريس نسيم موصيري - جوستاف أجيون. وشركة موبيليات بونتريمولي: أسسها الأخوان هارون كوهين - فيكتور كوهين.

الفصل السابع

الاستيطان

اللاجئون اليهود في مصر

خلال عامي ١٩١٤-١٩١٥م وصل للإسكندرية ١١.٢٢٧ من اليهود الروس، طردتهم السلطات التركية من فلسطين. كما وفد عدد كبير من يهود أوروبا الشرقية من القسطنطينية، وأزمير، وسالونيك، وكوزفو، ورومانيا. كان الحدث مفاجئًا للحكومة المصرية التي وافقت علىٰ إيوائهم بالتعاون مع الجيش البريطاني. وقامت بإنشاء معسكرات لهم في منطقتي القباري والشاطبي أُطلق عليها معسكرات التحرير.

في نفس الوقت كان وصول هذا العدد الكبير دافعًا قويًّا للحركة الصِّهْيَونية. وبمجرَّد وصولهم أنْشأ اليهود المصريون لجنة لمساعدتهم، ونظَّمَت عمليَّة إنزالهم وإمدادهم بالطعام والملابس والأدوية. هذا ويلاحَظ أنَّ تنظيمات الإحسان الأجنبيَّة، قد هرَعت لمساعدتهم، كما قدَّمت لهم الحكومة المصرية مساعدات ماديَّة. ونظَّم يهود الإسكندرية فريقًا من الأطباء والمُدرسين والمُشرفين الاجتماعيين، ورجالًا ونساءً لمساعدة هؤلاء اليهود الروس في حلِّ مشكلات العمل، والهجرة إلىٰ فلسطين. وتأسَّست لهم داخل المعسكرات -نفسها- مدارسُ لتعليم العبرية، بالإضافة إلىٰ الدراسات الفلسطينية. وأنْشَأت اللجنة -مُتقدمة الذِّكر- علىٰ حسابها الخاص مدرسة عبرية، تضمُّ ثلاثمائة وعشرين تلميذًا. أشرَف عليها الدكتور بوجر اتشوف رئيس المدرسة الثانوية العبرية في يافا. وأمر السلطان حسين كامل بأن تصرف لهم إعانة يومية، قدرها ثمانون جنيهًا، زيدت إلىٰ مائة.

وفي مارس ١٩١٥م طلَب القنصل الروسي من السلطات البريطانية أن تُعيد إليها الصالحين من اللاجئين اليهود في مصر للخدمة العسكرية. واعتبَر اليهود المصريون أنَّ هذا الطلب الروسي يعبِّر عن سياسة مُعادية للسامية. ولهذا شكَّل اليهود لجنة من وجهائهم بإشراف إدجار سوارس رئيس يهود الإسكندرية؛ للتوسُّط لدىٰ السلطات البريطانية، لعدم تنفيذ هذا الأمر.

وفي عام ١٩٢٥م تكونت لجنة في الإسكندرية بالتعاون مع جمعية زئير صهيون للتعامل مع تنظيم الهجرة إلىٰ فلسطين. وضمت كل من: زائيف جابوتنسكي – البارون فيلكس منشه – فليكس طوبىٰ – جوزيف بتشوتو – جوزيف رش – دافيد ساخس – جبرائيل شما – جاكوب فيسمان – ليون نكماس. وكانت اللجنة تقوم باستضافة المهاجرين اليهود الأوربيين بالإسكندرية وهم في طريقهم إلىٰ فلسطين. وبلغ عدد اليهود الذين ساعدتهم هذه اللجنة خلال الفترة ٢٨ إبريل ١٩٢٠– ٣٠ نوفمبر ١٩٢٧م نحو ١٢ ألف مُهاجر. وفي عام ١٩٢٠م تم إنشاء مكتب لخدمة اليهود المهاجرين في الإسكندرية، تحول اسمه بعد ذلك إلىٰ «المؤسسة الصهيونية للإسكندرية». وتولىٰ رئاستها البارون جاك ايلي منشه، ثم فيليكس جرين عام ١٩٢٨م، ثم فيلكس حربي عام ١٩٣١م. وكان المجلس يضم كل من: ل. شيلسنجر – ألفريد كوهين – ماركو نادلر – مدام إدجار أجيون – جور شملا – ألبرت سارسلكي – دكتور أفيجيدور.

وفي عام ١٩٢٥م تأسست بالإسكندرية جمعية باسم من أجل فلسطين؛ بهدف التضامن مع يهود فلسطين. وأشرف علىٰ الحمعية كل من: مدام البارون فيلكس دي منش - فيكتور نجار - جوزيف بتشوتو بك. وفي عام ١٩٢٤م تكونت لجنة لرعاية مدارس اليهود المهاجرين بالإسكندرية. وذلك برئاسة إدجار سوارس وبتشوتو بك، وعضوية كل من: دوين جور - دكتور اسماليوم ـ سلفاتور - دافيد ساخس - جاك موصيري - ص. ليندا و- الحاخام ديلا برجولا - ج. دانون. ومن هؤلاء المهاجرين اليهود تم تشكيل الفيلق العسكري الصهيوني.

جابوتنسكي والفيلق الصهيوني



وُلد فلاديمير جابوتنسكي -الشهير باسم زئيف- عام ١٨٨٠م، بمدينة أودسا الروسية لأسرة واسعة الثقافة. تلقىٰ تعليمة الأولي بألمانيا وتعليمه الثانوي بأوديسا، وكان يُجيد لغة الإيديش. وهي لغة نشأت في القرن العاشر الميلادي بين أوساط اليهود الألمان. وهي خليط من العبرية والآرامية والألمانية، وتُكتب بالحروف العبرية. كان اهتمامه كبيرًا بالأدب الروسي، وقام بكتابة قصائد شعرية. سافر عام ١٨٩٨م إلىٰ بيرن بسويسرا لدراسة القانون وفشل فيها. وانتقل

إلىٰ روما ودرس اللغة الإيطالية. وهناك تعرَّف الفكر الاشتراكي، وكتب مقالات عنه في صحيفة أفانتي الاشتراكية. ورغم ذلك كان يُعلن دومًا أن مثله الأعلىٰ غاريبالدي زعيم التعصب القومي الإيطالي. عاد إلىٰ أوديسا عام ١٩٠٣م، حيث وقعت اعتداءات علىٰ اليهود هناك؛ فقام بتشكيل مجموعات الدفاع الذاتي أو الهاجاناه، والتي انتقلت فكرتها بعد ذلك إلىٰ فلسطين. وكان هذا العام بداية التحاق جابوتنسكي بالحركة الصهيونية، وحضر المؤتمر الصهيوني السادس عام ١٩٠٣م. وهو المؤتمر الذي أقر مشروع توطين اليهود بأوغندا، بِناءً علىٰ اقتراح بريطانيا.

وبعد الانقلاب علىٰ السلطان عبد الحميد الثاني -عام ١٩٠٨م- انتعشت فكرة هجرة اليهود إلىٰ فلسطين والتي كان يُعارضها السلطان عبد الحميد. وسافر جابوتنسكي إلىٰ إستانبول بحجة التغطية الصحفية للأحداث، وهناك التقىٰ قادة الحركات السياسية. وتعرَّف الأوضاع في تركيا. وقام بزيارة سريعة إلىٰ فلسطين، وعندما تأكد له إصرار رفض الدولة العثمانية توطين اليهود في فلسطين، عاد عام ١٩١٠م إلىٰ أوديسا.

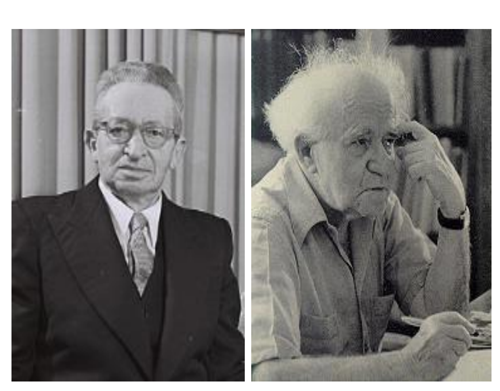
ومع اندلاع الحرب العالمية الأولىٰ عام ١٩١٤م أعلنت المنظمة الصهيونية أنها تقف علىٰ الحياد، بينما أعلن جابوتنسكي تأييده لدول الحلفاء لثقته في تفتت تركيا بعد هذه الحرب، ومن ثم يُصبح حلم الهجرة إلىٰ فلسطين حقيقة. وتوجه في نفس العام إلىٰ دول شمال إفريقيا: المغرب ـ الجزائر ـ تونس – مصر لمتابعة أثر إعلان الحرب في تلك البلدان.



وترافق مع وصول جابوتنسكي إلىٰ مصر طرد اليهود الروس من فلسطين إلىٰ الإسكندرية. وفقام بمصاحبة جوزيف ترومبلدور -الضابط الروسي المُتقاعد- بزيارة لمخيم اليهود في الإسكندرية. وذلك لمقابلة الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية، لطرح فكرة تشكيل فيلق عسكري يهودي يعمل تحت قيادته. غير أن ماكسويل رفض الاقتراح، وقدم بديلًا بإنشاء فيلق من البغالة لنقل المؤن والتجهيزات. غادر جابوتينسكي إلىٰ روما في إبريل ١٩١٤م، ليُناقش الفكرة مع بنحاس روتنبرج. وهو قيادي صهيوني من أوكرانيا، وأحد مؤسسي الهاجاناه في فلسطين. واتفق الاثنان علىٰ أن يقوم جابوتنسكي بالدعوة لإنشاء الفيلق اليهودي في أوروبا. ويقوم روتنبرج بالدعوة لإنشاء الفيلق في الولايات المتحدة.

حقق جابوتنسكي بعض النجاح حيث وافق كل من حاييم وايزمان وإدموند روتشيلد علىٰ الفكرة، مع تأجيل الإعلان عن ذلك. كما اتفق مع الصحفي البريطاني هنري ويكهام ستيد علىٰ كتابة مقالات للدعوة لإنشاء الفيلق في جريدة التايمز اللندنية. ووافق ليوبولد إمري عضو مجلس العموم علىٰ القيام بمهمة إقناع وزير الحربية البريطاني. وفي صيف ١٩١٥م وصل جابوتنسكي إلىٰ موسكو ونجح في الحصول علىٰ خطاب موجه من الخارجية الروسية إلىٰ سفاراتها في الخارج، وذلك بالتعاون مع جابوتنسكي

في جهوده من أجل تكوين الفيلق اليهودي. وأخيرًا نجح جابوتنسكي في مسعاه حيث تلقىٰ في ٢٧ يوليو ١٩١٧م دعوة من الكولونيل جون هنري باترسون للحضور إلىٰ لندن لمناقشة الأمر. وتم الاتفاق علىٰ إنشاء الفيلق تحت اسم الكتيبة ٣٨ رماة الملك. كان جابوتنسكي قد حصل علىٰ الجنسية البريطانية عام ١٩١٦م؛ مما ساعده علىٰ الحركة في بريطانيا. غير أنه فشل في إقناع شباب اليهود من الإنجليز للانضمام للفيلق. ومع ذلك تمكن من الحصول علىٰ موافقة حكومة قيصر روسيا علىٰ فرض التجنيد الإجباري علىٰ اليهود الروس للانضمام لتشكيلات هذا الفيلق. ووصلت طلائع الفيلق إلىٰ القاهرة وأقامت في أحد معسكرات الجيش البريطاني في الحلمية. انضم للكتيبة أعضاء من اليهود المصريين. ووصلت الكتيبة ٣٨ إلىٰ فلسطين في ٩ يونيو ١٩١٨م وهي تضم ٨٠٠ جندي، ووصلت إلىٰ وادي الأردن في أغسطس ١٩١٨م. وتمكنت من طرد العثمانيين منها، وقتل من أفراد هذه الكتيبة ٢٥٠ جنديًا.



وفي الولايات المتحدة نجح جوزيف ترومبلدور في تشكيل كتيبة أخرىٰ. أُطلق عليها اسم الكتيبة ٣٩ رماة الملك، بقيادة إليعازر مرجولين. واشترك في هذه الكتيبة دافيد بن جوريون – أول رئيس وزراء

لإسرائيل، وإسحق بن تسفي - المؤرخ الصهيوني وثاني رئيس لدولة إسرائيل. انضمت هذه الكتيبة إلىٰ الكتيبة ٣٨ وتمكنتا معًا من احتلال مدينة السلط. في نفس الوقت قام يهود فلسطين بتكوين كتيبة ثالثة تحت اسم الكتيبة ٤٠ رماة الملك. وبعد انتهاء الحرب -في أواخر عام ١٩١٨م- رفض الجنرال اللنبي استمرار الكتائب الثلاث. وتم حلها فعليًّا في مايو ١٩٢١م، بعد أن تحولوا من محاربة القوات العثمانية إلىٰ محاربة الفلسطينيين، فخشي الإنجليز من توتر الأوضاع.

وقام جابوتنسكي بتشكيل فرق الدفاع الذاتي الهجاناه، التي أقامت معسكرات للتدريب تحت أنظار الإدارة البريطانية. في عام ١٩٢٣م استقال جابوتنسكي من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، احتجاجًا علىٰ الموقف الضعيف الذي اتخذته تجاه حل كتائب الفيلق اليهودي. وسعىٰ لتكوين تيار جديد بعد اتحاد أربع مجموعات صهيونية، وأطلق علىٰ التيار الجديد اسم «بيتار». وتم وضع برنامج صهيوني غاية في التشدد، وأطلق عليه برنامج الصهيونية التصحيحية.

الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الأولى

إثر اندلاع الحرب العالمية الأولىٰ اتصل جابوتنسكي بترومبلدور. وذلك للقيام بتجنيد متطوعين من المستوطنين اليهود، الذين أبعدتهم السلطات

العثمانية عن فلسطين إلىٰ مصر. وكان الهدف من ذلك وضعهم تحت تصرف القوات البريطانية، أثناء غزوها فلسطين. ولكن الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر آنذاك، رفض الفكرة لأنه كان ضد تجنيد الأجانب. واقترح أن يقتصر دور المتطوعين علىٰ مساعدة الجيش في حمل المؤن والذخائر للقوات المحاربة في أي مكان غير فلسطين. ورغم اعتراض جابوتنسكي، وافق ترومبلدور، وشُكِّلت الفرقة من بعض اليهود المصريين وبعض اليهود الذين رُحِّلوا إلىٰ الإسكندرية. وقد ضمت الفرقة ٦٥٠ ضابطًا وجنديًّا، و٢٠ حصانًا للضباط والمساعدين و٧٥٠ بغلًا. أطلق علىٰ الفرقة اسم فرقة النقل البغالي الصهيونية، وسماها آخرون كتائب أبناء صهيون.

وفي أبريل ١٩١٥م أبحرت الفرقة إلىٰ جاليبولي بقيادة الضابط البريطاني جون باترسون. وقامت بخِدْمات حيوية في مجال نقل المؤن، وكانت تشارك في القتال أحيانًا. وفي نوفمبر ١٩١٥م تخلَّىٰ باترسون عن قيادة الفرقة لمرضه. وخلفه ترومبلدور الذي اصطدم بمشكلات تنظيمية عديدة لعدم انضباط أفرادها ولوجود صراعات عرْقية بينه -وهو إشكينازي- وبين بعض الأفراد من السفارديم.

وبعد انسحاب قوات الحلفاء من جاليبولي -في نهاية العام- سُرحت الفرقة وأُعيدت إلىٰ مصر. بعد أن قُتل ٨ من أفرادها وجُرح ٥٥. وحُلَّت الفرقة رسميًّا عام ١٩١٦. وفيما بعد، تم قُبول ١٥٠ متطوعًا من أفرادها في الجيش

البريطاني، وكوَّنوا نواة الفيلق اليهودي. وكانت جميع أعلام هذا الفيلق وخوذات جنوده وفصائله الطبيَّة، تحمل شعار نجمة داود السُّداسية. وقد ألْقىٰ الكولونيل باترسون خطابًا طويلًا في هذه المناسبة، ذكَر فيه: «إنها أوَّل مرة منذ ألْفَي عام، يُعترَف فيها باليهودي كجندي نظامي؛ ولهذا فإن أنظار العالم اليومي تتَّجه إلىٰ هذه الفصائل اليهودية، ولا يكفي الجندي اليهودي أن يؤدي عمله كالجندي البريطاني، بل عليه أن يبذُلَ كلَّ جُهده؛ ليُثبت أن اليهودي جندي، ورجل قادرٌ علىٰ الحرب وعلىٰ استعادة أرض الميعاد».

شكَّل اليهود الإنجليز في لندن فرقة عسكرية يهودية مُكملة للفيلق المصري. وتوقفت الفرقة بالإسكندرية أثناء تحرُّكها، حيث لاقَت ترحيبًا حارًّا. وسار أولاد وبنات الكشَّافة إلىٰ جانب الجنود بأبواق مُزخرفة، يرتِّلون الأناشيد العبريَّة. خلال تلك الفترة، سمحت الأميرة المصرية نازلي حليم للحركة الصهيونية باستغلال مزرعتها، التي تقع علىٰ طريق المنصورية، لتكون معسكرًا لتدريب شباب هاتشومير هاتزائير. وهي حركة حراس المستعمرات الاستيطانية في فلسطين.

الفيلق اليهودي في الحرب الثانية

وهكذا فشلت الجهود السياسية التي بذلتها الوكالة اليهودية، في إنشاء جيش يهودي. وذلك بسبب معارضة الحكومة البريطانية وعدد من القادة العسكريين في لندن. وبرزت مستجدات علىٰ مسار الحرب العالمية الثانية،

ساهمت في تحقيق المطلب الصهيوني. وتكون اللواء اليهودي من ٥٣٥٨ جنديًا من الوحدات الصهيونية المتطوعة للعمل لخدمة أسلحة الجيش البريطاني، تحت قيادة البريغادير أرنست فرانك بنيامين. وتألف اللواء من ثلاث كتائب مشاة، ووحدة قيادة، ووحدة مدفعية برية، ووحدة هندسية قتالية، ووحدة طبية، ووحدة عتاد وذخيرة، وهندسة كهرباء وميكانيكا، ووحدة شرطة عسكرية، ووحدة متحركة لتصليح الآليات.

وفي أكتوبر عام ١٩٤٤م تم تجميع عناصر اللواء وألحقت بالجيش الثامن البريطاني في منطقة برج العرب القريبة من الإسكندرية. وبعد عدة أسابيع من التدريب والتنظيم غادرت تلك الفرقة الإسكندرية بحرًا إلىٰ إيطاليا. وهناك تلقت تدريبات مكثفة استمرت ثلاثة أشهر، انتهت في ٢٦ فبراير عام ١٩٤٥م. وتوجهت الكتيبة إلىٰ أرض المعركة، إلا أنه لم يُسمح لعناصر تلك الكتيبة وضع العلم الصهيوني لها، بل بوضع شارة الفرقة الفلسطينية، وشارة نجمة داود صفراء علىٰ أذرعهم. وقد أثارت مشكلة العلم الصهيوني نقاشًا طويلًا إلىٰ أن وافق ونستون تشرشل علىٰ جعل العلم الصهيوني علمًا لها. شريطة ألَّا يرفع العلم إلا بعد وصول الفرقة إلىٰ إيطاليا. وقد زار موشيه شاريت اللواء بعد شهر من وصوله لإيطاليا.

ومع توقف الحرب العالمية في مايو عام ١٩٤٥م، نقلوا إلىٰ شمالي إيطاليا. حيث عملوا علىٰ حراسة الأسرىٰ الألمان. وفي ٢٧ يوليو من نفس العام تم نقلهم إلىٰ هولندا وبلجيكا، حيث عملوا علىٰ حراسة الأسرىٰ وإزالة

الألغام. وفي الثامن من يوليو عام ١٩٤٦م، أصدرت وزارة الدفاع البريطانية أمرًا يقضي بحل اللواء، ثم تسريح جميع جنوده وعادوا إلىٰ فلسطين.

الاستيطان واعلانات بيع الأراضي

في عام ١٩٢٢م أسست اللجنة المركزية الصهيونية لفلسطين فرعًا لها في القاهرة. وذلك بغرض تشجيع الاستثمار الزراعي في فلسطين، باسم كيريات جوزيف. وتم تسجيل الفرع في المحكمة المختلطة، وافتتحت حسابًا لها في البنك الأهلي المصري. وكانت أول قطعة أرض تقوم بشرائها بالقرب من تل أبيب تبلغ مساحتها ٨٠ دونم وثمنها ٢٠٠٠ جنيهًا. في نفس العام تم تأسيس شركة مساهمة باسم شركة تنمية أراضي فلسطين. وتم تعيين الدكتور جيتلمان رئيسًا بفرعها بالقاهرة؛ بغرض مساعدة اليهود في شراء الأراضي بفلسطين. تخصصت صحيفة الشمس في نشر إعلانات بيع الأراضي في فلسطين فنجد علىٰ سبيل المثال:

- شركة موليديت تعلن بيع قطع أراضي جميلة في تل أبيب ـ القدس ـ حيفا – جبل الكرمل – تل نوف بالقرب من رحبوت بشروط سهلة وعلىٰ أقساط بعيدة المدىٰ، فلا تهملوا هذه الفرصة وخاطبوا حالًا حضرات كاتس وشولمان في القاهرة بشارع سليمان باشا بالعمارة ملك دوس باشا.
- وكالة جاد بنياميني تعلن بيع قطعة أرض في رعنانا علىٰ بعد ١٦ دقيقة من تل أبيب وعلىٰ الطريق العام عرض ٢٠ مترًا مغروسًا

بالأشجار، وفي رعنانا كثير من الصيدليات والبنوك ومكتب للبريد وسينما وكثير من البقالين والمياه الجارية والكهرباء في كل مكان. اتصلوا بوكالة المسيو جاد بنياميني ووكالة بيع الأراضي فرانك وموزيسكو بالقاهرة ١٢٦ شارع عماد الدين.

❖ شركة أراضي صهيون تُعلن عودة الخواجه ألبرت أكاسو مدير الشركة من فلسطين، وهو يُقابل زبائنه كل يوم من الساعة ٨-١٢ صباحًا ومن الساعة ٣-٨ مساءً في كل ما يتعلق ببيع الأراضي والأملاك والتسليف التجاري بمكتبه بشارع المدابغ رقم ١٩.

❖ إعلان بيع أراضٍ في أحوزات يعقوب بالقرب من القدس، تبلغ مساحتها خمسة آلاف دونم، وقطعة في عير يعقوب تبلغ مساحتها ألف ذراع وثمن القطعة ١٥ جنيهًا فلسطينيًّا. في كفار يعقوب قطع أراض تبلغ مساحتها خمسة دونم تصلح للسكن والزراعة بسعر ٧٥ جنيهًا فلسطينيًّا للقطعة وتباع بتسهيلات في الدفع، ووكيل الشركة في القاهرة الخواجة ألبرت أكاسو بشارع المدابغ وفي الإسكندرية ميدان محمد علي وفي القدس مركز مسحار وعمارو طوسون.

❖ وفي إعلان لبيع أراضٍ بالقرب من حيفا ووادي الكسور تم نشره في ٢٩ مارس ١٩٣٥م. وأن وكيل شركة الأراضي والأملاك

الفلسطينية هو حاييم زاديكون، والمقر في عمارة أفرينو بشارع فؤاد رقم ٢٨ بالقاهرة.

- وإعلان آخر نشر في ١٥ إبريل ١٩٣٥م لبيع أراض ومحلات في فلسطين ووكيل الشركة هو ألبرت كياسو.

سيناء الهدف الاستيطاني الأول

في عام ١٩٢٢م أرسل قائد العمليات الإنجليزي في الشرق الأوسط «ريتشاردماينر تزهاجن» خطابًا إلىٰ قيادته، يقترح فيه منح سيناء لليهود؛ لأن علىٰ إنجلترا أن تختار بين صداقتها للعرب أو صداقتها لليهود. حيث لا يمكن الجمع بين صداقتهما معًا، وأن القومية اليهودية هي الأقرب لمصالح بريطانيا من القومية العربية.

وكان اللورد اللنبي المعتمد البريطاني قد أرسل مذكرة إلىٰ لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني. وذلك بِناءً علىٰ مذكرة -من نفس القائد ريتشارد ماينر تزهاجن- يطلب فيها تعديل الحدود السياسية، وضم سيناء إلىٰ فلسطين. غير أن رئيس الوزراء البريطاني أمر بحفظ المذكرة.

وبعد فشل مشروع العريش تم طرح مشروع كوم أمبو في صعيد مصر بديلًا منه، لكن فشل هذا المشروع أيضًا. وأَسَّس فيكتور بيلسوف مزرعة يهودية بالقرب من القاهرة، أدْخَل فيها نمطَ حياة الكيبوتز. كما تأَسَّست أيضًا

مزارع يهودية أخرىٰ بالقرب من الإسكندرية. كانت أوَّل الكيبوتزات التي أسَّسوها هي: برورها جيل، ناخشونيم، يوجيف. ويَفخر اليهود -حتىٰ الآن- بهذا التاريخ الحافل

من أنشطتهم السريَّة والعَلَنية في بلاد العالم الإسلامي، لدرجة أنهم جعَلوا عنوان هذه الوقائع: «الصهيونية في أراضي الإسلام».

محاولات الاستيطان في سيناء

ظلت سيناء أملًا يداعب الصهاينة، وكان الرفض الدائم لمصر يُشكل العقبة الرئيسية. لذلك كان لا بد من استخدام الحيلة لتحقيق ذلك الأمل، وأمكن رصد ثلاث محاولات علىٰ النحو التالي:

١ـ محاولة بول فريدمان

جاءت أولىٰ محاولات استيطان اليهود من قبل ثري ألماني يُدعىٰ بول فريدمان. عندما تقدم بطلب لشراء قطعة أرض علىٰ الشاطئ الشرقي لخليج العقبة بغرض إقامة مستوطنة لليهود المهاجرين الروس. وكان ذلك في عهد نظارة مصطفىٰ رياض باشا الذي وافق علىٰ الطلب، وتجددت الموافقة في عهد خلفه مصطفىٰ فهمي باشا. وجاءت الموافقة بِناءً علىٰ موافقة الحكومة البريطانية علىٰ طلب ناظر الخارجية المصري تيجران باشا. واستنادًا إلىٰ القانون الذي يُبيح للأجانب تملك الأراضي في جميع أنحاء الدولة العثمانية. غير أن الصفقة فشلت كما جاء في صحيفة المؤيد بتاريخ ٣ فبراير

١.٨٩٢م حيث تنازلت مصر عن ملكية قطعة الأرض المطلوبة لتركيا لمنع عملية البيع.

٢ـ مشروع العريش

في عام ١٩٠٢م التقىٰ تيودور هرتزل وجوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني. وقدم له طلبًا لإقامة مشروع صهيوني عُرِف باسم «مشروع العريش». وشارك في الاجتماع ليوبولد جرينبيرج عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية. والمشروع يمنح اليهود حصريًّا امتيازًا للإدارة الذاتية لمدة ٩٩ عامًا تحت السيادة البريطانية. وذلك علىٰ مساحة ٦٣٠ ميلًا مُربعًا بمنطقة العريش. ويُصرح للمشروع بتأسيس شركة تقوم بإنشاء المساكن والمرافق اللازمة والطرق والموانى، ولها حق تحصيل الرسوم فيما عدا سفن الحكومة المصرية. ويجوز للشركة طلب مد الامتياز علىٰ مناطق أخرىٰ، مع الحق في توصيل مياه النيل للمشروع.

وعند عرض المشروع علىٰ الخديوي عباس الثاني أعرب عن موافقته المبدئية علىٰ المشروع، بعد تحويل طلب ملكية الأراضي إلىٰ طلب بامتياز حق الانتفاع. وعلىٰ الفور تم تشكيل لجنة لوضع تفاصيل المشروع، شارك فيها الخبير الجيولوجي الألماني بالانكسيتهورن. والذي استعان بمكتب الخبرة البريطاني براملي، لوضع الخرائط اللازمة للمشروع. وضمت اللجنة كل من: ليوبولد كسلر - ألبرت جولد سميث - جورج ستيفنسن - د. سويسكي - أوسكار مرسوك. وبخصوص طلب توفير مياه النيل قام

المعتمد البريطاني اللورد كرومر بتحويل الطلب إلىٰ السير وليم جارستيني -من خبراء وزارىٰ الأشغال العمومية- لدراسة الموضوع. وجاء التقرير ليُفيد بإمكانية توفير المياه المطلوبة خلال فصل الشتاء فقط، بدلًا من أن تذهب المياه للبحر. لكن كمية المياه المطلوبة كانت ٦٠ ألف متر مكعب في اليوم الواحد. وهي كميات لا تستطيع ترعة الإسماعيلية نقلها. وفي حالة إقامة خزانات لهذه المياه: فإن هناك خطورة تؤثر علىٰ ملوحة التربة. وعلىٰ ذلك رفض التقرير مد المياه. وفي عام ١٩٠٤م تم رفض المشروع رغم موافقة بطرس غالي باشا رئيس الحكومة.

٣ـ محاولة بنك ليومي

وافق مجلس النواب في جلسة ١٢ فبراير ١٩٥١م، علىٰ القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٥١م. الذي جاء في مادته الأولىٰ: يحظر علىٰ غير المصريين سواءً كانوا أشخاصًا طبيعيين أم اعتباريين اكتساب ملكية الأراضي الزراعية والأراضي القابلة للزراعة والأراضي الصحراوية بالمملكة المصرية. ويشمل هذا الحظر الملكية التامة كما يشمل ملكية الرقبة أو حق الانتفاع.

كان السبب الرئيسي لهذا الاتجاه المُعارِض لملكية الأجانب، قيام بعض الأجانب من اليهود تملك مساحات كبيرة من أراضي سيناء في مناطق الحدود بين مصر وفلسطين. وذلك ضمن مخطط يستهدف سيطرة اليهود علىٰ هذه المناطق الهامة والاستراتيجية. وتأسس مصرف بالقدس لتمويل

هذه العمليات عُرف باسم مصرف الأنجلو فلسطين، وهو بنك ليومي حاليًا. وعندما فشل اليهود في تحقيق ذلك استعانوا بالسير بتروفيتش -أحد رجال السلك السياسي الأجنبي- الذي قام بالفعل بشراء مساحات كبيرة من الأراضي من أعراب المنطقة بأسعار مغرية. وقد بلغت مساحة تلك الأراضي عشرة آلاف دونم تعادل نحو ٢٣٨٠ فدانًا. وقد قام بالتنازل عن تلك العقود لبنك الأنجلو فلسطين المشار إليه. وذلك بموجب عقود تم تسجيلها في محكمة المنصورة المختلطة. وصُدق علىٰ العقد توقيعًا وتاريخًا أمام محكمة العريش الشرعية. ومن ثم تقدم وكيل البنك مطالبًا بتمكين البنك من وضع اليد علىٰ الأرض المشتراة. ولكن الحكومة وقفت في سبيل اكتسابهم صفة الملكية بوضع اليد أو سواه.

وقد دفع هذا الحادث الحكومة إلىٰ إصدار الأمر العسكري رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٥م الذي جاء فيه: يُحظَر علىٰ كل شخص طبيعي أو معنوي أجنبي الجنسية أن يمتلك بأي طريق كان غير الإرث عَقَارًا كائنًا بأحد المناطق التي تقوم علىٰ إدارتها مصلحة الحدود ويسري هذا الحظر علىٰ كل وقف أجنبي وتقرير حقوق عينية له. ورغم صدور هذا الأمر العسكري استمر نظر هذه القضية حتىٰ عام ١٩٤٧م، حيث دخلت مصلحة الحدود خَصمًا جديدًا. أي أن حق الأجانب في تملك العَقَارات ظل قائمًا طوال قرابة مائة عام حتىٰ صدر الأمر العسكري رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٥م. والخاص بحظر تملك الأجانب للأراضي الصحراوية وخاصة الحدودية. وصدور القانون رقم

٣٧ لسنة ١٩٥١م، الخاص بحظر تملك الأجانب الأراضي الزراعية وما في حكمها من الأراضي القابلة للزراعة والأراضي الصحراوية.

اليهود المصريون والاستيطان

جمع اليهود المصريون -في العام ١٩١٣م- مبلغ ٣٠ ألف جنيه. مساهمةً منهم في إنشاء مستعمرة كفارجوديا في فلسطين. وفي عام ١٩٢٢م أنشأت اللجنة المركزية الصهيونية لإسرائيل جمعية باسم كيريات جوزيف، بهدف إعادة إعمار فلسطين، وتم تسجيلها رسميًّا في المحاكم المختلطة، وفتحت حساب لها في البنك الأهلي. واشترت في نفس عام التأسيس قطعة أرض قرب تل أبيب مساحتها ٨٠ دونما بمبلغ ألفي جنيه.

وعلىٰ نفس النمط تم تأسيس جمعيتين لشراء الأراضي في فلسطين. الأولىٰ: في القاهرة باسم مينوميه. والثانية: في الإسكندرية باسم يوزيه ميزرايم. كما تم إنشاء فرع لشركة تنمية أراضي فلسطين في القاهرة. وتم اختيار الدكتور جيتلمان ممثلًا لها في مصر. واكتتَب يهود الإسكندرية في ١٩٣٣م لجَمْع مبلغ خمسة عشر ألفًا من الجنيهات المصرية؛ لشراء أراضي منطقة كفر باديريا في فلسطين. وفي ١٩٣٥م جمع يهود الإسكندرية ثلاثة آلاف جنيه لإنشاء مستعمرة في وادي الحوارات باسم مستعمرة فيلون.

الفصل الثامن

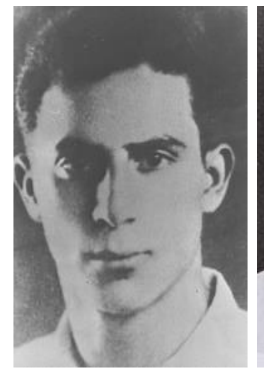
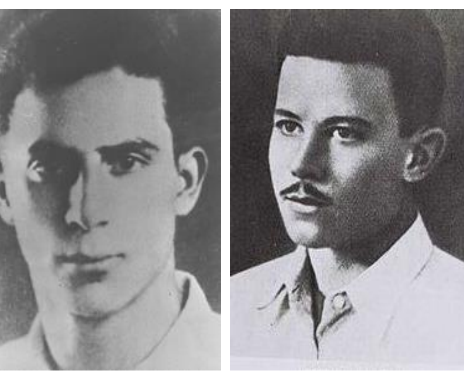
العمليات الإرهابية

اغتيال اللورد موين ١٩٤٤م



من أخطر العمليات التي نفذتها العصابات الصهيونية -من خلال تغلغلها في أحشاء المجتمع المصري- كانت عملية اغتيال والتر إدوارد جينس بارون أول موين (مارس ١٨٨٠ ـ ٦ نوفمبر ١٩٤٤). وهو سياسي ورجل أعمال إنجليزي-أيرلندي. كان وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط، عندما اغتالته جماعة شتيرن الإرهابية. وذلك بعد أن أيقنت المنظمات الصهيونية أن اللورد موين لا تستطيع أن تتخذه مطية لأهوائها، فيما يتعلق بموضوع فلسطين.

وقد قرروا إعدامه واستغلال هذه الجريمة لإثارة بريطانيا والرأي العام العالمي ضد مصر من جهة. خاصةً وأن مصطفىٰ النحاس -رئيس وزراء مصر وزعيم حزب الوفد في ذلك الوقت- كان قد رفض الاعتراف باتحاد المنظمات الصهيونية كممثل للشعب اليهودي في مصر، وقرر وقف نشاط هذا الاتحاد. وكذلك بهدف الانتقام من بريطانيا التي قتلت الإرهابي أبراهام شتيرن في فبراير ١٩٤٢م.

كلفت المنظمة المستشرق التشيكي كراوس -أستاذ اللغات السامية في جامعة القاهرة- بتنفيذ هذه المهمة. وكان عضوًا في منظمة شتيرن الإرهابية، ولكنه انتحر في شقته بالزمالك في القاهرة، بعد تكليفه بتنفيذ مهمة قتل اللورد موين. كما كلفت المنظمة لتنفيذ هذه المهمة الإرهابيين إلياهو حكيم وإلياهو بيت تسوري، اللذين كانا يعملان في الجيش البريطاني، وفتاة كانت تعمل سكرتيرة في أحد المكاتب البريطانية.

وتفيد برقية السفارة البريطانية إلىٰ وزارة خارجيتها بأن التنفيذ تم علىٰ النحو التالي: كان اللورد موين عائدًا إلىٰ داره بالسيارة لتناول الغداء في قرابة الساعة الواحدة والربع. وكانت في السيارة إلىٰ جانبه سكرتيرته، وإلىٰ الأمام جلس مرافقه بجوار السائق آرثر فولر. ولما دخلت السيارة المدخل الصغير المؤدي إلىٰ الباب الأمامي للدار خرج السائق من السيارة ليفتح بابها للورد موين. فظهر رجلان كانا يلاحقان السيارة، وأطلقا النار علىٰ السائق وقتلاه حينما مرَّ من وراء السيارة للوصول إلىٰ الباب الأيمن. وفتحا باب السيارة وأطلقا علىٰ اللورد موين ثلاث طلقات أصابته، ثم لاذا بالفرار راكبين دراجة هوائية.

ولم يصب المرافق ولا السكرتيرة بأذىٰ. قام الأول -أي المرافق- بملاحقة القتلة، بينما طلبت الأخيرة السكرتيرة النجدة التي وصلت خلال عشر دقائق. أما الإسعاف الطبي فقد كان في المنطقة خلال ربع ساعة. المرافق أخبر مركز الشرطة القريب؛ فقامت الشرطة بملاحقة المجرمين، وأوقفت سيارة مارة واستعانت بها للحاق بهما. كما أن دراجة بخارية كانت مارة أيضًا أُخبرت بما حصل، فلاحق صاحبها المجرمين وسبقهما علىٰ مدخل جسر بولاق، حيث أطلقت الشرطة عليهما ١٥ طلقة. وقد حاول أحدهما أن يقاوم باطلاق الرصاص، وجرح أحد الشخصين، وحوصر الثاني بمساعدة شرطي آخر. وأمكن إلقاء القبض علىٰ المجرمين.

وكان اللورد قد طلب قبل بضعة أشهر الاستغناء عن سيارة الشرطة المخصصة لحراسته، وكذلك الحراسة النهارية لمنزله. بعد تنفيذ الجريمة بقتل اللورد -وسائقه البريطاني آرثر فولر- ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض علىٰ الإرهابيَّيْن، اللذين اعترفا بقيادة رفائيل سادوفسكي للعملية. كما اعترفا علىٰ باقي أعضاء منظمة شتيرن في مصر. وهم: جوزيف سينتر - هنري ستروسمان - روبين فرانكو - جيرشون هوروفيتش - زئيف بن إسرائيل - يافا جرنبيرج - بنيامين جبنر - زفي فاينبرج - هاسيا لوري - روث جروسبارد - آرييه كورتيسكي - آدا ليبوفيتش.

وبعد التحقيقات تم تقديمهم إلىٰ المحاكمة بدار القضاء العالي. وتم تشكيل المحكمة برئاسة محمود منصور بك. وانتدبت

المحكمـة محـامين للمتهمـين، فرشـح لهـذه المهمـة توفيـق دوس باشـا وعبـد الفتـاح السـيد بـك للـدفاع عـن إليـاهو حكـيم. والمحاميـان حسـن حسـني وحسـن الجـداوي للـدفاع عـن إليـاهو بتسـوري. ومثـل النيابـة النائـب العـام عبـد الـرحمن الطويـل باشـا بشخصـه. كمـا انتـدبت المحكمـة للمتهمـين مترجمًـا لأن أحـدهما أصـر علـىٰ الإدلاء بأقوالـه باللغة العبرية، في حين أن الآخر تكلم بالانكليزية.

وبـدأت المحاكمـة جلسـاتها يـوم ١٠ ينـاير ١٩٤٥م، وقـال توفيـق دوس باشـا في دفاعـه: إن الجريمـة سياسـية، وأكـد أن المتهمـين يقـولان الحـق، وأنهمـا لـم ينويـا قتـل السـائق. وأن التفرقـة بـين الجريمـة السياسـية وغيرهـا معمـول بهـا في جميـع الـبلاد. وأن قواعـد تسـليم المجـرمين لا تنطبـق عليهمـا. بينمـا وجـدت المحكمـة أن الجريمـة هـي جريمـة قتـل عمـد مـع سـبق الاصـرار. وأصـدرت حكمهـا بإعـدام المتهمـين. علـىٰ الـرغم مـن بعـض الوسـاطات -ومحـاولات التـدخل- تـم تنفيـذ الإعدام بحقهما شنقا في ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥.

وكـان الإرهابيـان قـد اعترفـا بـأن أوامـر تنفيـذ العمليـة جـاءت مـن منـاحيم بـيجن شخصـيًا. وكـان هـو رئـيس منظمـة شـتيرن اليهوديـة في فلسـطين في ذلـك الوقـت. والغريـب أنـه أرسـل إلـىٰ رئـيس الـوزراء المصـري - محمـود فهمـي النقراشـي- برقيـة يسـتنكر فيهـا عمليـة الاغتيـال ويعتـبر القـاتلين خـائنين لقضـية شـعبهما. وطلـب نشـر البرقيـة في الصـحف

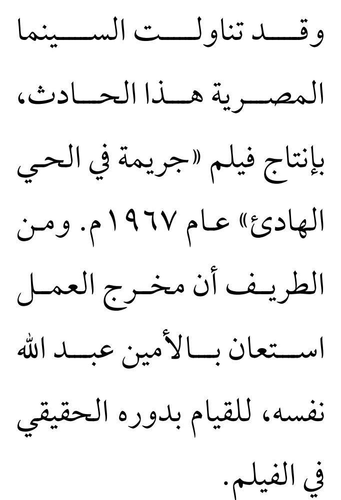
المصرية، وللأسف نُشرت فعلًا في ١٣ نوفمبر ١٩٤٤م. وهنا لا بد من التساؤل، هل كان النقراشي باشا يدرك الهدف أم لا يدرك. وذلك لأن مجرد إرسال رسالة من رئيس ما يسمىٰ الوكالة اليهودية في فلسطين. واستقبال هذه الرسالة من رئيس وزراء أكبر دولة عربية يُعتبر جريمة لا تغتفر. وذلك لأنها كانت تعطي مشروعية عربية رسمية لوكالة غير شرعية.





وقد ظهر اسم الكونستابل الأمين عبد الله أفندي – المُنتدب في منطقة الزمالك– والذي ألقىٰ القبض علىٰ القاتلين أحياء بعد مطاردتهما بشجاعة. وكانت شجاعة الأمين هي التي أنقذت سمعة مصر، حيث كانت المنظمة الإرهابية تسعىٰ لخلق حالة من الفوضىٰ والفلتان الأمني بمصر. وقد نال هذا الكونستابل – بسبب شجاعته– نوط الجدارة الفضي من الملك فاروق. ورُقِّي من رتبة كونستابل شاويش إلىٰ رتبة ملازم. وطلبت الملكة اليزابيث –شخصيًّا– حضوره إلىٰ إنجلترا؛ لتكريمه في مجلس العموم البريطاني. ولكن الملك فاروق رفض الطلب، خوفًا من أن يتم اغتياله. وقال وقتها إنه سيكون صيدًا سهلًا للجماعات البريطانية اليهوديه للانتقام منه.





وقد تناولت السينما المصرية هذا الحادث، بإنتاج فيلم «جريمة في الحي الهادئ» عام ١٩٦٧م. ومن الطريف أن مخرج العمل استعان بالأمين عبد الله نفسه، للقيام بدوره الحقيقي في الفيلم.

أما عن حياته الخاصة فقد تزوج بنت الأمير الاىٰ محمود بك كامل رئيس سلاح التجنيد في الجيش المصري. واستمر الزواج ٤٥ عامًا، ولم ينجبا حتىٰ توفيت وتركته وحيدًا، وتقدم في السن؛ لذا قررت الأسرة أن تزوجه بأخرىٰ، تسهر علىٰ رعايته وتساعده علىٰ الحياة. وبالفعل تزوج وأنجب بنتين هما: منيرة وريم. وتوفي في ١١ مارس عام ٢٠٠٢م، عن عمر يناهز التسعين عامًا.

وبعد ٢٧ عامًا من إعدام بيت زوري وحكيم، ضغط إسحاق شامير علىٰ حكومة حزب العمل -بزعامة إسحق رابين- لاستعادة رفاتهما. كان شامير هو الذي أرسلهما لتنفيذ مهمة الاغتيال، بصفته قائدهما في عصابة شتيرن. وتم الاتفاق علىٰ استعادة رفاتهما، كجزء من صفقة تبادل أسرىٰ بين مصر وإسرائيل بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م. وسلمت مصر في ٢٥ يونيو ١٩٧٥

رفات الإرهابيين إلىٰ إسرائيل. في مقابل نحو ٢٥ أسيرًا عربيًّا كانوا في سجون إسرائيل. وقد دُفنا في جبل هرتسل في جنازة عسكرية.

عملية سوزانا /١٩٥٤م

عمدت الاستخبارات الإسرائيلية إلىٰ القيام بعمليات تستهدف المصالح والرعايا البريطانيين والأمريكيين في مصر، لإفساد مفاوضات الجلاء. وذلك لأن إسرائيل كانت ترىٰ أن خروج ٨٠ ألف جندي إنجليزي -عن منطقة القناة- سيجعل مصر في مواجهة إسرائيل بدون الحماية الإنجليزية مثلما حدث في حرب ١٩٤٨م. ومن هنا جاءت عملية سوزانا.

كانت أهداف العملية ضرب مصالح ورعايا بريطانيين وأمريكيين في مصر. مُتمثلةً في مكاتب الاستعلامات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية ودور السينما التابعة لشركات بريطانية وأمريكية، وهي سينما ريفولي وريو وأمير. وكذلك القيام بحرائق في منشآت عامة؛ لتصوير الوضع في مصر علىٰ أنه غير مستقر وينذر بانقلابات جديدة. الأمر الذي قد يعطل خطط جلاء الإنجليز عن مصر. مع محاولة إلصاق التهمة بالإخوان المسلمين أو الشيوعيين المناوئين لحكم جمال عبد الناصر.





اختارت إسرائيل أفضل ثلاثة من رجال المخابرات لديها لتنفيذ العملية. وهم: إبراهام فيليب دار المعروف باسم جون دارلنج - بول فرانك - ماكس بينيت. تمكن الأولان من الفرار من مصر قبل القبض عليهما. أما الثالث فكان مصريًّا يعمل في شركة الأنجلو إيجيبشيان، وانتحر بالسجن يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٥٤م، قبل صدور الحكم عليه.

أما الباقون فكانوا أعضاء فيما يُعرف بالوحدة ١٣١ وكلهم من اليهود لمصريين، وهم: موسىٰ ليتو مرزوق طبيب بالمستشفىٰ الإسرائيلي بالقاهرة - صمويل باخور عازر مدرس بهندسة الأسكندرية - فيكتور موين ليفي مهندس زراعي - فيكتورين نينيو الشهيرة بمارسيل موظفة بشركة فبريقات الإنجليزية - فيليب هرمان ناتاسون مساعد سمسار بمكتب إيلي شوارتس - روبيرنسيم داسا تاجر - يوسف زعفران مهندس معماري - مائير صمويل ميوحاس قومسيونجي - سيزار يوسف كوهين موظف ببنك زلخا.



أطلق على العملية اسم سوزانا. وكانت الضربة الأولى في يوم ٢ يوليو ١٩٥٤م، في مبنى البريد الرئيسي بالإسكندرية. والضربة الثانية يوم ١٤ يوليو لمكاتب الاستعلامات الأمريكية في القاهرة والاسكندرية. وكانت الضربة الثالثة السبب في كشف الخلية. حيث كُلف فيليب ناتاسون بوضع قنبلة حارقة في سينما ريو بالإسكندرية، يوم الاحتفال الثاني بعيد ثورة ٢٣ يوليو، لكن القنبلة اشتعلت في ملابسه أمام السينما وتم القبض عليه. وكشفت التحقيقات عن باقي أفراد الخلية وأدوات التجسس وإيجاد المفرقعات.

تمت المحاكمة بشكل علني، وتولى الدفاع عن المتهمين في تلك القضية كل من: جمال العطيفي وحسن الجداوي. وكانت جميع جلسات المحاكمة علنية، وبحضور وسائل الإعلام.

وصدر حكم المحكمة في ٢٧ يناير ١٩٥٥م علىٰ النحو التالي: الإعدام شنقًا علىٰ موسىٰ لينو مرزوق وصمويل باخور عازر - الأشغال الشاقة المؤبدة علىٰ فيليب هيرمان ناتاسون وفيكتور مويز ليفي - الأشغال الشاقة ١٥ عامًا علىٰ فيكتورين نينو وروبير نسيم داسا - الأشغال الشاقة ٧ سنوات علىٰ مائير يوسف زعفران ومائير صمويل ميوحاس - براءة إيلي جاكوب وسيزار يوسف كوهين.

تم تنفيذ حكم الإعدام في ٣١ يناير ١٩٥٥م، أي بعد صدوره بأربعة أيام. وقضت فيكتورين نينو مدة السجن التي كان مقررًا لها أن تنتهي عام ١٩٧٠م، ولكن أفرج عنها مع باقي الشبكة عام ١٩٦٨م في صفقة سرية لتبادل الأسري. وسافرت إلىٰ إسرائيل، وحضرت جولدا مائير حفل زواجها عام ١٩٧٥م.

والطريف هنا أن إيلي كوهين المُفرج أصبح أشهر جاسوس إسرائيلي عمل في سوريا بالقرب من الدوائر العليا السياسية تحت اسم كامل أمين ثابت. وكشفه بالصدفة رفعت الجمال (رأفت الهجان) عندما كان في إسرائيل، فقبض عليه في دمشق وحكم عليه بالإعدام شنقًا. وفي ذلك الحين، كان دافيد بن جوريون -رئيس الوزراء الإسرائيلىٰ ووزير دفاعها الأسبق- قد اعتزل العمل السياسىٰ، وجاء بدلًا منه موشىٰ شاريت لرئاسة الوزراء، وبنحاس لافون لوزارة الدفاع.

ووضعت المخابرات العسكرية الإسرائيلية، المعروفة باسم «أمان» خطة للتخريب والتجسُّس في مصر. كان المقدَّم مودخاي بن تسور مسئولًا عن إنشاء ومتابعة الوحدة ١٣١ . والتي اختار لقيادتها الرائد إبراهام دار، الذي سافر إلىٰ مصر، ودخلها بجواز سفر زائف، كرجل أعمال بريطاني، تحت اسم جون دارلنج.

بدأت العملية، بتفجير ثلاثة صناديق بريد، في مبنىٰ البريد الرئيسي في الإسكندرية. وكانت الأضرار طفيفة غير مؤثرة؛ مما دعا الصحافة إلىٰ تجاهل الأمر، علىٰ الرغم من العثور علىٰ عبوة مجهولة، داخل الصناديق الثلاثة.

ولقد توَّلىٰ التحقيق في هذه القضية الصاغ ممدوح سالم، الذي أصبح رئيس وزراء مصر فيما بعد. والذي كشفت له التحقيقات أن العبوات تحوي مزيجًا من المواد الكيماوية، وقطعًا صغيرة من الفسفور الأحمر. ولم ينتبه أحد عندئذٍ إلىٰ أن صناديق البريد كانت مجرَّد تجرِبة لهذا النوع منزلي الصنع من المتفجرات، حتىٰ انفجرت قنبلة في المركز الثقافي الأمريكىٰ في الإسكندرية، صباح الرابع عشر من يوليو، ثم في المركز الثقافي الأمريكي في القاهرة، في مساء اليوم نفسه، حارقةً...

وهكذا تساقط باقىٰ أفراد العملية، واحدًا بعد الآخر. وعقب صدور الأحكام، عم الحزن إسرائيل كلها؛ حيث نكست أعلامها، ووقف أعضاء

الكنيست حدادًا، وخرجت كل الصحف الإسرائيلية بمانشيتات سوداء، وتم إطلاق اسم الجاسوسين علىٰ أهم شوارع بئر سبع.



وبعد كشف العملية صرح بنيامين جيلبىٰ، رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية والمسئول عن العملية: مهما كانت نتيجة ما حدث، فقد كسبنا عداء المصريين لليهود، ذلك العداء الذي جعل إسرائيل تستقبل أعدادًا منهم. لقد كانت مفاوضات جلاء الإنجليز عن مصر تسير بشكل جيد، وترأسها جمال عبد الناصر نفسه بعد إقصاء محمد نجيب. وكانت الأمور تسير في اتجاه توقيع الاتفاقية بالأحرف الأولىٰ في ٢٤ يوليو ١٩٥٤م، وكان لا بد من وقفها.

غير أن الفضيحة لم تتوقف عند هذا الحد، فتم التحقيق مع موشىٰ شاريت رئيس الوزراء. والذي أكد أنه لم يكن لديه أي علم بالعملية. والتحقيق مع وزير الدفاع بنحاس لافون، الذي أنكر معرفته بأية عملية، تحمل اسم سوزانا. واضطر بعدها للاستقالة، وعاد دافيد بن جوريون إلىٰ منصب وزير الدفاع، فأصدر قراره بعزل بنيامين جيلبىٰ، مدير المخابرات العسكرية «أمان». وتعيين يهو شفاط هركابي بدلًا منه. ولذلك عُرِفت القضية باسم فضيحة لافون؛ نسبة إلىٰ وزير الدفاع وقتها بنحاس لافون.

الفصـل التاسـع
موقف اليهود المصريين
من الأحداث الكبرى

الموقف من تصريح اللورد بلفور - ١٩١٧م





صدر تصريح اللورد جيمس بلفور -وزير الخارجية البريطاني- في ٢ نوفمبر ١٩١٧م. كان التصريح يتضمن دعم ملكة بريطانيا لفكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. أقامت منظمة الصهيونيين بمصر حفلًا بمدينة الإسكندرية. وقد حضره أحمد زيوار باشا، محافظ الإسكندرية في ذلك الوقت. إضافةً إلىٰ كبار رجال الطائفة اليهودية في مصر. كما أقامت جمعية زئير صهيون حفلًا آخر، وحضره نحو ٨٠٠٠ شخص، ووفود من ٢٠ منظمة صهيونية مختلفة في مصر وفلسطين، كما حضره حاخام الإسكندرية، وزيوار باشا أيضًا.

وفي ختام الاحتفال قرروا إرسال برقيتين إلىٰ رئيس وزراء بريطانيا، لويد جورج، وإلىٰ رئيس المنظمة الصهيونية، حاييم وايزمان. وأنشد الحاضرون النشيد الوطني الصهيوني هاتكفا.

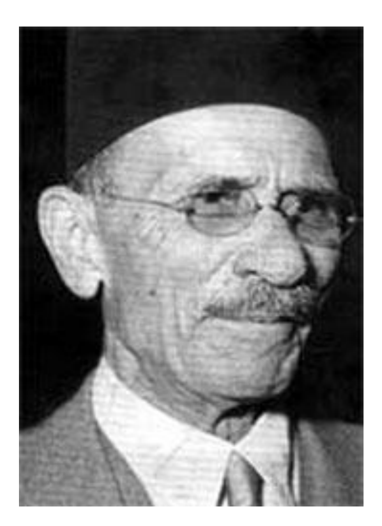
الموقف من إنشاء الجامعة العبرية بالقدس - ١٩٢٥م

بعد جهود حثيثة من اليهود في فلسطين -وبالتعاون مع يهود العالم- تمكنوا من إنشاء جامعة يهودية بالقدس عام ١٩٢٥م تحت مُسمىٰ «الجامعة العبرية». وقرروا إقامة احتفال ضخم بهذه المناسبة يوم ٢٥ إبريل، يدعون إليه عددًا من الشخصيات العامة. كان اللورد جيمس بلفور في مقدمة هؤلاء المدعوين، وقررت حكومة أحمد زيوار رئيس الوزراء الاحتفاء باللورد أثناء مروره في طريقه للقدس.

اندلعت المظاهرات يوم ٢٩ مارس احتجاجًا علىٰ تلك الزيارة. وقام إسماعيل صدقي وزير الداخلية باعتقال عدد من المتظاهرين. وكتبت صحيفة الأهرام في اليوم التالي تقول: «وما ذنب الإنجليز في ذلك والذين تهمهم مصالحهم، ولا ذنب الصهيونيين الذين يطلبون وطنًا لمن لا وطن لهم. بل ذنب الذين أضاعوا كل فرصة سانحة لهم وهم الفلسطينيون».

كان الوجود المصري في هذه الاحتفالات بشخصية بارزة من أهداف قيادات الحركة الصهيونية. وتم توجيه الدعوة للشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية فرفضها، وتم توجيهها لشيخ العروبة أحمد زكي باشا فرفضها أيضًا. بعدها أعلنت الحكومة أنها قبلت الدعوة الموجهة إليها لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس، وأنها اختارت أحمد لطفي السيد بك ليمثلها في هذا الاحتفال. توالت الاحتجاجات علىٰ قرار

الحكومة، بينما قالت صحيفة الاتحاد الإسرائيلي في القاهرة يوم ٥ مايو ١٩٢٥م: «لا يسعنا في هذا المقام إلا إثبات خالص شكرنا إلىٰ رجال حكومتنا السنية علىٰ جميل تشجيعهم للعلم والعاملين علىٰ نشره بدون تفريق أو تمييز بين الأديان والمذاهب».



في نفس اليوم نشرت صحيفة كواكب الشرق الوفدية بيانًا من أحمد لطفي السيد، بعنوان: الأستاذ لطفي السيد يدافع ويعتذر عن اشتراكه في حفلة الجامعة العبرية. ويقول: «تصورت أن الدعوة صادرة من معهد علمي والمفهوم أن لا علاقة له بالسياسة كما هو شأن الجامعات العلمية.. فشرفتني حكومة جلالة الملك بانتدابي لهذه المهمة فقبلتها بارتياح. وفي يوم الافتتاح أحسست أن الأمر ينطوي علىٰ ترويج للدعوة الصهيونية خاصة وأن اللغة المستخدمة ستكون اللغة العبرية».

كان أحمد لطفي السيد يملك القدر من الشجاعة الذي دفعه للقول: «إني أخطأت.. إني أعتذر». وتعيد صحيفة الاتحاد الإسرائيلي نشر مقال لمحمد عبد الله عنان -مراسل صحيفة السياسة يوم ٢٤ مايو ١٩٢٧م- وتقول: آثرنا نشر هذا المقال علىٰ صفحاتنا تحريضًا لأولئك النفر الذين يحاربون

الصهيونية وينكرون فضل اليهود وجهودهم في تعمير فلسطين ونشر العلم في ربوعها، فماذا يقول هذا وقد شهد شاهد من أهلهم؟

الموقف من إنشاء جامعة الدول العربية - ١٩٤٥م

عندما كانت تدور رحىٰ الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا استمالة الدول العربية لها. وصرح وزير خارجيتها -مستر إيدن- في ٢٩ مايو ١٩٤١م بترحيبه بأي عمل يحقق الوحدة العربية، ولم تلتفت الدول العربية لهذا التصريح. وأدلىٰ مرة أخرىٰ بتصريح جديد في فبراير ١٩٤٣م جاء فيه أن حكومة صاحب الجلالة تؤيد كل حركة يقوم بها العرب من أجل تعزيز الوحدة الاقتصادية والسياسية والثقافية فيما بينهم، ولا شك أن مثل هذا الإجراء لا بد أن يأتي من العرب أنفسهم.

استجابت مصر لهذا الاقتراح وألقىٰ مصطفىٰ النحاس -رئيس الوزراء- بيانًا أمام مجلس الشيوخ في مارس ١٩٤٣م. وجاء فيه: أن الحرب العالمية جاءت فرصة لنمو الحركات الوطنية في البلاد العربية للتخلص من نير الدول الاستعمارية التي أكرهتها علىٰ دخول حرب لا ناقة فيها ولا جمل، بالإضافة إلىٰ المخاطر التي تحملها هجرة الجماعات الصهيونية إلىٰ فلسطين التي سمحت بها الحكومة البريطانية، لذا تزايد الاهتمام بضرورة الوحدة العربية لمواجهة الخطر الصهيوني والتخلص من السيطرة الأجنبية. في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤م دعت الحكومة المصرية ممثلي الدول العربية



لحضور اجتماع تشاوري في الإسكندرية.

وفي مـــــارس ١٩٤٥م اســــــتأنفت الاجتماعـات في القـاهرة. وصـدر ميثـاق جامعــة الــدول العربيــة في ٢٢ مــارس ١٩٤٥م ووقعتـه سـبع دول عربيـة، هـي: مصر ـ السعودية ـ سوريا ـ لبنان ـ الأردن ـ العـراق ـ الـيمن. وتـرك البـاب مفتوحًـا للدول العربية التي تنال استقلالها، وتم اختيار عبد الرحمن عزام باشا كأول أمين عام لها.

تحرك الصهاينة من أجل إفشال قيام الجامعة العربية. ونشر فلينسكي – وكيل قسم الصحافة بالوكالة اليهودية– مقالًا في صحيفة بالستين بوست، في ٣٠ أغسطس ١٩٤٣م. وجاء فيه: أنه ليس من اليسير قيام وحدة عربية بمعنىٰ الكلمة، فهناك العديد من الشخصيات الهامة التي ترفض هذا المشروع، علىٰ رأسهم سعد زغلول باشا، والذي كان يعمل علىٰ عدم الزج بمصر في مشكلات الدول العربية، وأن الدكتور طه حسين كان يرىٰ أن الدول العربية لم تنضج بعد لدخول تلك المرحلة، كما عارض المشروع كل من أحمد لطفي السيد باشا، وعبد القوي أحمد باشا، وإسماعيل صدقي باشا. كما يجب علىٰ بريطانيا عدم إغفال التزاماتها تجاه فلسطين وإقامة الدولة اليهودية، وأن مصر تنتظر أولًا الوصول إلىٰ حل للمشكلة الفلسطينية

قبل التحرك إزاء هذا المشروع. أما الصحف اليهودية بالقاهرة فكانت تنشر الأخبار الواردة من اجتماعات الإسكندرية، وتأسف لعدم حضور رئيس القسم السياسي عن فلسطين.

وفي ٢٣ ديسمبر ١٩٤٣م نفىٰ مصطفىٰ النحاس ما نشرته بعض الصحف الفلسطينية بأنه كان يرىٰ ضرورة أخذ رأي اليهود في مسألة الوحدة العربية. كان ليون كاسترو من أبرز المعارضين للوحدة العربية وحمل بشدة علىٰ مصطفىٰ النحاس باشا، وقام بزيارة لفلسطين في أغسطس عام ١٩٤٤م. وألقىٰ كلمة في نادي الصحفيين بتل أبيب قال فيها: إن حركة النحاس باشا من أجل الوحدة العربية هي خيانة للخطة السياسية التي وضعها سعد زغلول باشا، لأن سعيه كان ضد الوحدة العربية وكان يريد أن تكون مصر دولة حديثة متمدنة، وأن مصر مصرية وليست عربية، وطالب كاسترو بضرورة العمل ضد الوحدة العربية، ودعوة اليهود المصريين للاستثمار في فلسطين.

الموقف من قرار التقسيم ـ ١٩٤٧م

كان أكثر الموقعين علىٰ استنكار ما يحدث في فلسطين من اليهود القرائين. وأصدروا وثيقة جاء فيها ما يلي: «يستنكر رجال الطائفة الإسرائيلية القرائين تلك الأحداث الإرهابية والأعمال الإجرامية التي يقوم بها بعض الصهاينة في فلسطين بمساعدة الإنجليز وينقمون علىٰ مكتب الدعاية الصهيونية

وتصرفاتها التي تستعمل المال في إسكات الصحف عن نشر آراء اليهود المعتدلين ونحن نقرر أننا نريد أن نعيش في صفاء ووئام مع العرب والمسلمين في شتىٰ الأقطار وأن نبادلهم الحب والإخلاص ونناشد إخواننا يهود مصر والعالم أن يكفوا عن مساعدة الصهيونية المدمرة في فلسطين حتىٰ تحل قضية فلسطين ونعود كما كنا إخوة متحابين».

ووقع علىٰ الوثيقة مائة شخصية من اليهود القرائين من بينهم: يعقوب يافث - إبراهيم باروخ الجميل - توفيق إلياهو - فرج ليشع - فرج يعقوب الإفرنجي - إبراهيم فرج - مسعود موسىٰ أصلان - إبراهيم كوهين - باروخ السرجاني - ليشع عبده ليشع.

وبعد صدور قرار التقسيم، تقدم عدد من أعضاء مجلس الشيوخ بنص قرار. وهم: محمد الوكيل - علي زكي عرابي - محمد المنشاوي - فؤاد سراج الدين - محمد علىٰ علوبة - عباس الجمل - محمد حلمي عيسىٰ - أحمد رمزي - زكي ميخائيل بشارة - جمال الدين أباظة - أصلان قطاوي - توفيق دوس. وافق المجلس علىٰ النص التالي: يُعلن مجلس الشيوخ المصري استنكاره للقرار الذي أصدرته الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م بتمزيق فلسطين وتقسيمها إلىٰ دولتين، معتدية في ذلك علىٰ أقدس حقوق أهلها، ومخالفة في ذلك نصوص ميثاق الأمم المتحدة الواجب عليها العمل به واحترامه تحت تأثير وسائل لا يقرها قانون ولا عُرف ولا خُلق.



وأعلن الحاخام حاييم أفندي: أن اليهود المصريين موالون لمصر، وعلىٰ يهود مصر أن يدافعوا عن بلدهم ضد الصهيونيين. كما

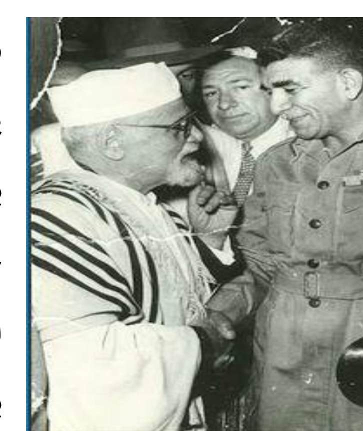
اعترض مجلس النواب المصري علىٰ قرار التقسيم. وتم عرض المشروع في ٨ ديسمبر ١٩٤٧م، أي بعد أسبوع واحد من صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة.

وفي بور سعيد قام أعضاء الجالية اليهودية بزيارة لمحافظ القناة سعادة فؤاد باشا شيرين، في ٣١ مايو ١٩٤٨م. وسلموه وثيقة تؤكد ولاء أعضاء الجالية اليهودية في بور سعيد، وتؤكد معارضتهم لقيام دولة إسرائيل، وأنهم عوملوا معاملة طيبة من جانب السلطات المصرية. وقع علىٰ الوثيقة: دافي حزان - مدير الشركة الفرعونية، وسالمون سريانو - الموظف بشركة القناة.

الموقف من ثورة يوليو - ١٩٥٢م

في ٢ أغسطس ١٩٥٢م أرسل الحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندي برقية إلىٰ اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة جاء فيها: «الحاخام الأكبر والطوائف اليهودية بمصر يضمون آيات تهانيهم وإجلالهم إلىٰ التهاني التي وجهت إلىٰ سعادتكم بالإجماع لسمو وطنيتكم سائلين المولىٰ سبحانه وتعالىٰ أن يوفقكم لجميع جهودكم في سبيل إقرار السلام والسعادة والرخاء لمصر العظيمة وفتح عهد جديد للشعب المصري الكريم».

وفي ٨ أغسطس ١٩٥٢م صرح اللواء محمد نجيب بالآتي: «يجب أن نحافظ على إخواننا من أهل الذمة، يهود وأقباط، إنهم مواطنونا نحافظ عليهم ونرعاهم فهذه هي آداب القرآن الكريم، والذي أحب أن أؤكده أن جميع أبناء مصر -على اختلاف أديانهم ومذاهبهم- إنما هم جميعًا إخوة في الوطن، لا فارق بين يهودي ومسلم ومسيحي، فالدين لله والوطن للجميع، وليحيا الاتحاد والنظام والعمل».



وقد دون هذه الكلمات بخط يده في دفتر التشريفات. ثم قام بعدها بزيارة الحاخام الأكبر -حاييم ناحوم أفندي- في المعبد اليهودي الكبير، للتهنئة بالسنة اليهودية الجديدة.

وفي ١٣ يناير ١٩٥٣م تم تشكيل لجنة لوضع مشروع دستور جديد. وضمت اللجنة: زكي عريبي المحامي، ممثلًا للطائفة اليهودية. وفي ٣٠ إبريل ١٩٥٤م أعلن جمال عبد الناصر اكتشاف نشاط شيوعي في مصر. واتهم المقبوض عليهم بأنهم يمكنون الصهاينة من احتلال وادي النيل.

الموقف من العدوان الثلاثي - ١٩٥٦م



الشعب

الرئيس يعلن:

نقاتل.. نقاتل.. نقاتل

إسقاط ١٨ طائرة للعدو

١٠ غارات على القاهرة أمس

عاصفة في مجلس العموم

بدأ العدوان الثلاثي على مصر بهجوم الجيش الإسرائيلي على موقعي الكونتيلا ورأس النقب في مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م. وفي اليوم التالي مباشرة وجهت كل من بريطانيا وفرنسا إنذارًا إلىٰ مصر وإسرائيل بالانسحاب مسافة عشرة أميال من قناة السويس. وفي ٢ نوفمبر ١٩٥٦م رفضت مصر الإنذار وقررت المقاومة بعد اتضاح المؤامرة. وفي ٧ نوفمبر توقف العدوان تنفيذًا لقرار الأمم المتحدة، وانسحب آخر جندي من جنود العدوان يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦م. أما إسرائيل فقد تلكأت في الانسحاب، فانسحبت من العريش يوم ١٤ يناير ١٩٥٧م، ومن غزة يوم ٦ مارس، ومن شرم الشيخ يوم ٧ مارس ١٩٥٧م.

وفي أول نوفمبر ١٩٥٦م تم إعلان حالة الطوارئ في جميع أنحاء البلاد. وأعقب ذلك أمر خاص بفرض الحراسة علىٰ أموال المعتقلين والمراقبين ورعايا الأعداء. وتطبيقًا لذلك الأمر خضعت العديد من المحال والشركات

اليهودية في مصر تحت الحراسة؛ نظرًا لأنهم كانوا يتمتعون بالجنسية الفرنسية أو الإنجليزية.

كان من الطبيعي أن يزداد القلق عند اليهود في مصر، كما حدث أثناء حرب ١٩٤٨م. قامت الحكومة بترحيل ٢٨٠ يهوديًّا غير محددي الجنسية لدواعي الأمن. وبلغ عدد الراحلين عن مصر بِناءً علىٰ رغبتهم حتىٰ منتصف عام ١٩٥٧م نحو ٢٥ ألف يهودي، من جملة عددهم المقدرة بنحو ٤٠ ألف عام ١٩٥٦م. واستمرت أعدادهم في التناقص حتىٰ بلغت ٨٥٦١ نسمة عام ١٩٦٠م.

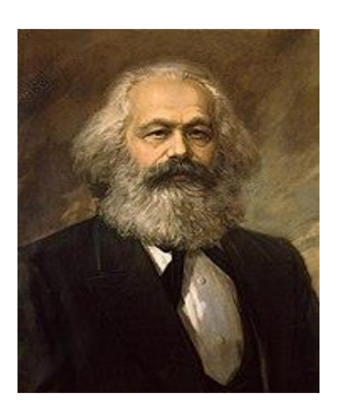
وتعرضت مصر لحملة إعلامية دولية تدعي أن الحكومة المصرية طردت اليهود وتقوم باضطهادهم. قام المجلس الأمريكي لليهود بارسال وفد للتحقق من تلك الاتهامات، وأصدر تقريرًا بعد زيارته لمصر، جاء فيه الآتي: «إن غالبية من أبعد عن مصر هم الرعايا الفرنسية أو الإنجليزية الذين اعتبروا حلفاء للأعداء، ولم يطرد أحد لأسباب دينية، ولا يوجد أي إرهاب ضد اليهود، بل أدانت الحكومة كل التهديدات بالعنف ضد اليهود، وأن الراحلين تركوا ممتلكاتهم غير المنقولة تحت الوصاية العامة للحكومة إلىٰ أن يتم تسوية أمورها. إن سبب إرباك وضع اليهود في مصر وسائر البلاد العربية هو إدعاء إسرائيل حق التكلم باسم جميع اليهود، فتصور للعالم وكأن الولاء لإسرائيل فوق الولاء للبلاد التي يعتبرون أنفسهم مواطنين فيها». وقد أيد التقرير الكاتب اليهودي الأمريكي دافيد ليلنتال الذي وضع

كتابًا بعد زيارته لمصر بعنوان «ما ثمن إسرائيل». أكد فيه نفس المعاني السابقة، وقال إن دولة إسرائيل قد أساءت إلىٰ يهود العالم، وإن إنشاءها كان علىٰ حساب السلام في الشرق الأوسط.



وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦م أصدر الحاخام حاييم ناحوم بيانا باللغات العربية والفرنسية والعبرية، جاء فيه: «إننا نود مرة أخرىٰ أن نشارك مواطنينا في استنكار الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي الغاشم علىٰ وطننا العزيز مصر، وإننا لنرفع إلىٰ المولىٰ عز وجل أحر الدعوات لمجد مصر ورفاهيتها وسعادة أبنائها جميعًا.. إن اليهود المصريين جزء لا يتجزأ من الأمة المصرية وإنهم يتمتعون بكل ما يتمتع به المواطن المصري الصالح، وعلىٰ ذلك فليس لأية دولة أجنبية سواء كانت هذه الدولة إسرائيل أو غيرها صفة للتحدث باسمهم، إذ أن اليهود المصريين هم مصريون أولًا وقبل كل شيء ويشاركون مواطنيهم جميعًا شعورهم الوطني النبيل».

الموقف من الشيوعية



تأسس حزب العامل الصهيوني عام ١٩٠١م في أوكرانيا علىٰ يد بوروخوف، ثم تمدد إلىٰ مختلف مدن الإمبراطورية الروسية. قام زعماء الجناح اليساري للحزب بالدعوة لفكرة الصهيونية العمالية، مما أدىٰ للدعوة لتأسيس حزبين أحدهما الحزب الصهيوني العمالي الاشتراكي، والثاني حزب العمال العبريين الاشتراكي.

وفي عام ١٩٠٥م اجتمع في زيوريخ أنصار الوطن القومي في فلسطين، وأسسوا الحزب الاشتراكي الديمقراطي العمالي العبري، والذي سرعان ما انشق إلىٰ جناحين، أحدهما: لا يمانع في حصول اليهود علىٰ حكم ذاتي في إطار الامبراطورية الروسية. والآخر: يرىٰ الحل الوحيد في إقامة دولة في فلسطين.

وتم الدعوة إلىٰ اجتماع ضم جميع تلك الأحزاب والأجنحة اليهودية. وقررت الاتحاد معًا تحت الاسم الأول حزب العامل الصهيوني. وفي اجتماع آخر عام ١٩٠٦م تم إقرار برنامج الحزب، وأطلق علىٰ هذا الاجتماع المؤتمر الأول. وفي العام التالي عُقد المؤتمر الثاني لحزب العامل الصهيوني في لاهاي. والذي تمخض عنه تأسيس الاتحاد العالمي

الاشتراكي للعمال العبرانيين، الذي عُرف بالاسم المختصر «فيربايند» ومعناها الاتحاد. بقيام الثورة السوفيتية، أيد حزب العامل الصهيوني الثورة، وجند العمال اليهود في الجيش الأحمر. علىٰ العكس من حزب البوند وهو الحزب الأكبر الذي أيد الحكومة الأوكرانية المستقلة.

وبعد المذابح -التي تعرض لها اليهود في أوكرانيا- انتقل عدد كبير من أعضاء البوند لحزب العامل الصهيوني. وبعد عملية الانتقال تلك تمت الدعوة من حزب العامل الصهيوني لعقد مؤتمر في بيلاروسيا. حيث تم تأسيس الحزب الشيوعي العبري، الذي أكد في بيانه أنه لا علاقة له بالحزب الاشتراكي الديمقراطي في روسيا، ومن ثم فهو لا يضم بلاشفة أو مناشفة. علىٰ عكس حزب البوند الذي تقدم بطلب بعد فترة قصيرة للانضمام للحزب الشيوعي الجديد، إلا أن طلبه رُفض.

وأول دعوة صريحة -شيوعية التوجه- لإنشاء وطن قومي لليهود كانت في المؤتمر السابع لعموم السوفيتات عام ١٩١٩م. وذلك تحت البند الخاص بحق تقرير المصير لجميع القوميات، علىٰ النحو التالي: وأن حق تقرير المصير لليهود لا يمكن تحقيقه إلا علىٰ أرض فلسطين؛ فما علينا إلا تنظيم الهجره الشيوعية والاستيلاء علىٰ زمام المبادرة من البرجوازية وتأسيس الكِيان الشيوعي العبري، حينها سيكون هذا الكِيان رأس الحربة ضد المشاريع الإمبريالية في المنطقة، وكذلك سيساهم مع طليعة كادحي دول الشرق المتخلفة في تصعيد حركات التحرر الوطني.

وتمكن الحزب عام ١٩٢٠م من حضور مؤتمر كادحي الشرق الذي انعقد في باكو. قدم مندوب الحزب زينوفي أوستروفسكي ورقة عمل تطرق فيها إلىٰ ضرورة التحالف مع الكادحين العرب، من أجل إعادة بناء الاقتصاد الفلسطيني. كذلك تأسيس فرع للأممية الشيوعية في فلسطين يتعاون مع الفروع الأخرىٰ في المنطقة. غير أن هذا التقرير لم يتم التصويت عليه ولم يدرج ضمن مقررات المؤتمر. وفي أغسطس ١٩٢١م تقدم الحزب الشيوعي العبري بطلب للاندماج مع الحزب البلشفي، مع بقائه كوحدة مستقلة داخل الحزب البلشفي، تكون مسئولة عن كل ما يخص اليهود، وفيما عدا ذلك يتم الالتزام بسياسة الحزب البلشفي. وجاء الرد من ياروسلافسكي سكرتير اللجنة المركزية للحزب البلشفي في مذكرة جاء فيها: إن قضية الهجرة إلىٰ فلسطين فكرة لا شيوعية، وإن انضمامهم للحزب البلشفي ممكن فقط بعد حل حزبهم والامتناع عن الدعاية للصهيونية والدعوة للهجرة إلىٰ فلسطين.

وبعدها مباشرة دُعي الحزب الشيوعي العبري إلىٰ اجتماع لفروع الحزب في مدينة جدانسك وذلك لمعالجة موضوع الانضمام إلىٰ الأممية الشيوعية، ولم يوافق المؤتمر علىٰ شروط الإنضمام للأممية. بعد المؤتمر هاجر القيادي العبري أفيربوخ إلىٰ فلسطين، ومن هناك أرسل رسالة جاء فيها أنه لا يوجد مستقبل للعمل الصهيوني في روسيا. وانقطعت العلاقات بعد ذلك بين الحزب الشيوعي العبري والأممية الشيوعية.

انشقت مجموعة من أعضاء الحزب الشيوعي العبري، وقاموا بتأسيس الحزب الاشتراكي الفلسطيني. ودعىٰ الحزب الجديد إلىٰ نبذ الصهيونية والانضمام إلىٰ الأممية الشيوعية. هكذا كان أمام اليسار الثوري في الحركة العمالية اليهودية خيارين، لندن الإمبريالية أو موسكو البروليتارية، مؤتمر صهيوني أم الأممية الشيوعية؟ ورغم اختيار الفكر الماركسي اللينيني، إلا أن الحزب ظل واقعًا تحت تأثير بعض الأفكار الصهيونية، مثل: مفهوم الصهيونية البروليتارية.

وفي عام ١٩٢٢م تعرض حزب العمال الاشتراكي لانشقاق تنظيمي. ونتج علىٰ إثره حزبان شيوعيان: الحزب الشيوعي في فلسطين بقيادة جوزيف برزيلاي، والحزب الشيوعي الفلسطيني بقيادة حاييم أورباخ. وفي العام التالي مباشرة تمت الوحدة بين الحزبين تحت اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني. اتخذ المؤتمر موقفًا نهائيًّا رافضًا لما يسمىٰ الصهيونية البروليتارية. وقال الحزب: إن الحركة الصهيونية حركة تتجسد فيها تطلعات البرجوازية اليهودية، وتقف في جبهة واحدة مع الاستعمار البريطاني، إذ ربطت مصيرها مع مصير المحتلين الإمبرياليين، ويجب العمل بين العمال اليهود خاصة لإيضاح ذلك. واعتبر حركة القومية العربية، أحد العوامل الأساسية التي تقاوم الاستعمار البريطاني، ومن واجبه القيام بمساندتها.

بعد المؤتمر الخامس تقدم الحزب بطلب الانضمام للكومينتيرن. واشترطت اللجنة التنفيذية للكومينتيرن على الحزب أن يسعى إلى إقامة أوثق الصلات وأوسعها مع الجماهير العربية، بغية تحويله من منظمة للعمال اليهود إلى حزب شيوعي حقيقي. ودعته إلى دعم حركة التحرر الوطني للسكان العرب، في نضالهم ضد الاحتلال البريطاني - الصهيوني.

وتم إرسال العشرات من عرب فلسطين للدراسة في جامعة شعوب الشرق. وفي المؤتمر السابع كان عدد المندوبين العرب مساوٍ لعدد اليهود. أما موقف ستالين من الصهيونية فيمكن إيجازه في قوله: ما هي مثلًا تلك الأمة اليهودية التي تتألف من يهود جورجيين ودغستانيين وروس وأمريكان وغيرهم، والتي لا يفهم بعضهم بعضا ويقطنون مختلف بقاع الكرة الأرضية، ولن يرى بعضهم بعضًا في حال من الأحوال أسلمًا كان أم حربًا.. ليست هذه بأمة والاشتراكية الديمقراطية لا يمكن لها أن تضع برنامجًا لمثل هذه الأمم الكرتونية.

الحزب الشيوعي الفلسطيني

البداية مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي -الذي سبق بقية الأحزاب الشيوعية في المنطقة- بالتأسيس عام ١٩١٩م. وقد تأسس الحزب على أيدي مجموعة من العمال الثوريين اليهود، باسم حزب العمال الاشتراكي في فلسطين. وأعلن مؤسسوه أنهم سيقفون إلى جانب ثورة أكتوبر الاشتراكية

في مواجهة الإمبريالية العالمية، وإلىٰ جانب الأممية الثالثة الشيوعية في مواجهة أحزاب الأممية الثانية الانتهازية.

والمشكلة تكمن في أن هذا الحزب اعترف بالصهيونية، بوصفها قوة ثورية معادية للاحتلال البريطاني. وفي نفس الوقت دعا لعدم الانجرار إلىٰ دعاوىٰ معاداة العرب. وأنَّ هدف الحزب يجب ألا يقتصر علىٰ إقامة مجتمع يهودي في البلاد؛ بل يجب أن يتعدىٰ ذلك إلىٰ إقامة مجتمع أسمىٰ، مجتمع عمَّاليٍّ حُر قائم علىٰ الثورة والسلام، السلام ليس مع الحكومات فحسب، بل مع الشعوب أيضًا. وفي ١٩٢٤م انضم الحزب رسميًّا إلىٰ صفوف الأممية الشيوعية، بعد أن وافق علىٰ تعريب صفوفه، والانخراط بنشاط في النضال الوطني التحرري المعادي للإمبريالية والصهيونية. واستطاع الحزب استقطاب وتنظيم عدد من العمال والمثقفين العرب، ولكن الحزب عجز عن تلمس خطر المشروع الصهيوني الرامي إلىٰ استعمار فلسطين، والسيطرة الاقتصادية علىٰ البلاد، واقتلاع عرب فلسطين من وطنهم.

ومع تصاعد الصراع في فلسطين ازدادت عزلة الفكر الماركسي في الوسط العربي. عزلة تعود إلىٰ ثلاثة أسباب، أولها: أن مَن بشّروا بهذا الفكر في البداية كانوا يهودًا، شكلوا جزءًا من المشروع الصهيوني الاستيطاني وبمساعدة الاستعمار الإنجليزي. والثاني: هو السياسة المتطرفة التي انتهجها الحزب في مراحل معينة من وجوده. والسبب الثالث: هو عداء القيادة الإقطاعية الفلسطينية للفكر الشيوعي.

وحالما انتهت الحرب العالمية الثانية، كانت مقومات الدولة اليهودية قد وضع أساسها، وراح الشيوعيون اليهود يشيرون إلىٰ المتغيرات التي طرأت، ويربطون ذلك بحق تقرير المصير لليهود. وكان ذلك من العوامل الأساسية لانقسام الحزب الشيوعيٰ وخروج العضوية العربية منه في مايو عام ١٩٤٣م. وفي العام ١٩٤٤م تم إقرار الميثاق الوطني للعصبة الشيوعية، وتضمن نقاطًا أهمها: جلاء الجيوش الأجنبية وإلغاء الانتداب، وإنشاء حكومة ديمقراطية تحفظ حقوق السكان دون تمييز، والتعاون مع الشعوب العربية للنضال من أجل المحافظة علىٰ الاستقلال، ورفع مستوىٰ العمال والفلاحين والمستخدمين الاقتصادي والاجتماعي، وتعميم المدارس في المدن والقرىٰ وجعْل التعليم الابتدائي إجباريًّا، ونشر الثقافة في البلاد وإحياء التراث العربي، وتعزيز مكانة رجال العلم والفكر والفن، ورفع مستوىٰ المرأة الاجتماعي.

وكانت للعصبة تحفظات علىٰ تركيبة اللجنة العربية العليا، وهي لجنة برئاسة المفتي أمين الحسيني. وكانت تمثِّل القيادات التقليدية التي عارضت انخراط العمال والفلاحين في العمل الوطني الفلسطيني. وأصرَّت -بالتوافق مع جامعة الدول العربية- علىٰ عزل ممثّليها، ومنعهم من المساهمة في قيادة النضال الوطني.

ومن أواخر عام النكبة -١٩٤٨م- وقيام الدولة الصهيونية، تم توحيد منظمات عصبة التحرر الوطني. التي بقيت في المناطق المسيطر عليها

إسرائيليًّا، وشكلت -بالاندماج مع أعضاء الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهود- ما أصبح يعرف بالحزب الشيوعي في إسرائيل. الذي أكد برنامجه السياسي، وأكدت مواقفه أيضًا حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته الوطنية المستقلة، ومقاومة سياسة الضغط والتمييز العنصري تجاه المواطنين العرب، والسعي من أجل تثبيت حق اللاجئين بالعودة إلىٰ وطنهم. وهو الحزب الذي شارك في صدامات متكررة مع الكِيان الإسرائيلي. كما شارك أيضًا في صدام مع الكِيان الأردني والنظام المصري. خصوصًا علىٰ خلفية رفضه لممارسات النظامين وسياساتهما. ومن ذلك الموقف من مؤتمر أريحا الذي شهد ضمَّ الضفَّة الغربيَّة إلىٰ الأردن، أو الموقف المناهض من حلف بغداد، وما يتعلق باعتقالات الشيوعيين علىٰ يد نظام عبد الناصر في غزة. كما أعلن الحزب بعد هزيمة ١٩٦٧م إشادته بالكفاح المسلح، واعتباره شكلًا مشروعًا للنضال من أجل تحرير الأرض. وفي سنة ١٩٨٢م تم اندماج جميع التنظيمات الشيوعية داخل الخط الأخضر في كِيان الحزب الشيوعي. وفي العام ١٩٩١م -وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي- قرر الحزب تعديل لائحته الداخلية، وتغيير اسمه إلىٰ حزب الشعب الفلسطيني.

الفصل العاشر

شخصيات يهودية

عائلــة قطــاوي

عائلـة قطـاوي عائلـة مصـرية يهوديـة، ترجـع أصـولها إلـىٰ قريـة قطـا شـمالي القـاهرة. بـرز عـدد مـن أفرادهـا علـىٰ السـاحة السياسـية والاقتصـادية في مصـر منـذ أواخـر القـرن التاسـع عشـر. بـدأ الظهـور مـع نـزوح أليشـع حيـدر قطـاوي إلـىٰ القـاهرة في أواخـر القـرن الثـامن عشـر، حيـث حصـل ابنـه يعقـوب (١٨٠١ - ١٨٨٣) علـىٰ امتيـازات مـن الحكومـة للقيـام بأنشـطة تجاريـة وماليـة، وكـان أول يهـودي مصـري يمـنح لقـب بـك. كمـا حصـل علـىٰ لقـب بـارون مـن الإمبراطوريـة النمساوية المجرية التي حملت العائلة جنسيتها.

وقـد أوكلـت إليـه نظـارة الخزانـة في فـترة حكـم الخـديوي عبـاس الأول. واحـتفظ بهـا خـلال حكـم الـوالي سـعيد والخـديوي إسـماعيل. وتـولَّىٰ في أواخـر أيامـه رئاسـة الجماعـة اليهوديـة في القـاهرة التـي كانـت تُسـمَّىٰ الطائفـة الإسـرائيلية. بعـد وفاتـه، خلفـه ابنـه موسـىٰ قطـاوي (١٨٥٠ - ١٩٢٤) في رئاســة الطــائفة، واختــير عــضوًا في البرلمــان المصـري، كمـا مُـنح لقـب الباشـوية. وكـان موسـىٰ قطـاوي مـن كبـار رجـال المـال والبنـوك، وتـولَّىٰ إدارة عـدد مـن الشـركات. وسـاهم في تمويـل مشـاريع السـكك الحديديـة في صـعيد مصـر وشـرق الـدلتا ومشـاريع النقـل العـام في القـاهرة بالتعـاون مـع عـائلات سـوارس ورولـو ومنسىٰ.



وبعد وفاة موسىٰ، انتقلت رئاسة الطائفة إلىٰ يوسف أصلان قطاوي (١٨٦١- ١٩٤٢). الذي درس الهندسة في باريس. وعمل بعد عودته موظفًا في وزارة الأشغال العامة، ثم سافر إلىٰ إيطاليا لدراسة أصول صناعة السكر، وعاد إلىٰ مصر ليؤسس مصنعًا للسكر. واختير عضوًا في العديد من المجالس الاستشارية للمؤسسات الصناعية والمالية. واشترك عام ١٩٢٠ -بالتعاون مع طلعت حرب ويوسف شيكوريل- في تأسيس بنك مصر.

وفي عام ١٩١٩، كان يوسف قطاوي عضوًا في الوفد المصري، الساعي إلىٰ التفاوض مع بريطانيا لنيل الاستقلال لمصر. كما اختير -عام ١٩٢٢م- عضوًا في اللجنة التي أُسندت إليها مهمة وضع دستور مصري جديد، في أعقاب الثورة المصرية الكبرىٰ ١٩١٩م.

وعمل يوسف أصلان قطاوي وزيرًا للمالية عام ١٩٢٤م، ثم وزيرًا للمواصلات عام ١٩٢٥م. وانتُخب عام ١٩٢٣ عضوًا في مجلس النواب، عن دائرة كوم أمبو. كما كان عضوًا في مجلس الشيوخ في الفترة من ١٩٢٧م وحتىٰ ١٩٣٦م. ونشر عام ١٩٣٥ دراسة بالفرنسية تدافع عن سياسة الخديوي إسماعيل الاقتصادية. تزوج يوسف من عائلة سوارس اليهودية

الثرية وكانت زوجته وصيفة أولىٰ للملكة نازلي زوجة الملك فؤاد، ووصيفة الملكة فريدة زوجة الملك فاروق.

وبعد وفاة يوسف أصلان، اختير ابنه أصلان ليشغل مقعد أبيه في مجلس الشيوخ. كما عمل سكرتيرًا عامًا لمصلحة الأملاك الأميرية التابعة لوزارة المالية، ومندوبًا عن الحكومة المصرية في شركة قناة السويس، ومندوبًا للحكومة في البنك الأهلي المصري. أما ابنه الثاني رينيه، فقد اختير عام ١٩٤٣م رئيسًا للطائفة الإسرائيلية في القاهرة. وكان عضوًا في البرلمان، كما كان يدير عدة مشروعات اقتصادية. ونشر ثلاثة مجلدات تشكل تأريخًا لفترة حكم محمد علي عام ١٩٣٦م. وفي عام ١٩٥٧م غادر الأخوان رينيه وأصلان مصر واستقرا في أوروبا.

أما آخر الشخصيات البارزة في عائلة قطاوي، وهو جورج قطاوي. وكانت اهتماماته أدبية في المقام الأول، كما كان يكتب الشعر بالفرنسية. وقد اعتنق المذهب المسيحي الكاثوليكي، مع العديد من المثقفين المصريين اليهود السفارديم الذين تخلوا عن اليهودية. عارض كل من يوسف أصلان قطاوي وابنه رينيه قطاوي الصهيونية. عندما تولىٰ كل منهما رئاسة الطائفة اليهودية في مصر. وحذر رينيه قطاوي ليون كاسترو -زعيم الحركة الصهيونية في مصر- من الدعوة إلىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين. باعتبار أن ذلك يمس علاقة الجماعة بالسلطات المصرية. كما دعت عائلة قطاوي إلىٰ اندماج أعضاء الجماعة اليهودية في المجتمع المصري. وشجع يوسف

أصلان قطاوي تأسيس جمعية الشبان اليهود المصريين، وجريدة الشمس الأسبوعية الصادرة بالعربية. وقد كان هدفهما تمصير أعضاء الجماعة وتعميق انتمائهم للوطن المصري.

أما بشأن رفض عائلة قطاوي للفكر الصهيوني: فقد أرسل يوسف أصلان قطاوي رئيس الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة خطابًا -في سنة ١٩٣٨- إلىٰ محمد علي علوبة. وذلك أثناء دعوته لعقد المؤتمر البرلماني لمناصرة القضية الفلسطينية. وأوضح في رسالته أن الطائفة اليهودية في مصر تضم أجناسًا مختلفة لا تجمعهم إلا الرغبة في تنظيم أعمالهم الثقافية والخيرية، ومن ثم يبتعد بهم قادتهم المسئولون عن المناقشات السياسية.

وفي الأربعينيات أرسل ابنه -رينيه قطاوي- رسالة إلىٰ ليون كاسترو -رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني- طالب فيها بإيقاف النشاط الصهيوني، لأن ذلك يخلق شعورًا بالعداء تجاه اليهود في مصر، وإلا فإنه سيضطر إلىٰ طلب تدخل السلطات المصرية في إطار المصلحة المشتركة. كما بعث برسالة أخرىٰ إلىٰ ممثل الوكالة اليهودية بالقاهرة، بشأن الشكوىٰ من منظمة عيفرىٰ ها تسعير. وذلك لأنها تقوم بإغراء الشبان اليهود وهم عماد الأسر اليهودية في مصر بالهجرة إلىٰ فلسطين. الأمر الذي يقوض السلطة الأسرية، ويعرض العلاقات بين الطائفة اليهودية والسلطات المصرية للخطر.

عائلة منشّــه



روز منشا زوجة يعقوب منشا في نادي سبورتنج عام ١٩١٤م

عائلـة منشَّــه هــي عائلـة يهوديـة سـفاردية، جـاءت إلىٰ مصر مـن إسبانيا. أما عميــد العائلـــة البـــارون يعقوب دي منشه، فقد وُلد في مصر ١٨٠٧م، وتوفي في الإسـكندرية في نـوفمبر ١٨٨٧م. ويُوجَـد شـارع شــهير في محـرم بـك بالإسكندرية يُسمَّىٰ شارع منشَّه، ويوجد به حاليًا متحف الفنون الجميلة.

بدأ يعقوب دي مَنَشَّـه حياتـه صـرافًا في حـارة اليهـود، وتـدرَّج في عملـه حتىٰ أصبح صراف باشا للخديوي إسماعيل. أسس بالتعاون مع يعقـوب قطـاوي مؤسسـة ماليـة وتجاريـة بيـت مَنَشَّـه وأولاده. وأصبح لهـا أفـرع في مانشسـتر وليفربول ولندن وباريس ومارسيليا وإسطنبول. كما اشـترك بالتعـاون مـع الخديوي إسماعيل في تأسيس البنك التركي المصري. وفي عـام ١٨٧٣م، مُـنح يعقـوب دي مَنَشَّـه الحمايـة النمسـاوية. وفي عـام ١٨٧٥م مُـنح لقـب البارونية والجنسية النمساوية المجرية تقديرًا للخِدْمات التي قدمها للتجـارة النمساوية المجرية – المصرية.

وفي عـام ١٨٦٨م تـزوج مـن لـولي بغـدادل، التـي أنجبـت لـه ولـدًا واحـدًا (جـاك إيلـي) وخمـس بنـات. حيـث كـان الحـرص علـىٰ الارتبـاط بـأقوىٰ

العائلات اليهودية برباط الزواج. تزوجت إستير بالفرد إسمعلوم، ولويز تزوجت ألبرت إسمعلوم، وشارلوت تزوجت إيزاك بولاسكو، وجان تزوجت فيلكس جرين، وديانا تزوجت موريس قطاوي.

وترأَّس يعقوب دي منَشَّه الطائفة اليهودية في القاهرة عام ١٨٦٩م. وانتقل عام ١٨٧١م إلىٰ الإسكندرية حيث أسَّس معبد منَشَّه ومقابر منَشَّه ومدارس منَشَّه. ورأس ابنه بيهور ليفي دي منَشَّه (١٨٣٠- ١٨٨٥م) الطائفة في الإسكندرية. وخلفه في رئاستها ابنه جاك بيهور (١٨٥٠- ١٩١٦م). واحتفظ بها حتىٰ اندلاع الحرب العالمية الأولىٰ، حينما اعتبرته السلطات البريطانية عدوًا، لأنه كان يحمل الجنسية النمساوية المجرية. وقد نقل جاك منشَّه أعمال الأسرة من الأعمال المالية والمصرفية إلىٰ تجارة القطن والسكر المربحة. واشترىٰ مساحات واسعة من الأراضي في دلتا وصعيد مصر.

أما الشقيق الأصغر فليكس يهودا (١٨٦٥ - ١٩٤٣م)، فدرس في فيينا وأسَّس فرع بيت منشَّه في لندن وترأس الطائفة اليهودية في الإسكندرية في الفترة ما بين ١٩٢٦- ١٩٣٣م. كان فليكس دي منَشَّه صديق لحاييم وايزمان، ومثَل الحركة الصهيونية المصرية في لندن لدىٰ المؤتمر الثاني عشر ١٩٢١م. أما ابنه جان قطاوي دي منَشَّه فاعتنق الكاثوليكية وانضم لرهبان الدومينيكان، وقام بالدعوة للمسيحية في الإسكندرية.

تمتعت عائلة منشَّه بنفوذ سياسي واقتصادي، وأسهمت في إنشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية اليهودية المهمة. وذلك مثل: مستشفىٰ منشَّه عام ١٨٩٠م وهو مستشفىٰ الرمد حاليًا، الذي حاز شهرة في خدمة المرضىٰ اليهود. كما أسست العائلة مدرسة مشتركة عام ١٩٠٧م، وبالتنسيق مع رابطة بناي بريث، أسست الاتحاد اليهودي للتعليم. وخلال بضع سنوات افتتحت مدرسة ثانوية وليسيه الاتحاد اليهودي بحي محرم بك، ثم مدرسة ابن ميمون الثانوية.

وفي سنة ١٨٦٩م جاءَ إلىٰ القطر المصري فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا؛ لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس. وتقدم البارون لاستقباله بصفته رئيسًا للجالية النمساوية. وعندما حضر عمدة مدينة فينا عاصمة النمسا حظي بمقابلة الإمبراطور حيث منحهُ الإمبراطور وسامًا آخر مع لقب شرف. وفي سنة ١٨٧٥م منحهُ لقب بارون، لقبًا متوارثًا لهُ ولذريتهِ من بعدهِ. وهو أول من حاز علىٰ هذا اللقب من الإسرائيليين في مصر. وكان ذلك لأعماله الخيرية وتقديرًا للخِدْمات التي قدمها للتجارة النمساوية المجرية - المصرية.

أما ولده البارون جاك إيلي دي منشَّه فقد ولد في ٢٦ أغسطس عام ١٨٧٢. وتلقىٰ علومه في فيينا وباريس، وعقب عودته أشركه والده في إدارة بعض أعماله وممتلكاته. وكان عضوًا بارزًا بعدد من الجمعيات اليهودية. واشتهرت عنه هوايته في تربية خيول السباق، وتزوج بجابرييل، ابنة موريس

أجيون أحد كبار رجال المال بالإسكندرية. وفي بداية عام ١٩٠٩م حصل علىٰ عضوية أرقىٰ الأندية الأرستقراطية وهو نادي محمد علي. وقد لعب دورًا مهمًّا في تنمية التجارة المصرية النمساوية، لينعم عليه الإمبراطور فرانسيس جوزيف بلقب البارون، ومنحه الجنسية النمساوية. ويبرز اسم جاك بيهور دي منشَّه في بورصة القطن وتجارة السكر وكان يمتلك الكثير من الأسهم العَقَارية في الدلتا وصعيد مصر.

وقد سيطرت عائلة منشَّه علىٰ مجلس الطائفة المنتخب بالإسكندرية. واشتهر عن جاك بيهور دي منشَّه -الذي رأس الطائفة لأكثر من ربع قرن- تشدده واستبداده وانفراده بالرأي. وكان أعضاء المجلس ممن ارتبطوا به بعلاقات القربىٰ أو بالزواج أو ينتمون إلىٰ دائرة الأصدقاء المقربين. حتىٰ أطلق عليه مجلس العائلة. وخلفة في رئاسة مجلس الطائفة بالإسكندرية: إدجار سوارس ١٩١٤ -١٩١٧م، وفيلكس بك طوبىٰ ١٩١٧ ـ ١٩٢٥م، وألفرد تيلش ١٩٢٥ - ١٩٢٦م، وفيلكس دي منشَّه ١٩٢٦ - ١٩٣٤م، وروبرت رولو ١٩٣٤ - ١٩٤٨م، وإدوين جوهر ١٩٤٨ - ١٩٥٦م.

ومن أعضاء المجلس البارزين الذين حظوا برضا عائلة منشَّه، وكان لهم نشاط ونفوذ في مجالات التجارة وأعمال البورصة والبنوك والصناعة والمهن الحرة، خصوصًا المحاماة والطب: روبرت وإبرام وماكس رولو، ورافائيل توريل، وإدوين وجاك جوهر، وجوزيف إيلي دي بتشيوتو، وفيلكس بك بادوا، وأجيون، وتيلش. وهذه نبذة سريعة عن كل منهم:

إدوين جوهر: ولد عام ١٨٧٥، كان من أهم المصدرين بالإسكندرية، كما كان عضوًا بمجالس أكثر من شركة لتجارة الأخشاب. تلقىٰ علومه بسويسرا وتزوج من عائلة بيجا. تولىٰ رئاسة محفل إلياهو هانابي، وشغل لعدة سنوات منصب نائب رئيس الطائفة، حتىٰ تولىٰ رئاستها بالفعل في الفترة ١٩٤٨ - ١٩٥٦م.

جاك جوهر: ولد عام ١٨٨٧م، تلقىٰ تعليمه في إيطاليا. وخلال الحرب العالمية الأولىٰ كان ضابطا بالجيش البريطاني برتبة كولونيل، اقترن بهيلين عدس. وكانت أسرتها من أشهر وأغنىٰ العائلات اليهودية في مصر. ارتبط بصداقة وطيدة مع الملك فؤاد ثم الملك فاروق، كما كان نائبًا لرئيس المنظمة اليهودية العالمية المكابي، ونائبًا لرئيس نادي السيارات الملكي.

رافائيل توريل: رجل أعمال بارز انتخب عضوًا بمجلس الطائفة، وهو من عائلة تركز نشاطها في تصدير القطن، كانت تمتلك نحو خمسة آلاف فدان عام ١٩٣٠م. وفي نهاية نفس السنة عمل سكرتيرًا متطوعًا بمجلس الطائفة، ولأكثر من ثلاثين عامًا كان عضوًا بالمجلس البلدي لمدينة الإسكندرية.

ألفرد نسيم كوهين: ولد بتونس عام ١٨٨١م، بدأ حياته مدرِّسًا بمدرسة الأليانس الإسرائيلي العالمي بالإسكندرية. واتجه إلىٰ المضاربة في

البورصة، وأسس مع حاييم بيريز وأوفاديا سالم شركة التسليفات التجارية وفروعها بالقاهرة ولندن والسودان.

حاييم درة: ولد بدمشق عام ١٨٩٨م، ثم هاجر إلىٰ مصر في العشرينيات من هذا القرن. واستقر بالإسكندرية حتىٰ أصبح واحدًا من ملوك تجارة المنسوجات.

د. هيرمان شلزنجر: هاجر إلىٰ مصر من رومانيا عام ١٩٠٧، اشتهر كطبيب، ولفترة طويلة كان عضوًا بمجلس الطائفة. كما أسهم بدور فاعل في دعم نشاط الحركة الصهيونية بالإسكندرية.

موسى بك ديشى: السكرتير المالي بوزارة الداخلية، ولد في ٨ أكتوبر عام ١٨٩١م بالقاهرة. شغل منصب المراقب العام لمجلس بلدي الإسكندرية، والمدير العام المساعد لشركة السكر المصريه. اقترن بسوزان إسمعلون مواليد ١٩١٤م ابنة ماكس إسمعلون. وكان موسىٰ بك مقيمًا في ٢٩ ش الصالح أيوب بالزمالك، ابنه الوحيد سمير إيلي كلود ولد في ٩ يناير ١٩٤٢م.

فيلكس بن زاقين: أشهر محامٍ يهودي بالإسكندرية، كان معروفًا بنشاطه الصهيوني. ومع ذلك كلفة النقراشي باشا بتشكيل لجنة تمثل يهود مصر للسفر إلىٰ أمريكا، والتباحث مع زعماء اليهود حول إنشاء دولة فيدرالية للعرب واليهود في فلسطين. ولكن زعماء

الطائفة في القاهرة والإسكندرية نصحوه بالابتعاد عن مثل هذه الموضوعات.

حاييم ناحوم أفندي

ولد حاييم ناحوم أفندي عام ١٨٧٢م بماگنسيا بالقرب من أزمير، الدولة العثمانية. درس الثانوية في إسطنبول، تعلم في كلية الحقوق التركية ثم أكمل تعليمه في جامعة السوربون الفرنسية. والتحق بالمدرسة العليا للحاخامات بباريس، ودرس اللغات الشرقية. وشارك في تأسيس رابطة الاتحاد والترقي، والتي كان لها دور فعال في الانقلاب علىٰ السلطان العثماني والقضاء علىٰ دولة الخلافة بتركيا.



ذهب حاييم ناحوم أفندي إلىٰ إثيوبيا في عام ١٩٠٨م، ليقدم تقريرًا عن اليهود الفلاشا. واُختير عام ١٩٢٢م لمنصب الحاخام الأكبر في تركيا، وهو المنصب الذي شغله لمدة ١٢ عامًا. كما شغل منصب مستشار لرئيس الوزراء التركىٰ عصمت باشا وزير (عصمت اينونو) في مؤتمر في لوزان.

بعد الحرب العالمية الأولىٰ لم تجد الحكومة التركية أحدًا غيره ليتولىٰ التفاوض عنها؛ فاستقال من منصب حاخام اليهود الأكبر في الدولة العثمانية، ثم ذهب إلىٰ لاهاي ليمكث بها سنة كاملة مفاوضًا وحده عن الحكومة التركية. ومن لاهاي إلىٰ لندن إلىٰ باريس إلىٰ جينيف، وبعد أن أتم مهمته بنجاح عاد إلىٰ إستنابول.

ودعىٰ إلىٰ القاهرة في عام ١٩٢٥ وعين بمنصب الحاخام الأكبر لمصر والسودان بمرسوم ملكي صدر في ٢ مارس ١٩٢٥م، وحتىٰ وفاته في ١٣ نوفمبر ١٩٦٠م.عُرف حايم ناحوم كشخصية محبوبة ومحترمة في الأوساط السياسية والثقافية. وذلك لمواقفه الوطنية وتحفظه تجاه الصهيونية وهجرة اليهود المصريين إلىٰ فلسطين آنذاك. غير أنه في عهده -وبجهوده المباركة وبالتعاون مع قطاوي باشا وزير مالية مصر الأسبق- تمكن ناحوم سنة ١٩٣٦م من جمع ١٣ ألف جنيه من أندية المكابي اليهودية. رصدها لشراء أراضٍ في فلسطين لإيواء اليهود الغلابة الذين قدموا من فجاج الأرض إلىٰ فلسطين وليس لهم فيها مأوىٰ!

وفي تقرير صحيفة السياسة الأسبوعية الصادرة في ١٤ يوليو ١٩٢٨م لمراسلها في القدس عن زيارة الحاخام لفلسطين: زار فضيلة حاخام مصر الأكبر مركز اللجنة الصهيونية وجمعية رأس المال القومي وغيرها من الجمعيات الصهيونية، وخطب في حفل أقيم له، فحث اليهود علىٰ بث الدعاية لتوحيد جميع الفرق اليهودية. واقترح أن ينشأ في الجامعة العبرية

فرع لتعليم الربانيين الذين يتشربون مدة وجودهم هنا حب أرض إسرائيل، وهكذا فإنهم عند عودتهم إلىٰ بلادهم يبثون الدعوىٰ لإنشاء الوطن القومي اليهودي. وقد وعد فضيلته في نهاية خطبته أن يحبب يهود مصر بفلسطين.

كثرت زيارات حاييم ناحوم لفلسطين، ولقاءاته باللجان والجمعيات الصهيونية التي حرصت علىٰ تجنيده في خدمة أهدافها. وقد قوبل دوره في تشجيع النشاط الصهيوني في مصر بالحذر والكراهية أحيانًا. غير أنه كان قد وثق صلته بالملك فؤاد، الذي عينه عام ١٩٢٥م حاخاما أكبر لمصر والسودان، ومنحه الجنسية المصرية عام ١٩٢٩م، وعينه عضوًا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١م. وفي نوفمبر عام ١٩٣٣م نال عضوية مجمع فؤاد الأول للغة العربية.

تحددت اختصاصات مجلس الطائفة في رعاية مصالح وحقوق الطائفة. وتحديد سلطة الحاخام بأنها سلطة دينية فحسب، ويتلقىٰ تعليماته من المجلس، ويوقع علىٰ الطلبات الدينية والمدنية والخِدْمات، والشئون المالية من اختصاص المجلس فقط. ولكن مع الوقت -ومع التعديلات التي أدخلت علىٰ اللوائح من أجل إعطاء سلطات أوسع ونفوذ أقوىٰ للحاخام حاييم ناحوم أفندي ومع وفاة جوزيف قطاوي عام ١٩٤٣م- تمكن الحاخام المبتسم حاييم ناحوم أفندي من الهيمنة علىٰ الطائفة. وأصبح بمقتضىٰ التعديلات التي أدخلت علىٰ اللوائح الممثل الرسمي للطائفة اليهودية في مصر.

وتروي وثائق الجنيزة اليهودية -أي المقبرة لاكتشافها في مقابر يهود مصر بالبساتين الجدلية- التي وردت في حوار مثير وتاريخي، بين المليونير اليهودي ألبرت موصيري والحاخام الأكبر للطائفة اليهودية في مصر حاييم ناحوم أفندي. عندما وجه موصيري سؤالًا لناحوم قائلًا: كيف يمكن للإنسان أن يكون مواطنًا مخلصًا لبلد مولده في حين يكون مواليا للوطن القومي اليهودي؟ ولم يرد ناحوم بشيء ربما بما عرف عنه من دهاء وسياسة، تجعله في حرج لارتباطه بصداقة مع عدد كبير من الشخصيات السياسية المصرية.

ومن بيانه الذي أصدره عندما وقع العدوان الثلاثي علىٰ مصر ونشرته جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٦م: «إننا نود مرة أخرىٰ أن نشارك مواطنينا في استنكار الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي الغاشم علىٰ وطننا العزيز مصر، وإننا نرفع إلىٰ المولىٰ عز وجل أحر الدعوات لمجد مصر ورفاهيتها وسعادة أبنائها جميعا. إن اليهود المصريين جزء لا يتجزأ من الأمة المصرية، وهم يتمتعون بكل ما يتمتع به المواطن المصري الصالح، وعلىٰ ذلك؛ فليس لأي دولة أجنبية، سواء أكانت هذه الدولة هي إسرائيل أم غيرها، أي صفة للتحدث باسمهم، إذ أن اليهود المصريين هم مصريون أولًا، وهم يشاركون مواطنيهم جميعًا في شعورهم الوطني النبيل».

كتب عنه الأديب توفيق الحكيم قائلًا: «إن في حياتنا المصرية المعاصرة حادثة تدل علىٰ أننا لم نجعل بين الأديان فواصل أو حواجز؛ فقد كان ضمن أعضاء المجمع اللُّغوي الذي يتحمل مسئولية الحفاظ علىٰ اللغة العربية عضو ربما يبدو غريبًا، هو الحاخام الأكبر لليهود في مصر حايم نحوم أفندي، وهو معروف بعلمه الغزير في أصول اللُّغة العربية».

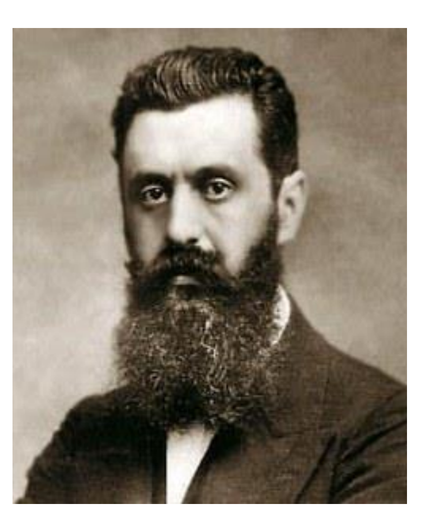
توفي حايم نحوم أفندي في ١٣ نوفمبر ١٩٦٠م. وعقد المجمع اللُّغوي جلسة لتأبينه اُختير فيها الأديب عباس محمود العقاد ليلقي كلمة في وداع زميلهم، كان من ضمن ما قال: «لقد كان ترشيح حاييم نحوم للعمل بمجمع اللَّغة العربية توفيقًا حسنًا واختيارًا صادف أهله، لأنه كان علىٰ حظ وافر من معرفة اللَّغات، وهي أداة صالحة من أدوات الدراسات اللَّغوية. وكان المرحوم يتقن الفرنسية والإسبانية والتركية والعربية والعبرية والحبشية. ولا شك أن هذه الإحاطة الواسعة بلغات الحضارة والثقافة المختلفة هي زاد طيب يتزود به من يبحث في أسرار الكلمات والتعابير وقواعد التراكيب المتقابلة عند شتىٰ الأمم. إن الزميل الراحل قد صحب مجمع اللغة العربية بهذا العلم وهذا الخلق منذ بدأ المجمع حياته وكان قدوة في أدب الزمالة وحق العلم وديدن المثابرة، ولم ينقطع عن المشاركة في الجلسات وهو قادر علىٰ مبارحة داره وأداء عمله. وقد كان مجبولًا منذ نعومة أظفاره علىٰ حب المعرفة والعلم والاطلاع».

وهناك صورة تذكارية نادرة نُشرت بمَجَلَّة المصور عام ١٩٥٣م، لحفل إفطار أقيم في رمضان، ذلك الذي أقيم في معبد مبنىٰ عزرا اليهودي بمصر القديمة. وكان تعليق المَجَلَّة: «عندما انطلق مدفع الإفطار كان المسلمون الصائمون يدخلون المعبد ويلتفون حول موائد الإفطار العامرة بكل ما لذ وطاب، التي أعدها أبناء الوطن من الطائفة اليهودية وعلىٰ رأسهم الحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندي وزعماء الطائفة اليهودية في مصر. جلس الحاخام بجوار الشيخ عبد الله المراغي، شيخ الأزهر وأعضاء هيئة التحرير من رجال الثورة، وقدم لهم التمر ليفطروا به قبل الأكل، قائلًا إنها سنة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، بينما كانت سيدات الطائفة تقدمن ألوان الطعام للمسلمين الصائمين». وأضافت المَجَلَّة: «بإقامة مائدة الإفطار التاريخية هذه أصبحت كلمة الدين لله والوطن للجميع حقيقة دافقة تصفع وجوه الذين يحاولون بث الفرقة بين صفوف الأمة».

وكان حاييم ناحوم صاحب دراسات ومؤلفات كثيرة باللغة العربية، منها: حارة اليهود وأخلاق سكانها ومحفوظاتها، ودراسة عن اليهود المصريين واليهود المغاربة. وقام بكتابة تعليقات ومقدمات ومراجعات لكثير من الدراسات التي أعدَّها غيره من الباحثين تحت إشرافه عن موضوعات عديدة متنوعة. منها: تاريخ الأطباء اليهود والعرب، والعلاقات بين العبريين والعرب، والأصول العامة للحروف الهجائية، وبحث مقارن بين اللغتين العربية والعبرية، وتاريخ يُوسُف الصديق كما ورد في الآثار العربية.

وكان حاييم ناحوم حريصًا علىٰ لقب «أفندي» الملحق باسمه. والأفندي لقب تركي يعني السَّيد، وكان حرص ناحوم علىٰ لقب أفندي نوعًا من الوفاء لذكريات صباه وشبابه في تركيا. وعندما أُعلِن قيام دولة إسرائيل رفض الهجرة إليها، وكان رأيه أن الذين هاجروا من مصر هم اليهود الأجانب، أما اليهود المصريون فليسوا مطالبين بالهجرة، ولا معنىٰ للهجرة بالنسبة لهم. وكان يقول في أحاديثه الصحفية المختلفة في مصر وخارجها: «إن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر؛ فالصهيونية حركة سياسية تحرض علىٰ الهجرة إلىٰ إسرائيل، أما اليهودية فهي دين كأي دين آخر، والدين لله والولاء للوطن».

تيودور هرتزل



ولد تيودور بنيامين زئيف هرتزل – مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة– في بودابست عام ١٨٦٠م. وتلقىٰ تعليمه بروح حركة التنوير اليهودية الألمانية. حيث بلور موقفه الإيجابي من الثقافة العلمانية. في العام ١٨٧٨م انتقلت عائلة هرتزل إلىٰ فيينا. وفي العام ١٨٨٤م حصل علىٰ درجة الدكتوراة في مجال القانون من جامعة فيينا.

وأصبح هرتزل في ذلك الحين كاتبًا روائيًّا وكاتبًا مسرحيًّا وصحافيًّا. خلال تلقيه الدراسة في جامعة فيينا عام ١٨٨٢م وقف هرتزل لأول مرة عن كثب علىٰ ظاهرة اللا سامية. الأمر الذي انعكس كثيرًا علىٰ سيرة حياته وعلىٰ مصير اليهود في القرن العشرين. في عام ١٨٩٤م انتهىٰ من كتابة مسرحية تحمل اسم الغيتو. والتي عبر من خلالها عن رفضه لفكرة اندماج اليهود في الشعوب الأخرىٰ أو اعتناقهم لديانات جديدة حلًا للقضية اليهودية. وكان يأمل في أن تؤدي مسرحيته إلىٰ إثارة نقاش مفتوح يعتمد علىٰ التسامح والاحترام المتبادلين بين المسيحيين واليهود.

وفي العام ١٨٩٤م وجه القضاء الفرنسي -بصورة ليس لها ما يبررها- تهمة الخيانة إلىٰ النقيب ألفريد دريفوس الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي. وذلك علىٰ خلفية أجواء اللا سامية التي كانت سائدة في تلك الفترة. استنتج هرتزل أن معادة السامية عامل ثابت في المجتمع الإنساني، لا يمكن لفكرة اندماج اليهود أن تحله. علىٰ هذا الأساس كان هرتزل يدرس فكرة السيادة اليهودية، وعلىٰ الرغم من تعرضه لسخرية بعض القادة اليهود، نشر في العام ١٨٩٦م الكتيب الذي يحمل العنوان «دولة اليهود». شدد هرتزل علىٰ أن جوهر القضية اليهودية ليس فرديًّا وإنما هو قومي. وصرح بأن الطريقة الوحيدة التي تمكِّن اليهود من الحصول علىٰ القبول الدولي تتمثل في عدم استمرار كونهم ظاهرة قومية استثنائية. وقال إن اليهود شعب واحد يمكن

تحويل مآزقه إلىٰ قوة إيجابية. وذلك من خلال إقامة دولة يهودية بموافقة القوىٰ العظمىٰ.

كان هرتزل ينظر إلىٰ القضية اليهودية كقضية سياسية دولية، يجب التعامل معها في سياق السياسة الدولية. وقدم هرتزل خطة عملية لجمع الأموال من اليهود في أنحاء العالم. وذلك بواسطة منظمة تعمل من أجل تحقيق هذا الغرض، وهذه المنظمة عندما تم تأسيسها سميت المنظمة الصهيونية. وتصور هرتزل الدولة اليهودية العتيدة كدولة اجتماعية نموذجية. مستندًا في أفكاره إلىٰ النموذج الأوروبي الذي كان سائدًا في تلك الفترة، والذي كان أساسه مجتمعًا متنورًا معاصرًا. مثل هذه الدولة ستكون محايدة ومحبة للسلام وعلمانية.

لاقت الأفكار التي عرضها هرتزل حماس الجماهير اليهودية في أوروبا الشرقية. رغم أن القادة اليهود كانوا أقل تحمسًا إزاء تلك الأفكار. ومع ذلك نظم هرتزل وترأس المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ -٣١ أغسطس ١٨٩٧م. والذي شكل أول اجتماع دولي لليهود، ينعقد علىٰ أساس وطني وعلماني. وخلال المؤتمر تبنىٰ الممثلون اليهود خطة بازل التي حددت أهداف الحركة الصهيونية. كما أعلن الممثلون في المؤتمر أن الصهيونية تستهدف إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين علىٰ أساس القانون العام. وتم خلال المؤتمر تأسيس المنظمة الصهيونية ذراعًا سياسيًّا للشعب اليهودي، وتم انتخاب هرتزل أول رئيس له.

شدد هرتزل علىٰ ضرورة الحصول علىٰ الدعم والتشجيع من القوىٰ العظمىٰ للأهداف الوطنية للشعب اليهودي. لهذا الغرض قام هرتزل في العام ١٨٩٨م بجولة في إسرائيل واسطنبول للقاء القيصر الألماني فيلهلم الثاني والسلطان العثماني. وعندما باءت جهوده بالفشل توجه هرتزل إلىٰ بريطانيا، حيث التقىٰ جوزيف تشامبرلين وزير المستعمرات البريطاني وشخصيات أخرىٰ.

ولكن الاقتراح الحقيقي الوحيد الذي تلقاه من المسئولين البريطانيين تمثل في فكرة إنشاء منطقة حكم ذاتي لليهود في شرق إفريقيا في أوغندا. توفي هرتزل في عام ١٩٠٤م بسبب التهاب رئوي، بالإضافة إلىٰ الإرهاق الذي كان يعانيه، نتيجة الجهود التي بذلها من أجل الصهيونية. ولكنه نجح قبل رحيله في ترسيخ مكانة الحركة الصهيونية علىٰ الخارطة السياسية العالمية. وفي العام ١٩٤٩ نُقل رفات هرتزل إلىٰ إسرائيل حيث تم دفنه في الجبل الذي أُطلق عليه اسم جبل هرتزل في القدس.

كانت الحكومات المصرية في العشرينيات والثلاثينيات وحتىٰ ١٩٤٨م تطارد أي مؤتمر أو اجتماع لمناصرة فلسطين. في الوقت الذي كان اليهود يعقدون المؤتمرات ويقيمون الجمعيات لمناصرة الصهاينة. وكل زعماء الحركة الصهيونية زاروا مصر خلال هذه الحقبة لتنظيم صفوف اليهود فيها، تحت سمع الحكومات المصرية وبصرها وبعلمها. وقد برر مصطفىٰ النحاس باشا -رئيس الحكومة ذلك الحين- في بيان رسمي جاء فيه: «إننا لا

نستطيع أن نسمح ببث أي دعاية لفلسطين ضد اليهود في مصر إذ اليهود أقلية ونحن نحافظ علىٰ شعور الأقلية في بلادنا». وذلك قبل أن تتكشف أهداف الصهيونية لحزب الوفد ومصطفىٰ النحاس فيما بعد.

هنــري كوريــل



ولـد في القـاهرة ١٩١٤م لأسـرة يهودية مصرية من جذور إيطالية. والده المليونير اليهودي دانيال نسيم كورييل، صاحب بنك الرهونات في شارع الشـوارب. وكـان لـه قصر منيف بحي الزمالك. شارك هنري كورييـل في تأسيس حركـة التحـرر الـوطني المصري ـ حمتو. وشارك في تأسيس الحركة السودانية للتحرر الوطني ـ حستو، التي أصبحت الحزب الشيوعي السوداني.

وفي عام ١٩٤٧م اندمجت حمتو في حركة إسكرا - الشعلة وحركات يسارية أخرىٰ، تحت اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني – حدتو. لتكون التنظيم الأول للحركة الشيوعية في مصر بعد الحزب الشيوعي المصري. قبض علىٰ هنري مرارًا ضمن حملات الاعتقال للشيوعيين. وأُجبر علىٰ الهجرة عام ١٩٥٠م إلىٰ فرنسا، حيث قام مع عدد من الشيوعيين اليهود المصريين بتأسيس مجموعة روما.

عمل هنري كورييل في مجموعة جينسون التي ساندت جبهة التحرير الوطني الجزائرية، إبان حرب الاستقلال. وألقت الاستخبارات الفرنسية القبض عليه عام ١٩٦٠م. وأسس كورييل بعد خروجه منظمة دعم حركات التحرر من الاستعمار في العالم الثالث. وفي ١٩٧٦م نظم ما عرف بلقاءات باريس، لإجراء اتصالات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، للاعتراف المتبادل بينهما. ضمت اللقاءات عصام سرطاوي مستشار ياسر عرفات.

في يونيو ١٩٧٦م اتهمته السلطات الفرنسية بأنه زعيم منظمة تدعم الإرهاب، مرتبطة بجهاز مخابرات الاتحاد السوفيتي. وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية، ثم رفع الحظر عنه لعدم ثبوت التهمة. اُغتيل في باريس ٤ إبريل ١٩٧٨م، حيث عثر عليه في مصعد منزله بباريس مضرجًا في دمائه.

جوزيف روزنتال



هذا هو اللقب الذي أطلقته جريدة الأهرام، علىٰ أحد مؤسسي الحزب الاشتراكي المصري جوزيف روزنتال. وهو يهودي من أصل إيطالي ولد في فلسطين، وقدم إلىٰ مصر في عام ١٨٩٩م. حيث وصل إلىٰ الإسكندرية واشتغل فيها بعدة مهن تتعلق بالتجارة والسمسرة. وافتتح محل جواهرجي بجوار نقطة شريف، التي كان يسميها السكندريون كراكون الإنجليز.

ومنذ الوهلة الأولىٰ عمل جوزيف روزنتال علىٰ الاتصال بالحركات اليسارية والعمالية في أوساط الجاليات الأجنبية. وعمل علىٰ تكوين النقابات العمالية في مختلف الصنائع والمهن بالإسكندرية، حتىٰ بلغ عددها ٣٣ نقابة بالإسكندرية وحدها في عام ١٩٢٠م. وأنشأ أول اتحاد عام للنقابات يضم ٢١ نقابة بها ٣٠٠٠ عاملًا.

عمل روزنتال علىٰ تأسيس الحزب الاشتراكي المصري في ٢٩ أغسطس ١٩٢١م. وكان من أهدافه محاربة الاستعمار. ونص برنامج الحزب علىٰ أنه يسعىٰ إلىٰ إنشاء مجتمع اقتصادي يقوم علىٰ مبادئ الاشتراكية بواسطة الصراع الحزبي والوسائل السلمية. وقد انضم إليه كل من: سلامة موسىٰ والمؤرخ علي العناني وعزيز ميرهم.

وروزنتال شخصية غريبة ترددت حولها قصص كثيرة.. الجنسية: سويسري أو روسي أو إيطالي أو ألماني. ورغم أن أجهزة الأمن صنفته علىٰ أنه روسي، خصوصًا بعد قيام الثورة البلشفية، فإنه تمسك بكونه مصريًّا.

وقد أعلن الحزب الاشتراكي المصري تغيير اسمه في ٢١ ديسمبر عام ١٩٢٢م. وذلك بعد أن تخلص من روزنتال، بِناءً علىٰ طلب الرفاق الروس. وأعلن مبادئه وكان منها: المطالبة بجلاء الجنود البريطانيين عن مصر والسودان، جعل قناة السويس ملكًا للأمة، إلغاء الامتيازات الأجنبية، وألا تزيد ساعات العمل علىٰ ثمان، الاعتراف بحكومة السوفيت وجعل جميع الأملاك الخصوصية ملكًا للأمة.

وفي قصة أقرب إلىٰ المغامرات البوليسية: نشرت الأهرام خبرًا في ٢٤ يوليو عام ١٩٢٤م. مفاده أنه تم اعتقال الرجل، ووضعه تحت التحفظ في ثكنة كوم الدكة استعدادًا لتسفيره في اليوم التالي. وذلك رغم احتجاجه بأنه مصري، ويقطن البلاد منذ أكثر من أربعين سنة، ولكن دون مجيب. وخبر ثان -بعد أكثر من شهر- يشير إلىٰ أن الباخرة نمسيس التي وُضع الرجل علىٰ متنها عائدة في طريقها إلىٰ الإسكندرية. بعد أن رفضت سائر سلطات مواني البحر المتوسط قبوله، وكان آخرها السلطات الرومانية. وفي يوم ٩ سبتمبر وصلت نمسيس إلىٰ الإسكندرية، ولما انتهىٰ الخبر إلىٰ السلطة المحلية أرسلت المحافظة شرذمة من رجال البوليس لمنع نزوله من السفينة ومراقبته عليها.

ويضيف د. يونان: صنعت قضية الشيوعي التائه مأزقًا للحكومة المصرية. وذلك بعد أن أبت سلطات الباخرة إعادته إلىٰ متنها؛ لأنها ليست مسئولة عنه وأنها لا تبرح الميناء قبل أن تستعيد الحكومة المصرية المسيو روزنتال. وفي تلك الأثناء هرب الرجل من نمسيس ونزل إلىٰ الإسكندرية. وبعد بحث من جانب السلطات تم العثور عليه في أحد المستشفيات فأعيد إلىٰ السفينة. غير أنه نقل إلىٰ المستشفىٰ مرة أخرىٰ، بعد أن ثبت أنه في حاجة لإجراء عملية جراحية.

وفي يوم ٣ نوفمبر عام ١٩٢٤ انتهت قضية الشيوعي التائه، بعد أن كتب تعهدًا علىٰ نفسه بأنه لا يشتغل بعد ذلك ببث الدعوة الشيوعية في القطر

المصري ولا يتدخل في شئون العمال. وعلىٰ أن يسعىٰ السعي القانوني لإثبات جنسيته المصرية. وفي مقابل ذلك تطلق الحكومة سراحه وتحله من الأمر الصادر بنفيه إلىٰ الخارج.

وقد عقبت الأهرام علىٰ ذلك بالقول: إن هذا هو خير حل للمسألة، بعد أن تعقدت من عدة وجوه. وتقول جريدتنا في عددها الصادر في اليوم التالي: إنه قد تم إطلاق سراح الخواجة يوسف روزنتال، وعاد إلىٰ عمله في مخزنه في شارع شريف مطمئنًّا!

المــؤلف في ســطور

.. الأستاذ الدكتور ..

محمد مدحت أحمد مصطفى

أستاذ الاقتصاد الزراعي بجامعة المنوفية

من مواليد الإسكندرية عام ١٩٤٦م. تخرج في كلية الزراعة - جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٨م. وذلك بعد أن أنهىٰ دراسته الثانوية بمدرسة الرمل الثانوية بباكوس. حصل علىٰ درجة الماجستير في الاقتصاد الزراعي من جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٤م، وعلىٰ درجة الدكتوراة من أكاديمية العلوم المجرية ببودابست عام ١٩٨٢م. تدرج في السلك الجامعي من درجة معيد إلىٰ أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد الزراعي بجامعة المنوفية، ويُشرف حاليًّا علىٰ مركز معلومات بحوث الاقتصاد الزراعي.

.. أهــم مؤلفاتــه ..

- السان سيمونيه والباشا، روزنامة الذاكرة المصرية (٧). الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٤م.
- التحولات الاقتصادية في الستينات. روزنامة الذاكرة المصرية (٦). الإسكندرية: مؤسسة رؤية، الإسكندرية، ٢٠١٤م.
- الإصلاح الزراعي وفقراء الفلاحين. روزنامة الذاكرة المصرية (٤). الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٤م.

- كبار مُلَّاك الأراضي ودورهم في السياسة المصرية. روزنامة الذاكرة المصرية (٣). الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٤م.
- جهود الإصلاح الزراعي قبل ١٩٥٢م. روزنامة الذاكرة المصرية (٢). الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٤م.
- الأجانب في الاقتصاد الزراعي المصري. روزنامة الذاكرة المصرية (١). الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٤م.
- الإسكندرية والباشا. الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٤م.
- نشأة وإقرار الملكية الفردية للأراضي الزراعية في مصر. الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٣م.
- السد العالي ومشاكل مياه النيل. الإسكندرية: مؤسسة رؤية للطباعة والنشر، ٢٠١٣م.
- الاستنزاف التاريخي للفائض الاقتصادي المصري. الإسكندرية: دار ليليت، ٢٠١٣م.
- النمط المصري للإنتاج. القاهرة: دار بوب بروفيشنال برس، ٢٠١٢م.
- شارل عيساوي. التحليل الاقتصادي والاجتماعي لمصر، ترجمة وتحليل، القاهرة: دار بوب بروفيشنال برس، ٢٠١٢م.
- أ. إ. كراوتشلي. التنمية الاقتصادية لمصر الحديثة، ترجمة وتحليل، القاهرة: دار بوب بروفيشنال برس، ٢٠١٢م.

- الموجز في عِلم الاقتصاد. الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٢م.
- الموارد الاقتصادية الزراعية، الأرض والمياه. الإسكندرية: مؤسسة رؤية، ٢٠١٠م.
- الاقتصاد الزراعي، بالاشتراك مع د. عادل يوسف. الإسكندرية: مؤسسة رؤية للطباعة، ٢٠١٠م.
- مناهج البحث في العلوم الاقتصادية والاجتماعية، بالاشتراك مع د. سهير عبد الظاهر. الإسكندرية: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ٢٠٠٤م.
- اقتصاديات الموارد المائية، رؤية شاملة لإدارة المياه. الإسكندرية: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ٢٠٠١م.